الـــــجمهورية الجـــــزائرية الديـــــمقراطية الشعبيـــة
وزارة الـــتعليـــم العالـــــي والبـــحث العلمـــي
جـــامعـــة عبد الرحمـــن ميـــرة بجايـــة
كليـــة الآداب والـعـلـوم الإنسـانيـة
قـسـم اللـغة والأدب الـعربـي

مذكرة تخرج

المبحث التركيبي في ضوء علم اللغة الحديث
"تشومسكي أنموذجا"

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
"فرع علوم اللسان"

• **من إعداد:**
  • سكور لونيس
  • سوداني بلال

• **تحت إشراف الأستاذ:**
  • شمون أرزقي

السنة الجامعية: 2014-2015.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

بعد شكر الله تعالى، على فضله ومَنه علينا، أنه أنار لنا أمرنا بالعزم والقوة

والإرادة والصبر لإنجاز هذا العمل المتواضع،

والصلاة والسلام على من بعثه رحمة للعالمين ونور هداية للضالين

نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ أرزقي شمون لإشرافه على مذكرتنا هذه كما نتقدم بجزيل الشكر إلى

أساتذة قسم اللغة والأدب العربي الأفاضل

ولا يفوتنا أن نسجل كلمة شكر عميقة لكل من ساهم في

إكمال هذه الدراسة سواء مادياً أو معنوياً.

إهداء

إلى أغلى ما ملكوا الدّيّ الفاضلين الذين ربياني بحنانهما صغيرا واستضأت بنورهما كبيرا أطال الله في عمرهما إلى إخوتي الأعزاء (وسيم، ماسينيسا، فريدة، كاتية) الذين ساندوني في كل خطوة أخطوها إلى المجد ويوجد تيو إلى المنقاسموني أوقاتا أفراحي وأحزاني إلى روح جدي

إلى أعمامي وعماتي أخوالي ويوخالاتي وإلى كل الأصدقاء وزملاء الدراسة أفراد العائلة صغيرهم وكبيرهم إلى أصدقائي أعزّ وأقرب الناس إليّ (عبد الحكيم، محمد، كريم، بلال، هشام، خير الدين، سعيد، توفيق، حمزة

محمود، مبروك، رفيق.....إلى كل الأساتذة الذين أشرفوا عليّ خلال المشوار الدراسي الذين أكنّ لهم كل المودة والاحترام وإلى السيد و أستاذي المشرف ' شمون '

الذي نعني بنصحه وثراء معرفته إليهم جميعا أهدي هذا العمل الذي أدعو الله المتبارك و تعالى أن يجعله ثمرة طيبة يستفيد منها كل طالب للعلم والمعرفة، وهو وحده ولي التوفيق

لونيس

إهداء

الحمدللهربالعالمينوالصلاةوالسلامعلىخاتمالأنبياءوالمرسلين

أهديهذاالعملإلى:إلى من لا تكفيهم كلمة الشكر والثناء إلى أعزّ ما أملك في الوجود أمي الحنـــونوإلى عماد البيت الذيعملبكدفيسبيلوعلمنيوأوصانيبي الكريموأدامـــهاللهليالبكو قرة عيني إخوتي وأخواتي " شعبان،حكيم، رشيدة،رزقية"إلى جدتي العزيزة أطال الله عمرها.

إلى التي ترتاح لها نفسي، حبّ قلبي، سندي في الحياة زوجتي وسيلقو أقربّ الناس إلى قلبه

"دفء العائلة " وأخص بالذكر أختها ليديا

إلى زميلي في العمل لونيس

إلى جميع الأصدقاء من دعمني وأمدّني يد العون

إلى كل من افتكره قلبي و لو يلفظه قلمي

بلال

مقدمة

مقدمــة:

الحمد لله خالق الألسن و اللغات، واضع الألفاظ و المعاني ، الذي علم آدم الأسماء كلها، وأظهر شرف اللغة و فضلها و الصلاة و السلام على سيدنا محمد أفصح الخلق لسانا و أجودهم بيانا، وعلى آله و صحبه أكرم به أنصارا وأعوانا أما بعد:

لعل أحق ما وجب البدء به وصرفُ الجهود لتحصيله والكشف عن نسيجه ما كان من العلوم أصلا لغيره وما يستند تحقق المعارف إليه، وذلك هو علم النحو أو "التركيب" أب العلوم، والأصل الذي تفرعت عنه البقية ، إذ له الأسبقية قبل غيره في استكشاف أسرار اللغة بغية توظيفها في واقع المجتمع لذا ظل النموذج النحوي هو الحاضر بقوة في كل مقاربة للغة، بل و أن بناء درس لساني معاصر لا يتأتى إلا من خلال الكتابات النحوية.

لذا سنحاول في هذا المجال استكشاف أهم معالم المقاربات اللسانية المعاصرة للدرس التركيبي بالإجابة عن الإشكال التالي : **كيف تناول علم اللغة الحديث التركيب؟ و ماذا قدمت اللّسانيات الحديثة في دراستها للعلائق الوظيفية للبنية التركيبية للّغة، أو ما يسمى بالمستوى التركيبي ؟ و ما علاقته بالدلالة؟**

لم يكن البحث في هذا الموضوع ترفا علميا تدفع إليه قّلة الموضوعات المتاحة للدراسة ولكن تبين لنا أنه ضرورة دعت إليها الحاجة، فهو يبحث عن طبيعته الموجودة في ميدان البحث اللّساني، ورغبةً في المساهمة في تقديم دراسة نظرية تبحث جانبا من جوانب التطبيق اللّساني، حتى تأخذ حظها من التبسيط وتقترب أكثر من قلوب دارسيها وأفهامهم وقد برز عن كل هذه التصورات والتطلعات موضوع دراستنا الموسومة:

"**المبحث التركيبي في ضوء علم اللغة الحديث**".

الذي سنحاول فيه استجماع أهم المبادئ النظرية والإجراءات المنهجية التي ميزت النظريات اللّسانية الحديثة في تعاملها مع تراكيب اللّغة وبنياتها كما سنبحث عن مدى

تطبيق هذه الخصائص والإجراءات و الأحكام عند كل من أبي اللسانيات "فيردناند دي سوسير" و أفرام نعوم تشومسكي صاحب نظرية النحو التوليدي التحويلي، ثم بيان العلاقة التي تربط هذه الأحكام بالدلالة أو بعبارة أخرى علاقة التركيب بالدلالة.

و بناء على ما سبق فإن هذه الدراسة تحاول الكشف عن ملامح و جزئيات ظاهرة المستوى التركيبي في الدرس اللساني الحديث، و ذلك تضمن مقدمة و ثلاثة فصول وخاتمة:

ففي المقدمة عرض سريع لفكرة البحث، في حين اشتمل الفصل الأول على ثلاثة مفاهيم رئيسية، يوضح المراد منها والمقصود منها بحيث تطرق إلى كل من علم اللغة الحديث، البنية، و التركيب، و ما يجمع هذه الأفكار والمصطلحات.

كما تضمن الفصل الثاني الحديث عن التركيب في علم اللغة البنيوي عند كل من دي سوسير و تشومسكي.

والفصل الثالث المُعَنوَنْ: أثر التركيب في الدلالة، الذي يحتوي على مجموعة من العناصر التي تعطي تفسيرا دلاليا مناسبا للمفهوم العام للفصل ببيان الأثر و العلاقة الرابطة بين المصطلحين.

واختتمنا هذا البحث بخاتمة اشتملت على أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، وأخيرا ذيلنا البحث بقائمة من المصادر و المراجع.

وقد استرشدنا في هذا السياق بمجموعة من المصادر القيمة التي تعد أصولا تنظيرية لعلم اللّغة الحديث، والتي وضعها رواد هذا المنهج من اللّغويين تشرح الأصول والمبادئ والإجراءات المنهجية التي أَصَلهَا هؤلاء الرواد.، واستعنا إلى جانب ذلك بمراجع تطبيقية تسعى إلى تجسيد هذه الرؤى النظرية، واستخدامها في شتى المجالات الميدانية، كما استنجدنا ببعض المصادرالأصيلة في النحو العربي، لعل أهمها هذه "كتاب الخصائص "وثّلة من المصادر الأخرى التي أوردناها في قائمة المصادر والمراجع.

و خلال البحث صادفتنا بعض الصعوبات، فهناك ما يعود إلى الظروف التي تحيط بالباحث في حد ذاته، وما يتعلق بطبيعة البحث ومراجعه: أي صعوبة الحصول على المادة

العلمية "المصادر و المراجع" التي تكبدنا من أجلها عناء البحث و الحصول عليها ، خاصة في مكتبة الجامعة وكذا طبيعة الموضوع، إذ إنه يحتوي على عناصر تستحق أن تكون بحثا مستقلا بذاته، بدون أن ننسى ضيق الوقت المخصص للبحث بالنظر إلى طبيعة الموضوع الذي يحتاج إلى فترة زمنية أطول، وقد حاولنا في بحثنا قدر المستطاع أن نلم بأهم جوانب هذا الموضوع ونحن موقنون بـأن هذا العمل لم يبلغ مداه وفيه من النقائص ما فيه ونرجو لمن يأتون بعدنا أن يدركوا هذه النقائص ويقدموا بحثا أفضل من هذا.

كما لا يفوتنا التقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم لنا يد العون والمساعدة سواء بالمراجع والمصادر أو حتى بالنصيحة والكلمة الطيبة.

الفصل الأول

الفصل الأول: مفاهيم اصطلاحية.

أولا : علم اللغة الحديث:[1]

1. تعريفه: هو أحدث العلوم الإنسانية عهدا، فظهورها وانتشارها يؤرخ له عادة بمطلع القرن العشرين، غير أنها على الرغم من حداثة عهدها تتبوأ مركزا مرموقا في دائرة العلوم الإنسانية بفضل النجاح الكبير الذي حققته فأصبحت مثالا يحتذي تعير مصطلحاتها ومناهجها إلى علم الاجتماع والتحليل النفسي والتاريخ...الخ ، واللسانيات هي المقابل العربي للمصطلح الغربي ولكنها ليست المقابل الوحيد له، فالناظر في كتب اللغة يجد أن كل باحث يكاد يستقل بمصطلحاته الخاصة، مما أدى إلى شيء من الفوضى وتسبب في إرباك الدارسين وتحميلهم قدرا أكبر من الوقت والجهد فإلى جانب مصطلح اللسانيات هناك مصطلح (فقه اللغة) الذي فضله البعض لوجوده القديم في الثقافة العربية ومصطلح (علم اللغة) و(الألسنية).

إن مصطلح اللسانيات اكتسب شهرة أكثر ، وأخذ وقد عرف العلماء اللسانيات بأنها دراسة اللغة بطريقة علمية،أي وفقا للمنهج العلمي.

فالهدف الأساسي للسانيات هو فهم اللغة الإنسانية، والحقيقة أن هذا الجانب يتجلى في تعريف دي سوسير للسانيات بأنها "دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها" فتحليل هذا التعريف يصل بنا إلى النقاط التالية:

-اللغة التي يدرسها علم اللسانيات ليست لغة معينة وإنما هي(اللغة) التي تتحقق في أشكال لغات كثيرة ولهجات متعددة وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني.

فمع اختلاف اللغات بعضها عن بعض، إلا أن ثمة أصولا وخصائص جوهرية تجمع ما بين هذه اللغات وصور الكلام الإنساني، وهو أن كلامنا (نظام) اجتماعي معين تتكلمه جماعة لغوية معينة بعد أن تتلقاه عن المجتمع وتحقق وظائف خاصة ويتلقاه الجيل الحادث

[1] سميح مقدادي، مدخل إلى اللسانيات،جامعة الملك فيصل،1985، ص10.

عن الجيل السابق، فموضوع اللسانيات إذن لا يدرس (لغة) معينة من اللغات بل اللغة من حيث هي وظيفة إنسانية عامة.

-معنى في (في ذاتها) أن اللسانيات تدرس اللغة من حيث هي لغة، كما هي وكما تظهر.

-معنى (من أجل ذاتها) أن تدرسها لغرض الدراسة نفسها، تدرسها دراسة موضوعية تهدف إلى الكشف عن حقيقتها وليس لخدمة أغراض تربوية مثلا، أو أي غرض آخر.

2. مجالات علم اللغة الحديث: يدرس علم اللغة الحديث بنية اللغة من الجوانب التالية:[2]

2-1. الأصوات:Phonetics: التي تتألف منها اللغة، ويتناول ذلك تشريح الجهاز الصوتي لدى الإنسان ومعرفة إمكانات النطق المختلفة الكامنة فيه، ووصف أماكن النطق ومخارج الأصوات في هذا الجهاز، وتقسيم الأصوات الإنسانية إلى مجموعات. ودراسة المقاطع الصوتية، والنبر والتنغيم في الكلام...الخ.

2-2. بناء الكلمــة: Morphology أو دراسة البنية، أو البحث في القواعد المتصلة بالصيغ، واشتقاق الكلمات وتصريفها، وتغيير أبنية الألفاظ للدلالة على المعاني المختلفة وهو ما يسمى بعلم الصرف.

2-3. بناء الجملــة: Syntax دراسة نظام الجملة، من حيث ترتيب أجزائها وأثر كل جزء منها بالآخر، وعلاقة هذه الأجزاء ببعضها البعض، وطريقة ربطها وهو ما يعرف عند العرب بعلم النحو.

2-4.الدلالــة: **Semantics** دراسة دلالة الألفاظ، أو معاني المفردات، والعلاقة بين هذه الدلالات والمعاني المختلفة، الحقيقي منها والمجازي، والتطور الدلالي وعوامله ونتائجه.

- **ترتيب هذه المجالات:** الأصوات، بناء الكلمة، بناء الجملة والدلالة على هذا النحو متفق عليه عند كثير من اللغويين المحدثين والمعاصرين ، وهو ترتيب مخالف لما كان عند سيبويه وجمهور النحاة العرب، فقد انطلقوا من قضية الجملة و الإعراب إلى قضية الأبنية الصرفية إلى قضية الأصوات،أي من الوحدات الأكبر إلى الوحدات الأصغر وقد ظهرت في السنوات

[2] د.محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء للنشر، القاهرة،ط1،ص 17.

الأخيرة اتجاهات عند بعض اللغويين الأمريكيين و الأوروبيين تنطلق في التحليل اللغوي من الوحدات الكبيرة إلى الوحدات الصغيرة، و لذا فهي تبدأ–أيضا– بتحليل الجملة و تنتهي بالتحليل الصوتي.

3.مناهج علم اللغة الحديث:

3–1.المنهج المعياري: ويقصد به اتخاذ معايير وضوابط ثابتة لا يجوز الخروج عنها فما يوافقها يعد صحيحا، وما يخالفها يعد خطأ. وترجع نشأة هذا المنهج إلي الإغريق الذين نظروا إلي لغتهم بوصفها اللغة الإنسانية الأولى، ونظروا إلي اللغات الأخرى على أنها لغات برابرة، ومن ثم فقد رسموا صورة مثالية للغتهم من خلال بعض القواعد المنطقية والفلسفية مهملين التعقيد لكثير من الأمثلة اللغوية الفعلية، ربما لأنها تخالف ما رسموه من قواعد للغتهم وقد تابعهم في هذا المنهج الرومان، كما تبعهم في ذلك العرب.

يلجأ إلى استعمال هذا المنهج بعض اللغويين التقليديين الذين يشتغلون غالبا في مجال التعليم، خصوصا تعليم اللغات القومية التي ترتبط بموروث حضاري أو ديني يعمل أهلوه على الحفاظ عليه، ولذا فهو منهج المعلم وليس منهج العالم، فهذا المنهج لا يعمل على وصف السلوك اللغوي كما يجري، وإنما يفضل لنفسه مقعد القاضي الذي يراقب ويسمع لكي يرجع إلي قوانينه ليصدر حكمه[3].

وقد اتخذ القدماء من لغة اليونانيين واللاتينيين (الرومان) نماذج مثالية تدرس من خلالها اللغة لفهمها وتحليلها، ويعتمد هذا المنهج على عدة ركائز منها:

– اللغة عندهم ظاهرة جامدة غير متطورة تعرف بالثبات، ومن ثم فهم ينكرون أي تغيير في اللغة لكونه يمثل في رأيهم فسادا لها.

– يهتم المعياريون بوضع قواعد صارمة تصف ما يجب في اللغة، وليس ما هو كائن بالفعل وأي خروج على هذه القواعد يعد خطأ يجب التصدي له.

[3] انظر،احمد عزة البيلي، محاضرات في علم اللغة العام، دار الثقافة العربية، 1990، ص 192 .

– يصدر المعياريون أحكاما تقيميه للغة وتمثل هذه الأحكام المثل الأعلى والنموذج الذي يجب الالتزام به لكونه يمثل الصواب اللغوي الذي يجب فرضه على المتكلمين. [4]

– كان مجال التطبيق عند المعيارين في معاقل التعليم والتدريس، ومن ثمَّ كانت أهدافهم تعليمية تربوية ومبادئهم استنتاجيه، وهذا يفسر وجود المنظومات النحوية في التراث الإغريقي والروماني والعربي.

– اعتمد المعياريون على النماذج العليا في الأدب كمجال للتطبيق، سواء أكان شعرا أم نثرا بهدف القراءة الصحيحة وكذلك الكتابة والأغراض التعليمية.[5]

– قصد المعياريون إنتاج أمثلة مصنوعة دون النظر للنطق الفعلي أو المعرفة الموقعية منشغلين فقط بتركيب معين، فكثيرا ما أنتجوا جملا نادرا ما توجد في اللغة المنطوقة بالفعل.

– اعتمد المعياريون على اللغة المكتوبة أساسا للبحث، ويرد ون إليها كل ظواهر اللغة المتكلمة ويندر أن نجد أيا منهم في تناوله للجزئيات يؤسس تتابعه على الملاحظة العلمية أو الاستقراء بالإضافة إلي أنهم ركزوا على دراسة لغات قديمة لم تعد موجودة بالفعل.[6]

– تهدف الدراسات المعيارية إلي تقديم قواعد تعصم اللسان أو القلم من الخطأ واللحن وتفيده بمستوى لغوي محدد يجب الحفاظ عليه ويمتنع الخروج عنه، وترسم له حدودا لما ينبغي أن يقوله، وهذه الحدود مستخلصه من كتب القواعد وأقوال اللغويين.[7]

وظل هذا المنهج مسيطرا على اتجاهات البحث اللغوي في الشرق والغرب ولم تتزعزع مكانته إلا بعد ظهور المناهج اللغوية، وهذا لا يمنع كونه المنهج المعتمد في مجال التعليم والتلقين حتى الآن في أكثر بلاد العالم، وهذه السمات المنهجية عرفت في الدراسات النحوية

[4] احمد حبلص، من أسس علم اللغة، دار الثقافة العربية، 1997، ص 151-152

[5] روبنز، الموجز في تاريخ علم اللغة، تر : احمد عوض، عالم المعرفة ، الكويت،1997، ص 130.

[6] محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، دار الفكر العربي، 1998، ص135.

[7] المرجع نفسه، ص136.

للغة العربية إذ حددوا قواعد الخطأ والصواب في اللغة فوضعوا مؤلفات لتقويم اللسان وما يخالف ذلك المنهج لا يؤخذ بها.[8]

وقد أدى إتباع هذا المنهج عند علماء العربية إلى إيقاف البحث اللغوي الذي يساير اللغة في تطورها، فقد أوقفوا الاستشهاد باللغة عند منتصف القرن الثاني الهجري في البادية وعند القرن الرابع الهجري في المدن(الحضر) وأخذوا اللغة عن قبائل، ولم يأخذوها من قبائل أخرى .وحكموا على ما جاء بعد هذه الفترة المحددة، وعلى ما جاء على ألسنة القبائل التي لم يأخذوا عنها اللغة بفساد اللسان وباللحن في اللغة.[9]

3-2. المنهج الوصفي: ونعني بالمنهج الوصفي: وصف لغة معينة في مكان محدد وزمان محدد وصفا دقيقا أمينا لا دخل للباحث فيه، فيصف هذه اللغة في مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية أو في إحدى هذه المستويات.

وظهرت إرهاصات هذا المنهج الوصفي في فترة تاريخية مبكرة تسبق الميلاد بقرنين على الأقل، وذلك من خلال وصف اللغويين الهنود للغة السنسكريتية، فقد جاء وصفهم منطلقا من اللغة ومنتهيا إلى نتائج لغوية خالصة تصف بدقة كل جوانب هذه اللغة، فقد استفاد بعض اللغويين في القرن الثامن عشر منة هذه الوجهة الوصفية في مقارنة اللغات الأوربية باللغة السنسكريتية، ولما ازداد الاهتمام باللغة المنطوقة في القرن التاسع عشر أدى هذا الاهتمام إلى ظهور علم اللغة الوصفي **Descriptive Linguistics** كعلم يعطي اهتماما كبيرا للغات الحية المتكلمة ويقلل من الاهتمام بالشواهد المكتوبة، غير أن الميلاد الشرعي لهذا العلم ظل ينتظر إلى ما بعد نشر كتاب دي سوسير(محاضرات في علم اللغة)، وفي هذا الكتاب تحددت ملامح هذا المنهج، وقد أثمر ذلك اتجاه الدراسات الوصفية في أمريكا نحو اكتشاف اللغات المجهولة من المجموعة الهندية الأمريكية مع الاهتمام بالنزول إلى

[8] نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي، بين القدماء المحدثين، دار الوفاء ،الاسكندرية، ، 2006، ص127-128.

[9] انظر،احمد عزة البيلي، محاضرات في علم اللغة العام، ص194.

حقل التجربة، واتجه الأوربيون إلى دراسة اللهجات التي ظلت تعاني زمانا طويلا من الإهمال والتجاهل.

ولقد أخذ دي سوسير على بعض الدراسات أنها أهملت دراسة اللغة من واقع النشاط الفعلي لمتكلميها، كما أخذ عليهم إدخال العوامل التاريخية في أحكامهم التي تتصل باللغة المعاصرة وأخذ على البحوث المقارنة أنها لم تقدم إلا مجموعة من الفروض وأرى أن اللغة يمكن مقارنتها بدراسة من دراستين:

- الدراسة (الوصفية): وتعني : وصف حالة للغة معينة في فترة زمنية محدودة.
- الدراسة (التاريخية): وتعني: وصف التطور التاريخي للغة معينة عبر الزمن.

وقد اعتمد المنهج الوصفي على اللغة المنطوقة، لكونه يهتم بوصف الظواهر اللغوية كما هي موجودة بالفعل وليس كما ينبغي أن تكون ومن ثمَّ عمد إلى وصف لغات حية ولا يعني ذلك إهماله للغة المكتوبة، وإنما الاهتمام بالمنطوق كان أكبر وأوسع من الاهتمام بالمكتوب.[10] وبالرغم من انتساب المنهج الوصفي إلى(دي سوسير) وهو من علماء القرن العشرين إلا أن العرب وقبلهم الهنود قد انتهجوا هذا المنهج، إذ اعتمد العرب في دراسة لغتهم على الرواية والمشافهة من ذوي الثقة والأمانة، وحددوا البيئة التي يدرسون لغتها، وقصروها على بوادي نجد وتهامة والحجاز، وان كان يؤخذ عليهم أنهم لم يفرقوا في جمعهم بين(اللغة الفصحى) المشتركة بين القبائل و(اللهجات) الخاصة بكل قبيلة على حدة.

وكذلك تحديدهم فترة زمنية محددة كما ذكرنا من قبل، وكذلك خلطهم بين المستويات اللغوية المختلفة (الشعر أو النثر أو اللهجات الخاصة) فخلطوا بين شواهد الشعر والنثر في استنباطهم قواعد عامة تشملها معا، فهذا مستوى من اللغة وذاك مستوى آخر ولكلٍ خصائصه التي تميزه عن صاحبه.[11]

[10] محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، ص335-136.

[11] المرجع نفسه، ص 140.

- **ويمكن حصر أسس المنهج الوصفي فيما يلي:**[12]

– يعمد أنصار هذا المنهج إلى دراسة اللغة المنطوقة، لكونها أصدق في الوصف والوقوف على خصائصها وخاصة الصوتية منها، كما لا يهملون اللغة المكتوبة وان كان اهتمامهم بالمنطوقة أوسع وأعم.

– تحديد بيئة معينة أو مكان محدد لدراسة الظاهرة حتى لا تختلط اللغات أو لهجات اللغة الواحدة بعضها ببعض، ومن ثّمَّ عرف عندهم مصطلح (الراوي اللغوي) الممثل لبيئته الكلامية وجغرافيتها ساحلية كانت أو جبلية، كما كان ممثلا لبيئته الاجتماعية وطبيعته التي ينتمي إليها[13] والذي كان ممثلا للغته الطبيعية والتلقائية دون أي مؤثر أجنبي، كما اتسم منهج القدماء بالتقريرية التي هي سمة من سمات المنهج الوصفي عند المحدثين، ومن ذلك قولهم: هكذا قيلت، وهكذا سمعت، وكلمة الكسائي في هذا الشأن مشهورة حين سئِل في مجلس يونس عن قولهم: "لأضربن أيهم يقوم؛ لم لا يقال: لأضربن أيهم؟ فقال: هكذا خلقت[14] ولم تقتصر دراسات القدماء للغة على مستوى واحد، وإنما شملت ما يدعو إليه المنهج الحديث فدرسوا الأصوات والصرف والنحو والدلالة، وإن جاءت مختلطة فيما بينها في بعض منها.

– تحديد مستوى لغوي معين يدرسونه دون الخلط بينه وبين غيره من المستويات، حتى لا يؤدي إلى نتائج غير صحيحة، والمستويات اللغوية هي: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

– وصف الظواهر اللغوية كما هي موجودة بالفعل، بغض النظر عن الخطأ فيها والصواب لأنهم يصفون الظواهر وصفا علميا دقيقا أمينا، ومن ثم فهم لا يقدمون معايير تفرض على المتكلمين لعدم ملائمة ذلك مع المنهج الوصفي ويمكن اعتبار الأطالس اللغوية نموذجا

[12] نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي، بين القدماء المحدثين، ص130-132.

[13] عبد الغفار حامد هلال، مناهج البحث في اللغة و المعاجم، القاهرة: 1991، ص16-18.

[14] احمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويمي، بيروت، 1963 ، ص196.

للدراسة الوصفية عند المحدثين، فهي لا تعرض علينا سوى الواقع اللغوي مصنف دون تدخل من الباحث لتفسير ظاهرة، أو تعليل لاتجاه لغوي هنا أو هناك.وغالبا ما تنصب هذه الدراسة الوصفية على اللغات واللهجات المعاصرة، وان كان بعض العلماء قد قاموا بمحاولات لدراسة اللغة دراسة وصفية في زمن معين في الماضي، فأية دراسة صوتية أو صرفية أو تركيبية أو دلالية لإحدى اللهجات القديمة أو الحديثة، تعد دراسة وصفية.[15]

- **يهدف المنهج الوصفي إلى:**

– رصد الظواهر اللغوية ووصفها وصفا كاملا بما يتناسب مع اللغة المنقوطة، حتى ولو كانت شاذة في القاعدة فالأصل في المسموع وليس في المقيس.

– الاستدراك على القدماء بما لم يذكروه من مواد معينة من خلال ما تصل إليه الدراسة الوصفية من نتائج، وذلك بناء على دراسات كوصف لغة الشعر والنثر والأرجاز فتظهر ألفاظ لم يذكرها المعجمي ون في معاجمهم.[16]

3-3. المنهج التاريخي: ونعني به دراسة اللغة في مكان معين وذلك عبر فترات زمنية متعاقبة والوقوف على مدى التغير والتطور في هذه اللغة عبر الزمن في مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية و الدلالية، ففي سنة 1867 م أخرج اللغوي الأمريكي وتني كتابه" اللغة ودراسة اللغة"، وأعقب ذلك في عام1874 م بكتاب آخر هو" حياة اللغة ونموها"، وفي سنة 1881 م ظهر كتاب جديد للغوي، آخر هو هيرمان بول بعنوان" أسس التاريخ اللغوي "وهذه الكتب الثلاثة تعد من العلامات البارزة في تأصيل المنهج التاريخي، ولاسيما كتاب هيرمان بول الذي يعد عملا نموذجيا فيما يختص بطرق البحث في علم اللغة التاريخي، وفي هذا الكتاب نرى توضيحا بواسطة الأمثلة لعلمية التطور اللغوي التي كشفت عنها الدراسات الهندية الأوربية.

[15] لرمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ، ط2، القاهرة،1982 م، ص183.

[16] لمحمود سليمان ياقوت، مناهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، 2000م، ص29.

وينطلق البحث في هذا المجال من منطلق أن اللغات جميعا في حركة مستمرة عبر الزمن، وهي من خلال هذه الحركة تتغير، والتغير يصيب اللغة في كل مستوياتها ومن المنظور السابق يتحدد مجال علم اللغة التاريخي في رصد ما يصيب لغة بعينها أو مجموعة من اللغات خلال عمرها الزمني الطويل، وقد امتدت طموحات هذا العلم قديما إلى محاولة الوصول إلى اللغة الأم، وبعد أن اكتسب تحديده المنهجي أصبح مجاله محدودا في محاولة رصد ما أصاب لغة بعينها من تطور على امتداد التاريخ.[17]

ويعتمد المنهج التاريخي على دراسة اللغة من حيث كونها ظاهرة متغيرة لا تعرف الثبات، إنما تتطور وتتغير بشكل مستمر في جميع مستوياتها (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية)، محاولا رصد الحركة العامة لهذا التغيير، مبينا ضوابطه[18] كما يعتمد المنهج التاريخي على اختيار بيئة مكانية معينة لرصد التغيير اللغوي في ظاهرة معينة، ومستوى لغوي بعينه في لغة هذه البيئة، متتبعا هذا التغيير عبر فترات زمنية مختلفة كأن يدرس دلالة كلمة (المغفرة) مثلا في العصر الجاهلي، ثم يتبعه بالوقوف على دلالتها في العصر الإسلامي، ثم الأموي فالعباسي، وذلك باستخدام المنهج الوصفي الذي يصف الدلالة ويقف على خصائصها في كل عصر من هذه العصور، ثم يتبعه المنهج التاريخي لرصد ظواهر التغيير في دلالة الكلمة عبر تلك العصور.

وقد عرف هذا البحث عند المحدثين بمصطلح **(Etymology)**[19] وهو علم تطور الكلمات من حيث استعمالها ومعرفة تاريخها، وذلك من خلال دراسة النص محاولا الغوص في ألفاظها ومعرفة أعماقها ليصل إلى أقدمها حتى يمكنه أن يرى استخدام الشاعر مثلا للكلمة، بل يتجاوز ذلك إلى البحث في العائلات المتشابهة من اللغات لملاحقة معنى الكلمة وتطورها التاريخي.

---

[17] لأحمد عزت البيلي، محاظرات في علم اللغة العام، ص184-185.

[18] احمد حبلص، من أسس علم اللغة، ص 253.

[19] لمحمود سليمان ياقوت، مناهج البحث اللغوي، ص 109.

ولا يكتفي في هذا الدرس بالاعتماد على المعاجم فحسب، بل يدرس النصوص في أقدم مضامينها، وقد أدت هذه الدراسة عند المحدثين إلى دراسة النصوص التراثية القديمة وشرحها وتحقيقها وذلك من خلال الرجوع إلى أقدم المصادر اللغوية المعينة على ذلك، وقد استدلوا على نجاح هذه الدراسة باكتشافهم أن العربية الشمالية والعربية الجنوبية واللغات السامية في الحبشة باعتبارها تكون الفرع الجنوبي من أسرة اللغات السامية، لأن هذه اللغات أكثر تشابها وتشترك في صفات أكثر من الصفات التي تشترك فيها مع باقي اللغات السامية.[20] وعلى الرغم من أن العرب القدماء لم يدرسوا الظواهر اللغوية دراسة تاريخية، إلا أنهم نظروا إلى اللغة على أنها ظاهرة متطورة متجددة، وذلك التطور يحدث لمتابعة كل ما هو جديد فرصدوا الدخيل في العربية من الألفاظ الأعجمية، كما وقفوا على ما يعرف بالاشتقاق والنحت والقياس، وكلها روافد تثري العربية وتنمي ألفاظها وتجدد أساليبها.

ومن أوائل الذين وقفوا على هذا وعلموه ابن جني(ت 392 هـ) في كتابه" الخصائص " والثعالبي(ت 431 هـ) في كتابه" فقه اللغة وسر العربية"[21] .هذا بالإضافة إلى تغير اللغة الحادث نتيجة انتقالها من جيل إلى جيل، أو إلى عوامل اجتماعية ونفسية وأدبية أو الاحتكاك باللغة المجاورة، فهناك مثلا ألفاظ ماتت واندثرت لعدم تداولها بعد العصر الجاهلي، من ذلك(المرباع والنشيطة والفضول) كما أن هناك ألفاظا ولدت في ظل الإسلام بدلالتها الجديدة ومن ذلك (الصلاة ... الخ) فكان معناها الصلو والتابع، فأخذت دلالة جديدة هي المعرفة بأداء فريضة معينة تقربا إلى الله، ومثلها الإيمان والكفر والزكاة والحج والنفاق.

وكما هو معلوم أن علماء اللغة المحدثين قد رفضوا الدراسة التاريخية والمقارنة التي سادت البحث اللغوي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، والتي كانت مرتبطة بمنهج العلوم الطبيعية ولاسيما نظرية داروين في النشوء والارتقاء، حيث صنفوا اللغة إلى أنواع

[20] محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن، في ضوء التراث واللغات السامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، بلا تاريخ، ص120.
[21] لعبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت، 1972 م، ص177.

وفصائل مثل كل الكائنات الحية، ودعوا إلى الدراسة الوصفية لملاءمتها ومتطلبات البحث العلمي وكان ذلك لأمور:

– إن ما يجب أن يشغل عالم اللغة هو كيفية الاستفادة من نتائج علم اللغة النظري في المجالات العلمية، أو ما يعرف بعلم اللغة التطبيقي لكون الدراسة التاريخية غير مجدية في نظرهم.

– إن الدراسة التاريخية لا تتناسب مع خطوات المنهج العلمي، ومن ثم لا يمكن تطبيقه عليها لكونها غير قابلة للتجريب.[22]

– البحث التاريخي يعتمد على المكتوب والمدون وليس المنطوق، لكون اللغة المكتوبة أوثق وأثبت في البحث كما أن وسائل تسجيل المنطوق لم تكتشف إلا حديثا، ولذلك يجب على الباحث التاريخي أن يكون محتاطا ويغلب الشك على اليقين في أغلب الأحيان، ويدعم أقواله بآراء السابقين، كما يزود معارفه بثقافة المنطوق في دراسة ميكانيكية النطق والسمع.[23]

ومن الجدير بالذكر التنبيه إلى أن هذه المآخذ تختلف من لغة إلى أخرى، فالتغير الذي طرأ على الإنجليزية السكسونية يعد شديدا قياسا بالإنجليزية المعاصرة على حين تكون حركة التغير للعربية الفصحى في العصر الجاهلي ومقارنتها بالفصحى الحديثة أقل من مثيلاتها وذلك لوجود القرآن الكريم، الذي حفظ اللغة الفصحى بمفرداتها وتراكيبها ودلالالتها منطوقة ومكتوبة ساعد ذلك على استقرار العربية وعدم تغييرها إلا بالقدر القليل.

وأخيرا يمكن وصف الدراسة التاريخية بأنها تتميز بفاعلية مستمرة، وذلك لخضوعها للتغير عبر الزمان والأمكنة، وهذه سمة فطرية في اللغات ترجع لعوامل تاريخية مختلفة إضافة إلى أن هذا التغير يحدث في كل الاتجاهات، ولكن ليس على مستوى واحد أو طبقا لقوانين ثابتة ومن ثم علينا استثمار نتائج الدراسة التاريخية في جلاء الغموض عما يكتشف

[22] محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، ص148.

[23] المرجع نفسه، ص150.

من وثائق لغوية مدونة خلال العصور القديمة، ولاسيما أنها كانت تخضع للأحكام الفرضية غير اليقينية.[24]

- **بين المنهجين التاريخي والوصفي:**

تلخص العلاقة بين المنهجين عبارة مشهورة تقول" :إن كل تاريخ يشتمل بالضرورة على الوصف، والعكس ليس صحيحا "وتوضح هذه العبارة أن من يرصد اللغة عبر فترات أو مراحل زمنية معينة عليه بالضرورة أن يعتمد على وصف مستقل لكل مرحلة أولا، ثم يأخذ بعد ذلك في استخلاص ما طرأ على اللغة من تطور، أما من يعمل المنهج الوصفي في لغة من اللغات فليس مطالبا بمعرفة شيء على الإطلاق عن تاريخ هذه اللغة.

فالوظيفة الأولى لعلم اللغة الوصفي هي أن يصف، ولعلم اللغة التاريخي هي أن يعرض التغيرات اللغوية عبر الزمن، وكمال المنهج التاريخي ودقته لا يتحققان إلا إذا اعتمد على الوصف الدقيق القائم على الاستقراء المستوعب لكل أمثلة الظاهرة اللغوية موضع الدراسة، أما الدارس للغة بحسب المنهج الوصفي الذي يسمح لمعلوماته التاريخية أن تؤثر على دراسته الوصفية فلابد أن يفسد ويشوه الحقائق التي يتوصل إليها.[25]

3-4. المنهج المقارن: المنهج المقارن نشأ بناء على افتراض أن لغات العالم عبارة عن فصائل لغوية، وكل فصيلة تشعبت إلى عدة لغات متفرعة عنها، وعالم اللغة من خلال هذا المنهج يقارن بين لغتين أو أكثر في فصيلة لغوية واحدة بهدف رصد التشابهات بين هذه اللغات لإعادة بناء اللغة الأم التي تشعبت عنها هذه اللغات، وهذه اللغة الأم تعتبر لغة افتراضية يحاول عالم اللغة من خلال هذا المنهج إعادة بنائها.

بدأ هذا العلم في بداياته العمل من خلال منهج بسيط يعتمد على الحصول على مجموعة من أقدم الكلمات لكل فرع من فروع الهندية الأوربية ثم وضعها بعضها بجانب بعض ووصف ما بينها من تشابهات واختلافات، ثم استخلاص الأشياء المشتركة ووضعها

[24] نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي، بين القدماء المحدثين، ص132-135.

[25] لأحمد عزت البيلي، محاضرات في علم اللغة العام، ص186.

في قائمة واحدة على أنها الصيغة المحتملة للغة الأم بالنسبة للغات اللاتينية واليونانية والسنسكريتية والسلافية القديمة، والكلتية القديمة، تلك اللغات التي قرَّ في وعيهم من قبل أن بينها تشابها وقرابة، أي أنهم انطلقوا من هذه الصلات والتشابهات اللغوية إلى محاولة ربط هذه اللغات بلغة أم واحدة مع محاولة تصور شكل هذه اللغة، وامتدت هذه البحوث فيما بعد لتشمل اللغات السامية مثل العربية والعبرية والأكادية ...الخ.

إن من أعظم ثمرات هذا العلم تلك التصنيفات التي تقسم اللغات إلى فصائل بحيث أصبح من المتيسر الآن على الباحثين أن ينطلقوا بالبحوث المقارنة إلى أفاق أرحب لأن البحث المقارن الآن أصبح يشمل كل دراسة تبحث تفسير بعض الظواهر اللغوية في لغة معينة في ضوء تشابهها مع ظواهر لغوية مماثلة في لغة أخرى تشاركها نفس الأصل اللغوي وهي بهذا تسد بعض الثغرات التي تظهر في طريق البحث التاريخي.[26]

ومن المعروف أن اللغات تنتمي إلى أصول وعائلات تتفرع عنها، فإذا قام الباحث بدراسة أي من الظواهر الصوتية، والصرفية والنحوية والدلالية، بين لغتين تنتميان إلى أسرة لغوية واحدة أو فرع من تلك الأسرة؛ كان مقارنا، إذن المنهج المقارن يعني:" المنهج الذي يقوم على البحث في لغتين أو أكثر بالكشف عن الأصول المشتركة بينهما " مثل" العربية والعبرية "أو" العربية والآشورية "فكلتا المجموعتين ترجعان إلى أصل واحد يجمعهما وهو ما يعرف بالأصل السامي أو اللغات السامية، وهي إحدى فروع الأسرة (الأفريقية الآسيوية).

- تهدف الدراسة المقارنة إلى:[27]

– إعادة بناء الأصل المشترك بين (اللغة الأم) التي تنتمي إليها اللغتان المدروستان، وهذا الأصل ليس موجود في الواقع إنما هو من اختراع اللغويين وتصورهم.

– الوقوف على التغيرات اللغوية التي تحدث لأي من اللغتين المدروستين عبر الزمن.

[26] لأحمد عزت البيلي، محاظرات في علم اللغة العام، ص189.

[27] نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي، بين القدماء المحدثين، ص136- 142

– قد يكون المراد من هذه الدراسة الوقوف على مظاهر الاتفاق والاختلاف بين اللغتين المدروستين في شكلهما الحديث.

– يمكن الاستفادة من نتائج الدراسة المقارنة في تعلم اللغات المختلفة وتعليمها بطريقة ميسرة.

– استقصاء جوانب المقارنة بين اللغتين المدروستين صوتيا وصرفيا ونحويا ومعجميا، ومن ثمَّ أمكن الوصول إلى درجات الاختلاف التي أدت إلى انشعاب لغة من أخرى.

– يمكن تحديد درجة علاقة الماضي بالحاضر من الفرعين اللغويين وهي دراسة تطبيقية تتعرض للصواب والخطأ، وتعتمد على استنتاجات اللغوي وفهمه الدقيق وأخيرا تهدف هذه الدراسة إلى تأصيل المواد اللغوية في المعاجم، على نحو ما أنجزه الأوربيون مثل معجم المترادفات في اللغة الهندية الأوربية الذي صنفه (بك **Buck**) طبقا للمعاني.[28]

ومما لاشك فيه أن العرب القدماء لم يدرسوا لغتهم دراسة مقارنه لاعتقادهم الشائع بأن العربية من أشرف اللغات وأفضلها، وذلك لكونها لغة القرآن الكريم، إلا أننا لا نعدم بعض الإشارات التي جاءت عرضا في مؤلفاتهم تشير إلى هذا النوع من الدراسة وان لم تكن بالمعنى العلمي الذي عرفت به حديثا، ومن ذلك ملاحظات الخليل بن احمد(ت 175-176هـ) لما قارن بين العربية والكنعانية وذكر أنهما متضارعتان،[29] كما عرّف أبو عبيد القاسم بن سلام(ت224هـ) اللغة السريانية، وأداة التعريف فيها وهي الفتحة الطويلة في أواخر كلماتها، كذلك قارن الثعالبي(ت 431 هـ) بين العربية وغيرها من اللغات الفارسية واليونانية، وان كان ذلك يعد من الدراسة التقابلية؛ لكون اللغتين المدروستين لا تنتميان إلى أسرة لغوية واحدة .وكذلك التفت السهيلي إلى الشبه بين العربية والسريانية فيقول:"وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي أو يقاربه في اللفظة."[30]

---

[28] لمحمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب،2001، ص99.

[29] انظر للخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق عبد الله درويش، بغداد، 1967 م205/1

[30] لرمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص202.

وقد ذكر **د.أحمد مختار عمر** بعض نحاة عرب الأندلس الذين عرفوا في(القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي) مبينا جهودهم في الدراسات المقارنة بين العربية والعبرية، ومن هؤلاء(ابن بارون) و(جودة بن قريش) اللذان صاغا النحو العبري على نهج النحو العربي في تقسيم أبوابه وأسماء مؤلفاته.

وأما(**ابن بارون**) فقد ألف كتابا في نهاية القرن الحادي عشر بعنوان" الم وازنة بين اللغة العبرية والعربية"، وقد خصص الكتاب للدراسة المقارنة بين اللغتين من جانبي اللغة والنحو واهتم ببيان أوجه الشبه والاختلاف وهو مقسم إلى قسمين: فالقسم الأول مخصص للنحو المقارن، والقسم الثاني يضم معجما مرتبا ألف بائيا لجذور الكلمات الواردة في الكتاب المقدس والتي لها مقابل عربي وتبعا لعهده رتب (ابن بارون) القسم المعجمي(التالي لقسم النحو) ألف بائيا، وقد ذكر(ابن بارون) أوجه التشابه بين اللغتين(العبرية والعربية) محددا إياها في النقاط الآتية:

- التشابه في الخط واللفظ والمعنى.
- التشابه نتيجة لتعاور الحروف المتشابهة المخارج.
- التشابه نتيجة لتعاور الحروف المتجاورة.
- التشابه نتيجة التصحيف.[31]

وقد انتهت دراسة (ابن بارون) إلى نتيجة مجملها أن" العربية والعبرية والسريانية " متقاربات الاشتقاق والتصريف والألفاظ، وذلك كقرب مزاج أهلها ولقربهم في الإقليم، وهذان العاملان المذكوران هما ما عرفا عند المحدثين ب(التأثير الثقافي) و(التأثير الجغرافي)، وإن كان لم يلتفت إلى مفهوم السلالات وإرجاع اللغات الثلاثة إلى لغة أم تجمعها.

أما الدراسات المقارنة عند المحدثين فقد عرفت على يد السير" **وليم جونز** (174هـ-1794)" الذي كان يعمل قاضيا بمقاطعة البنغال بالهند، فقد اكتشف السنسكريتية وتوصل

[31] لأحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، 1998 م، ص333-334.

إلى أوجه الشبه بينها وبين كثير من اللغات الأوربية مما جعله يحكم بأن السنسكريتية وكثير من اللغات الأوربية تنتميان إلى أسرة واحدة أسماها بالأسرة (الهندية الأوربية)، وذلك من خلال الدراسات التي قدمها عن العلاقات القوية بين السنسكريتية والفارسية القديمة وبين اللاتينية والجرمانية والكلتية والتي تعد بمثابة الريادة للمنهج المقارن الذي أخذ يحتل عالم الدراسات اللغوية طوال المائة العام التالية أو أكثر، وبالرغم مما قام به جونز من دراسات إلا أنه لم يصل إلى المقارنات اللغوية وتطبيقها بمنهجية علمية، وان كان قد هيأ لظهور هذا المنهج.

ثم جاء **فرانز بوب** (1791-1867م) الذي يعد مؤسس النحو المقارن وكان له الفضل في كون اللسانيات صارت علما معرفيا يتسم بالنظامية والاستقلال، حين أخرج بحثه الخاص بتصريف الأفعال في اللغات السنسكريتية والإغريقية واللاتينية والإيرانية والجرمانية. كما كان (بوب) أول من أكد أن قضية الروابط المتبادلة بين اللغات الهندية الأوربية يمكن أن تصبح موضوعا لدراسات خاصة، ثم عاد بوب مرة أخرى سنة 1833م ليقدم بحثه المستفيض الخاص بالنحو المقارن للغات الهندية الأوربية.

وجاء"**راسك**"(1787-1832) الذي أوضح أن الكلمات في اللغات الجرمانية ذات قرابة شكلية منظمة بكلمات اللغات الهندية الأوربية من الناحية الصوتية، وكان"راسك " معاصرا ل"بوب"، إلا أن راسك لم ينل شهرة (بوب) وذلك لأن راسك دعا إلى تطبيق المعايير التاريخية في البحث اللساني، ومن ثمَّ عدَّ عند الكثيرين مؤسس اللسانيات التاريخية.[32]

ثم ظهر **يعقوب جريم**(1785- 1863م) الذي اعتمد على الاستقراء مقاربا الخصائص النحوية لمجموعة اللغات الجرمانية كلها:(القوطية والألمانية والهولندية والإنجليزية والفريزينية واللغات الإسكندينافية)، وذلك في عام1819م في كتابه (النحو الألماني) والذي أضاف في طبعته الثانية مقارنة بين الصوامت الجرمانية والصوامت

[32] لمليكا إفينش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل، المركز الأعلى للثقافة، الطبعة الثانية،2000 م، ص40-49.

المناظرة لها في اللغات الهندية الأوربية الأخرى، وأرسى فكرة وجود قواعد ثابتة تحكم هذه العلاقات "وهو ما يعرف في اللسانيات باسم قانون جريم."[33]

واستمرت البحوث المقارنة بعد ذلك على يد سليتشر وكارل برجمان ودلبروك وغيرهم فتوصلوا إلى التصنيف السلالي للغات، وهو الذي يقسمها إلى ثلاث أسر كبيرة" هندية أوروبية "و"إفريقية أسيوية"، و"طورانية "، وكل أسرة منها تتفرع إلى فروع أصغر منها إلا أن هناك رابطا يجمعها هو اتفاقها في البنية والشكل.

وقد حظيت الأسرة السامية – وهي من العائلة الإفريقية الأسيوية – باهتمام علماء اللغة الغربيين ولاسيما في أوروبا، إذ قدموا دراسات مقارنة لنحو اللغات السامية، والذي ساعدهم على ذلك تمكنهم من تعلم أكثر من لغة من تلك الأسرة، ومن أشهر العلماء (شولتسر) الذي قارن بين العربية والعبرية، ومن بعده(نولدكه) في مقارنته بين العربية و الآرامية، وكذلك قدم (وليام رايت **William Right**) و(لندبرج **Lindberg**) دراسات في النحو المقارن للغات السامية.

ثم جاء ذلك عملاق هذا الفن المستشرق الألماني **كارل بروكلمان C.Btockelmann** فألف كتابه الضخم "الأساس في النحو المقارن للغات السامية "في ج أ زين، كما ألف كتابا آخر من بعده عنوانه" فقه اللغات السامية "وكل من جاء بعده عالة عليه مثل (أوليري) **Olaery Delacy**، و(برجشتراسر **Bergstrasser**) الذي ألف كتاب (التطور النحوي للغة العربية) مقارنا فيه بين العربية وأخواتها الساميات ثم جاء من بعده (موسكاتي **Moscati**) الذي ألف كتابا بالإيطالية ثم ترجمه إلى الإنجليزية، ومع تقدم هذا الفن في الغرب إلا أنه ما زال فنا جديدا في الشرق لعدم التمكن من تعلم اللغات السامية واتقانها إلا للقليلين، فلم يعرف المحدثون العرب هذا المنهج إلا في مطلع القرن العشرين، وذلك عندما افتتحت الجامعة المصرية استعانت بمجموعة من المستشرقين في هذا الفن ومن أهمهم برجشتراسر و ليتمان وقررت اللوائح الجامعية تدريس مقرر اللغات الشرقية بأقسام اللغة العربية بكليات الآداب، ثم

[33] لمليكا إفينش، اتجاهات البحث اللساني، ص50.

أنشئت أقسام خاصة للغات الشرقية، ومن ثم عرفت البحوث المستقلة والمتخصصة في اللغات السامية وأجريت المقارنات وظهر ما تعرف بالنحو المقارن للغات السامية،[34] ولا ننسى في هذا المقام ما قدمه اللغوي البارع الدكتور رمضان عبد التواب– رحمه الله– من دراسات مقارنة في كتابه" المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي "بين العديد من اللغات السامية كالعربية والعبرية والحبشية والآرامية والآشورية والأكادية، في العديد من الظواهر الصوتية والصرفية مثل(أبنية الفعل، وأدوات التعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث وإسناد الأفعال إلى الضمائر، والأفعال المعتلة) والنحوية أيضا.

- **علاقة المنهج المقارن بالمنهجين الوصفي والتاريخي:**[35]

المنهج المقارن يعتمد بصورة مباشرة على المنهج الوصفي، فأية دراسة مقارنة لابد وأن تسبق بوصف لغوي لكل لغة على حدة، وبمقتضى هذا الوصف يتسنَّى للباحث أن يجري مقارناته وأن يستخلص نتائجه، فمن المستحيل إجراء مقارنة بين طرفين مجهولين أو بين طرف معلوم وآخر مجهول، وهنا تأتي حتمية الوصف كشرط أساسي لعلم اللغة المقارن.

ومن الملاحظ اعتماد الدراسة المقارنة على المنهج التاريخي، حيث تقتضي الدراسة المقارنة تتبع الظواهر المشتركة في لغتين أو أكثر من عائلة واحدة، وهذا يعني أن الدراسة المقارنة شكل من أشكال الدراسة التاريخية لأنه ينطلق من فرضية أن لغتين أو مجموعة من اللغات تنتمي إلى أصل واحد، وهذا يعنى ضمنا أن تطورا ما قد أصاب هذا الأصل وأدَّى إلى هذا الانقسام.

3-5. المنهج التقابلي:[36] يقوم هذا المنهج على عقد مجموعة من المقارنات اللغوية بين لغتين تنتميان إلى فصيلتين لغويتين مختلفتين كالعربية واليابانية، أو الصينية أو الفرنسية أو الإنجليزية أو الأسبانية، وهذه المقارنات تشمل جميع المستويات اللغوية للغتين المتقابلتين

[34] نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي، بين القدماء المحدثين، ص136-144.

[35] محاضرات في علم اللغة العام، ص190-191 و من أسس علم اللغة، ص255.

[36] محمد حبلص، مقدمة في علم اللغة، لدار الثقافة العربية 1997 م، ص 239.

ونعني بالمستويات (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية)، لذا عرّفه المحدثون بأنه: دراسة لغتين أو أكثر تنتميان إلى أسرتين لغويتين مختلفتين للوقوف على مواضع الاختلاف بينهما لتيسير عملية التعلم.

- **نشأته:** مع التقدم العلمي والحضاري الذي عم كثيرا من بلاد العالم، ومع التقدم الهائل في أجهزة الاتصال بدأ العالم يشعر بأهمية تبادل العلاقات والخبرات والثقافات بين شعوبه أخذ إنسان هذا العصر يحاول هدم ما تبقى من عوامل العزلة وعوامل الاختلاف التي تتجلى في أوضح صوره في اختلاف اللغات، فازداد الإقبال على تعلم اللغات الأجنبية، وبدأت المدارس والجامعات تفسح مكانا بين مناهجها لتلبية الحاجة المتزايدة لتعلم هذه اللغات ولم يقف علماء اللغة موقف المتفرج من هذه المتغيرات، بل أقبلوا يشاركون بدورهم في تسهيل عملية تعلم اللغات الأجنبية من خلال ابتكار منهج لغوي جديد هو علم اللغة التقابلي.

ولما كان الإنسان اجتماعيا بطبعه، أي لا يستطيع الحياة منفردا فهو في اتصال وتواصل بينه وبين الآخرين، ولما كانت اللغات والألسنة متعددة شعر الإنسان بحاجته إلى تعلم اللغات الأخرى لتحقيق التواصل، ومن ثم تطلب ذلك الوقوف على مواضع الاختلاف بين لغة المتكلم الأصلية واللغة المراد تعلمها وهذه الدراسة تعرف بالمنهج التقابلي ومن المعروف أن المتكلم في تعلمه للغة جديدة يتأثر بعاداته النطقية والتركيبية في لغته الأم وذلك لأن أعضاء النطق وكذلك الجزء الخاص باللغة في العقل حدث لهما أمران:

– تكيف كل منهما على النظام الخاص باللغة الأم بمستوياتها كلها (صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية).

– حدث بين العقل وأعضاء النطق ما يسمى بالتوافق الذهني والعضلي في القدرة على أداء اللغة الأم، ولنتخذ مثالا لنتعرف على الفرق الصوتي بين العربية والإنجليزية: فصوت الباء في العربية صوت واحد (فونيم واحد) على حين نجد له في الإنجليزية صوتين مختلفين – **B) P(** ولكل منهما فونيم له خصائصه النطقية.

وعلى المستوى التركيبي: فالتركيب الوصفي في العربية يأتي الموصوف أولا ثم تأتي الصفة فنقول:(كتاب جديد) على حين يحدث العكس في الإنجليزية تأتي الصفة أولا ثم يأتي الموصوف فنقول (**New Book**): فيترجمها العربي طبقا لعادته التركيبية في لغته فيقول: (جديد كتاب).

- **الأسس التي تعتمد عليها الدراسة التقابلية هي:**[37]

– تحديد لغتين مختلفتين تنتميان إلى أسرتين لغويتين مختلفتين"العربية الفرنسية"، أو "الإنجليزية واليابانية"، أو"العبرية والفارسية."

– تحديد مستوي معين للدراسة في كلتا اللغتين كمستوى الفصحى أو العامية.

– تحديد مواضع الاختلاف بين اللغتين المدروستين بعد وصف كل منهما على حدة.

– يقوم الباحث التقابلي بدراسة الظاهرة المقصودة دراسة وصفية في كل لغة على حدة، ثم يقابل بين اللغتين في نتائج الدراسة الوصفية؛ فيصل إلى مواضع الاختلاف بينها ومن ثم تعتمد الدراسة التقابلية على المنهج الوصفي أولا بوصف كل منهما على حالتها الراهنة، وثم التقابلي ثانيا بتحديد أ وجه التشابه والاختلاف بينهما مع التركيز على جوانب الاختلاف.

– تكمن أهمية الدراسة التقابلية في تيسير عملية الترجمة عن طريق إيجاد المكافئ اللغوي وذلك من خلال معرفة أوجه الاتفاق والاختلاف بين اللغتين المنقول منها، والمنقول إليها.

– كما يمكن من خلال الدراسة التقابلية الوقوف على خصائص اللغات وكيفية اكتسابها.

وليس للعرب القدماء دراسات تقابلية بالمعنى العلمي الحديث، بل كانت لهم إشارات طفيفة متناثرة هنا وهناك تشير إلى تعلم بعضهم لغات أجنبية بالإضافة إلى لغتهم الأم، ومن هؤلاء سيبويه (ت 181 هـ) الذي كان فارسي الأصل، ويعبر عن ذلك في ثنايا كتابه (الكتاب) فيشير إلى(نظام الإبدال في الفارسية)، وكذلك أشار شارح كتاب سيبويه (السيرافي) إلى تمكنه في الفارسية وذلك لكونه كان يعيش في بيئة ثنائية اللغة(جنوب غرب إيران) إضافة إلى أصله الفارسي، كما التفت (أحمد بن حمدان الرازي ت 322 هـ) صاحب كتاب

[37] محمد حبلص، مقدمة في علم اللغة، ص240.

"الزينة "إلى اللغة الفارسية فيورد فصلا يقابل فيه بين العربية والفارسية من حيث الزيادة النقصان في الحروف والألفاظ والمعاني فينتهي إلى تفضيل العربية على الفارسية التي أتقنها وخبرها، إلا أن هذه الإشارات لا تندرج ضمن المنهج التقابلي لأن الدراسة التقابلية تدرس مواضع الاتفاق والاختلاف بين اللغتين مع التركيز على جوانب الاختلاف وذلك في كل مستوياتهما دون أن يفاضل إحداهما على الأخرى، فتأتي دراسة مجردة موضوعية تبين خصائص كلتا اللغتين[38]، ولاشك أن (أبا على الفارسي) كان يتكلم الفارسية بحكم أصله ونشأته كما علمها لتلميذه (ابن جني) بالإضافة إلى لغة ابن جني الرومية، وقد دلل على ذلك في بعض أبواب كتابه (الخصائص) نحو(ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم).[39]

كما أتقن أبو حيان الأندلسي(ت 745 هـ) أكثر من لغة أجنبية مثل(الفارسية والتركية) إضافة إلى الحبشية، وقد ذكرت له مؤلفات في تلك اللغات مثل(منطق الخرس في لسان الفرس والإدراك للسان الأتراك، وزهو الملك في نحو الترك)، وإن كنا لم نطلع على أي من تلك المؤلفات لكونها لم تصل إلينا، وهذه من أهم الإشارات التي تدل على قيام نحاة العربية بالدراسات التقابلية تطبيقا دون أن ينظروا لذلك نظريا.

- **أوجه الاختلاف بين المنهجين المقارن والتقابلي:[40]**

– مادة المقارنة: فعلى حين ينبني المنهج المقارن على أساس المقارنة بين لغتين مختلفتين ينتميان إلى فصيلة لغوية واحدة، ينطلق المنهج التقابلي على أساس المقارنة بين لغتين مختلفتين لا ينتميان إلى أصل لغوي واحد.

– هدف المقارنة: فالمنهج التقابلي يهدف أساسا إلى غرض تعليمي بحت، وهو تسهيل عملية تعلم اللغات الأجنبية، أما المنهج المقارن فلا شأن له بعملية التعليم فأهدافه تتعلق

[38] انظر لأحمد بن حمدان ،الزينة في الألفاظ الإسلامية، تحقيق الهم ا زني، القاهرة،1957م، ص 60-64.

[39] لابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية،1952م، 357/1.

[40] لأحمد عزت البيلي، محاضرات في علم اللغة العام، ص197-198.

بالحركة التاريخية لبعض اللغات ذات الأصل الواحد، أي محاولة إعادة بناء اللغة الأم التي انبثقت منها هاتان اللغتان.

– تركيز المنهج: تركيز المنهج التقابلي ينصب على أوجه الخلاف بين اللغتين المدروستين أما المنهج المقارن فإن تركيزه ينصب بصفة أساسية على أوجه الاتفاق بين اللغتين المدروستين.

– الاعتماد على المنهج الوصفي:على الرغم من أن المنهجين يعتمدان على المنهج الوصفي في تقديم المادة الأساسية اللازمة لعقد المقارنات إلا أن المنهج المقارن يعتمد إلى جانب ذلك على بعض عناصر الدراسة التاريخية، في حين لا صلة للمنهج التقابلي بأي من عناصر الدراسة التاريخية.

– زمن ظهور المنهج: المنهج المقارن منهج قديم من الناحية الزمنية، أما المنهج التقابلي فمنهج حديث وقد نشأ كل من المنهجين في ظروف تاريخية مختلفة تماما.

4. علم اللغة والبحث النحوي:[41]

وهناك مصطلح آخر يستخدم كثيرا مرادفا لمصطلح **Linguistics**،مصطلح **Grammatik** أو**Grammaire** أو **Grammar**. فكثير من الباحثين الأوروبيين في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ألفوا كتبا في النحو المقارن، وتضم هذه الكتب فصولا في الأصوات وبناء الكلمة وبناء الجملة ، وبذلك كان المقصود من علم النحو المقارن نفس المقصود من علم اللغة المقارن، فكأن الكلمتين قد استخدمتا مترادفين يؤديان نفس المعنى وإذا نظرنا في المؤلفات اللغوية الأوروبية الحديثة نلاحظ حديثهم تارة عن النحو **Comparative linguistics**،وتارة أخرى عن علم اللغة المقارن**linguistics Comparative** كما نجدهم يكتبون عن النحوي الوصفي **Descriptive linguistics**، أو عن علم اللغة الوصفي**Descriptive linguistics**، ثم نجدهم يؤلفون في النحو التاريخي **Historical Grammar**، أو علم اللغة التاريخي**Historical linguistics**.

[41] محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة، القاهرة،ط1،2003، ص44.

وعلى الرغم من اختلاف مسميات هذه الكتب فإنها تدل على أن كلمتي**Grammar**(أي نحو) و**Linguistics**(أي علم اللغة) تستخدمان نفس الاستخدام في البحث العلمي

5. علم اللغة العام général Linguistics :[42]

إن مصطلح علم اللغة العام يرجع إلى المحاضرات التي ألقاها اللغوي السويسري دي سوسير، فقد حاول أن يتناول طبيعة اللغة و وظيفتها تناول علم اللغة الوصفي، ثم علم اللغة التاريخي ثم علم اللغة الجغرافي، ثم بعض القضايا التي تربط اللغة بالعلوم الإنسانيةِ وتتابعت مؤلفات كثيرة بعد ذلك تناولت نظرية اللغة ومناهج التحليل اللغوي، وفي مقدمة هذه الكتب ما كتبه بلومفيلد **Bloomfield** و جليسون **Gleason** ، وهوكيت **Hockett**، مارتيني **Martinet** ياكوبسون **Jakobson**، تشومسكي **Chomsky**، روبينز **Robins**، وليونز **Lyons**. وهذه الكتب تصدر عن فكرة أساسية هي أن اللغة ظاهرة إنسانية عامة يشترك فيها كل البشر وتتألف اللغة من أصوات من أعضاء النطق وهي مشتركة أيضا بين كل البشر ثم تتألف هذه الأصوات في أنساق مختلفة لتكون الكلمات، ثم تتألف الكلمات في عدة أنساق لتكون الجمل، وهدف علم اللغة العام أن يطور النظرية العامة للغة والوسائل الدقيقة لتحليل الأصوات والكلمات والجمل والدلالة، ويهتم علم اللغة العام أيضا ببيان العلاقة بين علم اللغة والعلوم الإنسانية الأخرى.

ويقوم علم اللغة العام أيضا برسم الأسس المنهجية للتحليل اللغوي من جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، فإذا كانت أصوات اللغات تبدو لأول مختلفة متنافرة فإن كل أصوات اللغات تصدر من الجهاز الصوتي الإنساني، وهو مشترك عند كل البشر ولذا فهناك أصوات كثيرة تتكرر في أكثر اللغات، وهناك وسائل محددة تتوصل بها اللغات المختلفة للتمييز بين أصواتها،فالتعرف على هذه الجوانب والاستفادة من خبرات الباحثين في اللغات المختلفة لوضع نظرية شاملة في بنية اللغة مما يدخل في علم اللغة العام.

[42] لأحمد مومن، اللسانيات، النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بلا تاريخ، ص87-88.

وهناك وسائل محددة تتبعها اللغات المختلفة للتمييز بين الكلمات وتصنيفها في مجموعات، وهناك إمكانيات أخرى توضح كيفية تركيب الكلمات قي جمل لأداء المعاني المختلفة فكل اللغات مثلا بها جمل شرطية وجمل استفهامية ...الخ، والتعرف على هذه الوسائل وعلى منهج تحليل اللغة من هذه الجوانب جزء من عل م اللغة العام، وهناك معاجم كثيرة ألفت للغات مختلفة بلورت أثناء إعدادها مناهج دقيقة في العمل المعجمي فهذه الأسس المنهجية الناجمة عن العمل التطبيقي جزء من علم اللغة العام .

وفضلا عن هذا يهتم علم اللغة العام ببيان طبيعة العلاقات المؤثرة في حياة اللغة في المجتمعات الإنسانية، فاللغة لا تعيش في فراغ بل لابد لها من جماعة تستخدمها حتى تصبح لغة، وهنا يهدف علم اللغة العام إلى إيضاح الجوانب الحضارية المختلفة التي تؤثر في حياة اللغة، ويحاول إيضاح عوامل انتشار اللغات وموتها وعوامل التجديد اللغوي ومشاكل الازدواج اللغوي وغير ذلك من المشكلات التي تتكرر في مجموعات إنسانية مختلفة، وأن كل بحث دقيق حول أية لغة أو وظائفها في المجتمع هو بحث يفيد علم اللغة العام، ولذا تتطور النظرية العامة للغة ولمناهج بحثها بتطور الأبحاث الجزئية في اللغات واللهجات المختلفة.

إن علم اللغة الحديث يحاول بتطوير مناهجه وبالإصرار على الدقة العلمية أن يصل إلى نتائج دقيقة، ولذلك استبعدت من البحث في اللغة تلك الموضوعات التي لا يمكن بحثها بمناهج دقيقة وأشهر هذه الموضوعات نشأة اللغة، ومرجع الاهتمام القديم بهذا الموضوع إلى الدين، فقد تكونت عند الجماعات الدينية المختلفة آراء راسخة نسبيا حول نشأة اللغة الإنسانية فاليهود يصرون على كونها هي العبرية ومسيحيي الشرق يجعلونها السريانية، وحار المؤلفون العرب بين جعلها العربية أم السريانية.[43] وإذا كان المفكر العربي ابن حزم قد وجد أنه من العبث التفكير في اللغة الأولى عند الإنسان ونسبها إلى الدين دون دليل فإن علم اللغة الحديث لا يبحث في قضية نشأة الإنسانية لعدم وجود منهج علمي لبحث ذلك.

[43] السيوطي، المزهر في علوم اللغة1/30-35.

6. قضايا البحث في علم اللغة Linguistics:

القطاعات / المناهج	Phonology الأصوات	Morphology بناء الكلمة	Syntax بناء الجملة	Lexicology علم المعجمات
علم اللغة الوصفي (لمستوى لغوي بعينه) **Descriptive Linguistics**	الوصف الصوتي للدراسات الوصفية الصوتية.	–الوصف الصرفي للدراسات الوصفية الصرفية. الصرف=الموفولوجيا	–الوصف النحوي –الدراسات النحوية الوصفية. –الدراسة التركيبية الوصفية.	الدراسة المعجمية للمستوى اللغوي الواحد.
المنهج التاريخي **Historical Linguistics**	التطور الصوتي للدراسات التاريخيةالصوتية.	–التطور الصرفي للدراسة التاريخية الصرفية. –التطور في بناء الكلمة. –التطور الموفولوجي.	–التاريخ النحوي للدراسة النحوية التاريخية . –التطور النحوي.	–الدراسة المعجمية التاريخية.
المنهج المقارن **Comparative Linguistics**	المقارنات الصوتية الدراسات الصوتية المقارنة.	–المقارنات الصرفية الدراسة الصرفية المقارنة. النحو المقارن.	–المقارنات النحوية –النحو المقارن –الدراسة النحوية المقارنة.	الدراسة المعجمية التأصيلية.
المنهج التقابلي **Contrastive Linguistics**	الدراسة الصوتية التقابلية.	الدراسة الصرفية التقابلية.	الدراسة النحوية التقابلية .	الدراسة المعجمية التقابلية.

لقد حاول بعض الباحثين في القرن الماضي إعادة تكوين عدد من اللغات الموغلة في القدم مثل اللغة الهندية–الأوروبية الأولى واللغة السامية الأولى، واللغة الهندية–الأوروبية الأولى هي الأصل المفترض الذي خرجت عنه كل لغات الأسرة الهندية–الأوروبية المختلفة ولكن محاولات إعادة تكوين اللغة الهندية –الأوروبية الأولى واللغة السامية الأولى لم تنجح إلا في التعرف على بعض الخصائص المغرقة في القدم، ولكن من الصعب القول بأن هذه الأبحاث استطاعت أن ترسم الملامح الكاملة للغات بادت منذ عصور سحيقة ولهذا الباحثون المحدثون عن البحث في المراحل التي لم تصل إلينا في النقوش والنصوص، وأصبح البحث في اللغة لا يهتم إلا بالمراحل التاريخية والمعاصرة.

فعلم اللغة يبدأ حين نجد نقشا قديما أو نصا مدونا، وليس من الممكن أن يمضي الباحث في تاريخه للأسرة اللغوية إلى المراحل السابقة على تدوين أقدم النقوش المكتوبة فنشأة اللغة تخرج تماما عن مجال البحث في علم اللغة، وعلم اللغة يشبه في هذا علم التاريخ في أن كليهما يبدأ من أقدم الكتابات والرسوم تاركا لعلم ما قبل التاريخ بحث المراحل السابقة على ذلك.

7. التسميات المختلفة لعلم اللغة:[44]

من المفيد في هذا الصدد إيضاح التسميات المختلفة لمجالات علم اللغة ومناهجه في محاولة لإزالة الغموض القائم عند البعض نتيجة لكثرة التسميات وغموضها وتداخلها.

يطلق البعض على علم اللغة عدة تسميات:

- **فقه اللغة:** بمعنى علم اللغة المقارن، أو بمعنى دراسة الألفاظ العربية، أو بمعنى: الدراسة المقارنة للألفاظ العربية في ضوء اللغات السامية، أو بمعنى: بحث الأصوات في الفصحى، أو بمعنى: بحث اللهجات القديمة والحديثة.
- **علم اللغة:** بمعنى: علم اللغة العام، أو بمعنى: دراسة الأصوات في الفصحى بمعنى: دراسة اللهجات، أو بمعنى: دراسة الدلالة.
- **علم اللسان:** بنفس المعاني المتعددة المذكورة.

[44] [44] محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية، ص 54.

- **اللسانيات:** (في جامعة الجزائر).
- **الألسنية:** (في الجامعة التنوسية).
- **اللسنيات:** للدلالة على نفس المجالات.
- **النحو المقارن:** بمعنى: دراسة بناء الكلمة في اللغات السامية.
- **اللغويات:** (محاكاة للكلمة الإنجليزية **Linguistics**)، وتتناول في أكثر الأحوال ما يدرس في أقسام اللغة الإنجليزية من تدريبات نحوية، مع مدخل عن نظرية اللغة والبحث الصوتي وتاريخ اللغة.

وتتداخل هذه المصطلحات مع بعضها البعض تداخلا لا يفيد العلم، كما تتداخل مع اصطلاحي النحو والصرف ، وقد أدى هذا إلى تمزق مجالات البحث العلمي في اللغة وإهمال كثير من قضاياه وإلى عدم وضوح في تصور الكثيرين تجاه جوانبه المتكاملة، ولذا نرى ضرورة ترك الدلالات الموروثة من الماضي للحديث في تاريخ العلم، واستخدام تسمية موحدة واضحة(علم اللغة) تخصص بعد ذلك بصفة المقارن، التاريخي، الوصفي، التقابلي التطبيقي، ويضم كل منها قطاعات الأصوات، الكلمة، الجملة، الدلالة.

ثانيا: تحديد مصطلح البنية و نشأته:

لما كانت"البنية" المفهوم المركزي الصارم في المنهج البنيوي عامة، فقد اتخذت شكل المقولة الفلسفية، والمفهوم العلمي، والتصور الإيديولوجي ... و لذلك ارتأينا أنه قد يكون من الأفضل لنا بداية، أن نتساءل عن ماهية "البنية" من خلال طرح التساؤل المركزي: " ما هي البنية؟ " بدلا من الحديث عن "البنيوية"، ذلك أن للبنية تاريخ شاسع ومفهوم واسع وشمولي نتيجة توظيفها من قبل العديد من العلوم الطبيعية و الاجتماعية، ولاسيما اللسانيات التي اعتمدتها كمفهوم أساسي.

1. مفهوم البنية:

1-1. في الأصل اللغوي: تشتق كلمة "بنية **STRUCTURE** من الكلمة اليونانية **"STRUERE"** التي تعني البناء أو الطريقة التي يقوم عليها بناء ما، ثم امتد مفهوم و معنى الكلمة ليشمل وضع الأجزاء في مبنى ما من وجهة النظر الفنية المعمارية وبما يؤدي إليه من جمال تشكيلي، وتشير المعاجم الأجنبية على أن فن المعمار يستخدم هذه الكلمة منذ منتصف القرن السابع عشر،[45] وتعني بنية الشيء في اللغة العربية كل ما هو أصل فيه وجوهري وثابت لا يتبـدل بتبـدل الأوضـاع و الكيفيات .[46]

ولقد استخدمت كلمة " بنيـة" في الأدب العربـي القـديم للدلالة علـى التشييـد والبنـــاء و التركيب، ففي القرآن الكريم نجد أن هذه الكلمة قد استخدمت نيفا و عشرين مرة على صورة الفعل "بنـى". أو الأسماء "بناء"، و "بنيان"، و "مبنى"، لكن لم ترد فيه و لا في النصوص القديمة كلمة "بنية"، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **و الذي جعل لكم الأرض فراشا و السماء بناء**﴾. ﴿البقرة:الآية **22**﴾ **–** وهنا وردت في صيغة بناء **–** و كذلك وردت في صيغة بنيان في قوله تعالى: ﴿**فقالوا أبنوا عليهم بنيانا ربهم أعلـم بهم** ﴾ .﴿ سورة الكهف: الآية **21**﴾. وتجدر الإشارة هنا إلى أن اللغويين العرب قد تصوروا هذا الأصل على أنه الهيكل الثابت للشيء، فتحدث النحاة عن "البناء" مقابل الإعراب، كما تصوروه على أنه التركيب والصياغة، و من هنا جاءت تسميتهم "للمبني" للمعلوم و"المبني" للمجهول.

1-2. في التعريف الاصطلاحي: يعتبر مفهوم البنية من المفاهيم التي يصعب تحديدها أو إعطاءها تعريفا شامـلا وموحدا، وليس أدل على ذلك من كثرة التعريفات التي نجدها متناثرة هنا وهناك ، ومصطلح "البنية **"STRUCTURE"**على حد تعبير **رولان بارث (R.BARTHES)** «مستعمل بكثرة في جميع العلوم الاجتماعية بكيفية لا تميز بعضها عن البعض الآخر إلا عند المجادلة حول مضمونه».[47]

---

[45]– ينظر: صلاح فضل، " نظرية البنائية في النقد الأدبي "، دار الآفاق الجديدة للنشر، ط (02)، بيروت، لبنان، 1980ص 175 .

[46] – مصطفى السعدني، "المدخل اللغوي في نقد الشعر – قراءة بنيوية – "، دار المعارف الإسكندرية للنشر، (د– ط) ،مصر 1987 ، ص11.

[47] الطيب دبه، "مبادئ اللسانيات البنيوية" – دراسة تحليلية إبستمولوجية – "، دار القصبة للنشر، ط(01) ، الجزائر، 2001، ص: 41.

وسنحاول الآن أن نتوقف عند بعض التعريفات العلمية المختلفة لكلمة "بنية" لتتضح الدلالة الخفية لهذه الكلمة التي طالما اختلف الباحثون حول تعريفها، يقول اللسان الفرنسي **إميل بنفنيست (E.BENVENISTE)** « البنية هي ذلك النظام المنسق الذي تتحد كل أجزائه بمقتضى رابطة تماسك وتوقف تجعل من اللغة مجموعة منتظمة من الوحدات أو العلامات المنطوقة التي تتفاعل ويحدد بعضها بعضا على سبيل التبادل ».[48]

وهذا يعني أن البنية هي مجموعة من الظواهر المتضامنة التي يستند كل منها إلى الآخر، و لا يمكن أن يكون ما هو عليه إلا في علاقته مع الآخرين، وهي ليست بذلك مجرد جمع بين العناصر– كما قد يعتقد البعض– وإن كان بنفنيست قد ركز في هذا التعريف على القول بسيطرة النظام اللغوي على عناصره، بحيث يتوقف كل عنصر داخل هذا النظام على بقية العناصر الأخرى، و لا يمكن أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه.

وذكر **لالاند (A. LALANDE)** في معجمه الفلسفي « أن البنية هي كل مكون من ظواهر متماسكة (أو متضامنة)، بحيث يكون كل عنصر فيها متعلقا بالعناصر الأخرى و لا يستطيع أن يكون ذا دلالة إلا في نطاق هذا الكل » [49]، حيث يعتبر العديد من الباحثين أن تحديد لالاند لمفهوم البنية يعتبر أفضل تحديد منطقي دقيق على الإطلاق. إذ يرى لالاند في تعريفه هذا بأن البنية تتسم بطابع الكلية (أو الجملة) التي تحوي عدة عناصر تعمل وفق قوانين مجتمعة، بحيث يتوقف كل منها على ما عداه، أي عن طريق لغة تلك القوانين ذاتها دون مشاركة العناصر الخارجية. وبذلك يتحقق كل عنصر من هذه العناصر هدفه من خلال علاقته بما عداه من بقية العناصر.

فإذا ما انتقلت الآن إلى تعريف آخر للبنية، ألا وهو تعريف المؤرخ الفرنسي **ميشـال فوكو**، وجدته يحدد و بكل بساطة مفهوما للبنية، من خلال تقرير مفهوم عام للبنيوية، قائلا: «إننا نحدد بلفظة بنيوية مجموعة من الاختصاصات والشواغل وعددا معينا من التحاليل لها

[48] مصطفى السعدني، "المدخل اللغوي في نقد الشعر– قراءة بنيوية"، ص :12.

[49] عمر مهيبل، "البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر"، ديوان المطبوعات الجامعية، ط (02)، الجزائر 1993، ص: 16 .

في الواقع موضوع واحد ! نعم إنني أحدد البنيوية والبنيويات المختلفة بوحدة الموضوع، و إن يبدو ذلك مفارقة غريبة. فالبنيوية هي – حاليا – مجموعة المحاولات التي نقوم بواسطتها بتحليل ما يمكن تسميته (الركام الثقافي) أي مجموعة العلامات و الآثار و الإشارات التي تركتها الإنسانية في الماضي و التي مازالت تكونها يوميا و بعدد متزايد حولها...».[50]

يبدو من تعريف ميشال فوكو للبنيوية، بأنها لم تعد ظاهرة منعزلة، بل أصبحت نزعة عامة في التفكير شغلت الباحثين في كل فروع البحث العلمي في العلم و الفن و اللغة و الدراسات الإنسانية على السواء. لذلك بات من الصعب إعطاءها تعريفا موحدا (أو شاملا)... فإن البنيوية لم تعد مجرد محاولة لقراءة النصوص لأنها ارتبطت الآن بعالم اللغة أي بالنصوص (الآثار)، أو كما يصطلح عليه المفكر ميشال فوكو "الركام الثقافي" أي تلك الآثار و العلامات التي تركتها الإنسانية في القديم.

وبذلك فإنه – و كما ذكرت سالفا – فقد تعددت التعاريف التي وضعها العديد من المفكرين لتحديد مصطلح البنية، و في اعتقادي أن تعريف عالم النفس السويسري المشهور جان بياجيه، يعتبر من أحسن التعاريف التي حاولت الوقوف على الدلالة العلمية الدقيقة لكلمة "بنية" و« الذي نجده سائدا في أدبيات البنيوية ويستعمل كمدخل لفهم المقصود بالبنيوية »[51]، إذ حاول هذا العالم الشهير إعطاء تعريف شامل للبنية عندما قال:« .. إذا ركزنا على المميزات الإيجابية لفكرة البنية، نجد على الأقل مظهرين مشتركين لجميع البنيات: من جهة مثالا أو آمالا من الوضوح الضمني، ترتكز على المسلمة القائلة إن البنية تكتفي بذاتها ولا تتطلب لإدراكها اللجوء إلى أي من العناصر الغريبة عن طبيعتها، ومن جهة أخرى إنجازات تقدمها رغم تنوعها، و ذلك إلى حد ما يمكن معه فعليا إدراك بعض البنيات، وحيث يوضح استعمالها بعضا من ميزاتها العامة التي تبدو ضرورية وتبدو البنية

[50] ميشال فوكو، "البنيوية و التحليل الأدبي"، تر: محمد الخماسي،" العرب و الفكر العالمي"، مركز الإنماء القومي بيروت ، باريس، ع1، شتاء 1988 ص: 15- 16.

[51] الزواوي بغورة ، "المنهج البنيوي – بحث في الأصول و المبادئ و التطبيقات – "، دار الهدى للنشر، ط01، الجزائر 2002 ، ص: 71 .

بتقدير أولي مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة " قابل خصائص العناصر" تبقى أو تفتني بلعبة التحويلات نفسها، دون أن تتعدى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجية».[52]

وما لاحظته من خلال هذا التعليق الذي أفادنا به الأستاذ جان بياجيه، أنه يتعرف بصعوبة إيجاد ميزة أو تعريف شامل للبنيوية، نظرا لأخذها أو (ارتيادها) أشكالا عدة.

انطلاقا من الاختلافات التـي شهدها (أو عرفها) مفهوم البنية – في حد ذاته– على الرغم من المسلمة التي تقول بأن البنية تكتفي بذاتها ولا تحتاج لإدراكها إلى العناصر الغريبة عن طبيعتها ، ولعل هذه الاختلافات (أو المفارقات) ترجع إلى أن مفهوم البنية قد شمل العديد من الميادين مثل: اللغة، وعلم النفس، والأنتربولوجيا، والرياضيات ...

ولما كانت البنية تخضع لطابع النسق (النظام) في داخل عناصرها، فإذا ما تعرض واحد من هذه العناصر للتغير أو التحول تحولت معه باقي العناصر الأخيرة. «وبكلمة موجزة تتألف البنية من ميــزات و خصائص ثلاث: الجمـلة، والتحويـلات والضبـط الذاتـي».

2. نشأة و تطور المنهج البنيوي:

ظهرت البنيوية اللسانية في منتصف العقد الثاني من القرن العشرين مع رائدها (فرديناند دي سوسير)، من خلال كتابهِ "محاضرات في اللسانيات العامة" [53] الذي نُشر في باريس سنة 1916م، وقد أحدثت هذه اللسانيات ابستمولوجية "معرفية" مع فقه اللغة والفيلولوجيا الدياكرونية، وكان الهدفُ من الدرسِ اللساني هو التعامل مع النص الأدبي من الداخل وتجاوز الخارج المرجعي واعتباره نسقًا لُغويًا في سكونهِ وثباتهِ، وقد حقق هذا المنهج نجاحه في الساحتين اللسانية والأدبية حينما انكب عليه الدارسون بلهفة كبيرة للتسلح به واستعماله منهجًا وتصورًا في التعامل مع الظواهر الأدبية والنصية واللغوية .

[52] جان بياجيه، "البنيوية"، تر: عارف منيمنة و بشير أويري، منشورات عويدات، ط (01)، بيروت، لبنان، 1971، ص:08.

[53] فائق مصطفى و عبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث منطلقات وتطبيقات، وزارة التعليم العالي، الموصل، الطبعة الأولى، 1989م، ص144 .

فظهرت البنيوية في بداية الأمر في علم اللغة ، وبرزت عند فرديناند دي سوسير الذي يعد الرائد الأول للبنيوية اللغوية عندما طبق المنهج البنيوي لدراسته للغة واكتشاف مفهوم البنية في علم اللغة دفع بارت وتودوروف وغيرهما إلى الكشف عن عناصر النظام في الأدب.[54]

أما عن نظرية دي سوسير في علم اللغة، فهو يرى أنَّ موضوع علم اللغة الصحيح والوحيد هو اللغة في ذاتِها ومن أجلِ ذاتها، وقد فرّق بين اللغةِ والأقوالِ المنطوقةِ والمكتوبةِ فاللغة أصواتٌ دالةٌ متعارف عليها في مجتمع معين، وإن لم توجد كواقع منطوق لدى أي فرد من أفرادهِ، أما الأقوال فكل الحالات المتحققة من استعمالات اللغة، ولا يكون واحد منها، بل ولا يلزم أن تكون جميعها ممثلة للغة في كمالها ونقائها المثاليين.[55]

إذن ففي دراسة اللغة لا بد من عزلها واعتبارها مجموعة من الحقائق ، لأن اللغة بالتحليل السابق هي نظام إشاري (سيميولوجي)، أي إن علم اللغة يهتم باللغة المعينة ولا يلتفت إلى لغة الفرد لأنها تصدر عن وعي و تتصف بالاختيار الحر.

ومن هنا انطلقت البنيوية من حقلِ علم اللغة إلى حقل علم الأدب، فسوسير في نظريتهِ كان يفرقُ بين اللغةِ والأقوال أو بين اللغة كنظام واللغة كاستعمال كلامًا أو كتابةً فإن البنيويين يفرقون كذلك في علم الأدب بين الأدب والأعمال الأدبية.

أما عن فكرة النظام أو النسق الذي يتحكم بعناصر وأجزاء النص مجتمعة، والذي يمكن أن يظهر من خلال شبكة العلاقات العميقة بين المستويات النحوية الأسلوبية والإيقاعية، فهي مستمدة من فكرة العلاقات اللغوية التي تعد أساسًا من أسس نظرية دي سوسير والتي وضحها حين قال بأن اللغة ليست مفردات محددة المعاني ولكنها مجموعة علاقات .

[54] كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي (دراسات بنيوية في الشعر)، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1984م،ص67.

[55] محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995م،ص98 .

بمعنى أن الكلمة لا يتحددُ معناها إلا بعلاقتِها مع عدد من الكلمات بما سبقها وما لحقها، كما إن العلاقة بين صوت الكلمة ومفهومها كما يرى دي سوسير هي علاقة تعسفية بمعنى أنه لا علاقة لمفهوم الكلمة بصوتها بدليل اختلاف صوت هذا الشيء بين لغة وأخرى، إذن فبناء اللغة أو نظامها لا يتمثل إلا في العلاقات بين الكلمات، وهي تمثل نظامًا متزامنًا حيث أن هذه العلاقات مترابطة.

و نودُ أن نشيرَ إلى أن البنيويةَ كانت في أول ظهورها تهتم بجميع نواحي المعرفة الإنسانية ثم تبلورت في ميدان البحث اللغوي والنقد الأدبي ، والسؤال الذي نودُّ أن نطرحه هنا إذا كانت هذه العلوم الإنسانية كلها علوم بنيوية فلماذا تبدو البنيوية الفرنسية جديدة ومثيرة ؟ نعتقدُ أن الجواب عن هذا السؤال يكمن في المعنى الجديد الذي أضفته البنيوية على كلمة بنية.

إذن فالمنهج البنيوي هو نموذج تصوري مستعار من علم اللُّغة ، عند دي سوسير في المحل الأول بكل ما يلزم من هذا النموذج من نظرة كليّة تبحث عن العلاقات الآنية التي تُشكل النسق، وتسلم كل التسليم بثنائيات متعارضة تعارض اللغة، والكلام، والآنية والتعاقب وعلاقات الجمهور، وعلاقات الغياب.

فنخلص مما سبق بأن أوّل من طبق البنيوية اللسانية على النص الأدبي في الثقافة الغربية نذكر كلا من رومان جاكبسون وكلود ليفي شتراوس على قصيدة (القطط) للشاعر الفرنسي بودلير في منتصف الخمسينات، وبعد ذلك طُبقت البنيوية على السرد مع رولان بارت وكلود بريموند و تودوروف، كما ستتوسع ليدرس الأسلوب بنيويًا وإحصائيا مع بييرغيرو دون أن ننسى التطبيقات البنيوية على السينما، التشكيل، والسينما والموسيقى والفنون والخطابات الأخرى .

أما بالنسبةِ إلى استقبالها في الساحة العربية فجاء في أواخر الستينات وبداية السبعينات وذلك عبر الثقافة والترجمة والتبادل الثقافي والتعلم في جامعات أوروبا، وكانت بداية تمظهر البنيوية في عالمنا العربي في شكل كتب مترجمة ومؤلفات تعريفية للبنيوية .

كما كان تطورها في البلاد العربية تطورًا غير متكافئ فلم يكن النقاد مطلعين في كثيرٍ من الأحيان على ما يقوم به إخوتهم في الأقطار الأخرى، ونتيجة لذلك تعددت مشارب أخذهم عند النقد الغربي فبعضهم يرجع إلى ترجمات انجليزية ككمال أبو ديب، أو اسبانية مثل صلاح فضل، والبعض إلى النصوص الفرنسية وهو الأكثر.[56]

فكان استقبالها إذن غير متكافئ كما كان في الوقتِ نفسه متفاوتًا من قطر لأخر حسب العلاقات التاريخية التي تربط كل بلد عربي بالبلدان الغربية، وقد عُرف هذا التيار في مصر مع الناقد صلاح فضل من خلال كتابهِ (النظرية البنائية في النقد الأدبي عام 1977م)، وكتابه (علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته)، وفي الأردن أعطى الناقد كمال أبو ديب دفعًا لهذا التيار من خلال نشره لكتابه (جدلية الخفاء والتجلي، دراسة بنيوية في الشعر الجاهلي)، وكتابه (البنية الإيقاعية في الشعر المعاصر عام 1974م)، وفي تونس والمغرب تكونت مجموعات من النقاد حول مفهوم البنيوية .

3. خصائصَ البنية:

3-1. الكلية أو الشمول : وتُعني هذه السمةُ خضوعَ العناصرِ التي تُشكِّل البنيةَ لقوانينَ تُميّزُ المجموعةَ كمجموعةٍ، أو الكلَّ ككلٍّ واحد ، ومن هذه الخاصيةِ تنطلقُ البنيويةُ في نقدِها للأدبِ من المسلَّمةِ القائلةِ بأنَّ البنيةَ تكتفي بذاتها، فالنصُّ الأدبيُّ مثلاً هو بنيةٌ تتكونُ من عناصرَ، وهذه العناصرُ تخضعُ لقوانين تركيبيةٍ تتعدى دورَها من حيثُ هي روابطُ تراكميةٌ تشدُّ أجزاءَ الكيانِ الأدبيّ بعضَه إلى بعضٍ، فهي تُضفي على الكلِّ خصائصَ مغايرةً لخصائصِ العناصرِ التي يتألف منها البعض.

كما أن هذه الخاصية تُبرزُ لنا أنَّ البنيةَ لا تتألفُ من عناصرَ خارجيةٍ تراكميةٍ مستقلةٍ عن الكلِّ، بل هي تتكونُ من عناصرَ خارجيةٍ خاضعةٍ للقوانينِ المميزةِ للنسقِ، وليس المهمُّ في النسق العنصرُ أو الكلُّ، بل العلاقاتُ القائمةُ بين هذه العناصرِ.

[56] يُمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، ط2، 1999م، ص123 .

3-2. التحولات: أما عن خاصيةِ التحولاتِ، فإنها توضحُ القانونَ الداخليَّ للتغيراتِ داخلَ البنيةِ التي لا يمكنُ أن تظلَ في حالةِ ثبات لأنها دائمةُ التحولِ.

و تأكيدًا لذلك ترى البنيويةُ أنَّ كلَّ نصٍّ يحتوي ضمنيًا على نشاطِ داخلي، يجعل من كلِّ عنصرٍ فيه عُنصرًا بانيًا لغيرهِ ومبنيًّاً في الوقت ذاته، ولهذا فقد أخذت البنيويةُ هذه السمةَ بعينِ الاعتبارِ لتُحاصرَ تحوّلَ البنيةِ وما قد يعتريها من بعض التغيير .

كما إن هذه السمةَ تُعبِّرُ عن حقيقةٍ هامةٍ في البنيويةِ، وهي أنَّ البنيةَ لا يمكن أن تظلَّ في حالةِ سكونٍ مطلق، بل هي دائمًا تقبلُ من التغيّراتِ ما يتضمنُ مع الحاجاتِ المحددةِ من قِبل علاقاتِ النسقِ أو تعارضاته، فالأفكارُ التي يحتويها النصُ الأدبيُ مثلاً تُصبح بموجبِ هذا التحولِ سببًا لبزوغِ أفكارٍ جديدة.[57]

3-3. التنظيم الذاتي: أما عن خاصيةِ التنظيمِ الذاتي، فإنها تمكّنُ البنيةَ من تنظيمِ نفسِها كي تُحافظَ على وَحدتِها و استمراريتِهاا وذلك بخضوعِها لقوانينِ الكلِّ .

وبهذا فيحقق لها نوعًا من "الانقلاب الذاتي" ونُعني به أن تحولاتِها الداخليةَ لا تقودُ إلى أبعدَ من حدودها، وإنّما تُولّدُ دائمًا عناصرَ تنتمي إلى البنيةِ نفسِها، وعلى الرغم من انغلاقها هذا لا يُعني أن تندرج ضمن بنيةٍ أخرى أوسعَ منها، دون أن تفقد خواصها الذاتية.[58]

ونريد أن نضرِبَ مثالاً على ما سبق من خصائصِ البنية، مثلاً نقابة المهندسين بما أنها تجمّعٌ خاص لأشخاصٍ بأعينهم فهي تمثل بنية، هذه البنية تسمح بتنوعِ الأفرادِ داخلَها بين ذكورٍ وإناثٍ، بين شبابٍ وشيوخٍ، بين متزوجينَ وغيرِ متزوجين، تنوعٌ لا يعرفُ الفوارقَ الطبقية أو الاختلافاتِ العقائديةَ، ولكنها في الوقتِ نفسهِ لا تسمح بدخول من لم يحمل مؤهلاً معينًا من الدخول فيها كما يوجد داخلَ هذه البنيةِ أي النقابة قوانينُ تُطبقُّ على عناصرِها، ويوجدُ بين هذه العناصرِ صفاتٌ وعلاقاتٌ مشتركةٌ يركزُ عيها الناقدُ أو الدارسُ البنيويُّ .

---

[57] إبراهيم زكريا، "مشكلة البنية – أو أضواء على البنيوية – "، دار مصر للطباعة و النشر، (د – ط)، مصر، 1976 ص 33-35.

[58] د.صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص 188.

4. أهم المدارس البنيوية ومناهجها:

4-1. مدرسة جونيف : استند تلاميذ سوسير ، شالز بالي **Chalez Bally**، وألبير سيشهاي**Albert Secheheye** وهنري فراي **Henri Frei** إلى تعاليم أستاذهم وتنظيراته اللسانية مشكلين بذلك مدرسة اصطلح عليها مدرسة جونيف، وقد تميزت هذه المدرسة" بنزعة قوية إلى الدراسات التي تعالج العنصر (الانفعالي التأثيري) في اللغة، عن طريق التمسك باللسانيات الآنية والإيمان بأن اللغة نظام ذو وظيفة اجتماعية مهمة ويمكن التماس الصورة التقليدية لهذه المدرسة في النظرة اللسانية لشالز بالي، ذلك أن شالز بالي اشتهر بكونه مؤسسا للأسلوبية العقلانية **Rational Stylistics** التي كان همها هو فحص التعابير اللسانية الانفعالية بوجه عام ، فكل حدث من أحداث النطق يحمل طابعا شخصيا أو انفعاليا. وعلى نهج سوسير لجأ شالزبالي إلى التمييزين اللغة واللسان والكلام، وطور من خلال ذلك نظـريته الخاصـة بالتحقق وعملية التحقق هذه تتعلق بتحول اللغة إلى كلام أي من الافتراض إلى التحقق الواقعي كما قام بتأسيس نظريته على المناظرة السنيتاجمية والوظيفية **Syntagmatic And Functional Transpostion**، وتعنى هذه النظرية بالمبادئ التي تحكم عملية تغيير العلامة اللغوية لوظيفتها النحوية دون أن تغير من معناها المعجمي الأساسي. وقام كذلك بفحص التواليف النظمية (أي تأليف الكلمات على مستوى النظم) وكان في هذه المسألة منتصرا لمبدأ الثنائية.[59]

4-2. مدرسة براغ: تأسست مدرسة براغ التشيكوسلوفاكية سنة 1926 من طرف **فيلام ماتزيوس**، وبعض معاونيه . وكانت معروفة بالمدرسة الوظيفية ، لأن أقطابها بحثو ا في اللغة من منبر وظيفي وهذه المدرسة في حقيقتها عبارة عن جمعية لسانية تدعى " حلقة براغ"، نهلت من أفكار دي سوسير وبودوان نيكورتيناي **"Bodouin de courtenay"** (1845-1929)، ومدرسة فورتوناتوف **Fortunatov** السلافية، وقد استوت هذه المدرسة

[59] وفاء محمد كامل :البنيوية في اللسانيات ، مجلة عالم الفكر ، ص: 232.

على سوقها بفضل مجهودات شخصيات ثلاث وهم في الحقيقة مهاجرون روس ياكبسون **R. Jakobson** (1896-1982)، وس.كارسيفسكي **s.karcevkiy** (1884-1955) **ون. تروبوتسكوي** **N.Trupetzkoy** (1882-1945) ، وب. ترينكا **N.Trnka** ، **وب هافرينك** **B.Havrank** وي.موكاروفسكي **J.Muharavsky** الذي كان منظرا في الدرس الأدب ي. وتعتبر مدرسة براغ فرعا من فروع البنيوية، وهو ما أكده أحمد مومن في قوله: "وما اللسانيات الوظيفية إلا فرع من فروع البنيوية، بيد أنها ترى أن البنية النحوية والدلالية والفونولوجية للغات تحدد بالوظائف المختلفة التي تقوم بها في المجتمع." [60]

- **منهج الدراسة:** اعتمدت هذه المدرسة منهجا يرى أن اللغة نظام كلي بمستوياتها النحوية والصرفية والصوتية والدلالية، ويدرسها دراسة وظيفية وذلك أ ن اللغة في الإطار الوظيفي شبيهة بالميكانيزم إذ لكل عنصر من عناصره دور في إقامة النظام العام وإذا كان سوسير يعتبر اللغة نظاما من العلامات، فمدرسة براغ ترى أنها " نظام من الوظائف وكل وظيفة نظام من العلامات" .[61]

4-3. مدرسة كوبنهاغن: مرت هذه المدرسة بمرحلتين بارزتين، المرحلة الأولى منهما هي التي كانت تدعى فيها بمدرسة كوبنهاغن، والتي تم فيها تبني أفكار كل من برونداال **brondal** وهيلمسليف **hilmsllv** في نهاية الثلاثينات من القرن العشرين ، واعتمد اللسانيون في هذه المدرسة على المنطق الرمزي في تحليل المادة اللسانية ، وقد كان فيجو برونداال (1847-1942) هو الشخصية البارزة في هذه المرحلة، إلا أنه توفي قبل أن يتم نظريته اللسانية لتعود القيادة بعده إلى هيلمسليف وهكذا عرف برونداال بوصفه أحد رواد البنيوية ومن أوائل من حاولوا مقاربة اللغة بإتباع مناهج المنطق الرمزي.[62]

[60] أحمد، مومن اللسانيات : النشأة والتطور ،(2005)، ص 136.

[61] المرجع نفسه، ص144.

[62] د، وفاء محمد كامل : البنيوية في اللسانيات ، مجلة عالم الفكر ، ص: 236

ويرى أحمد مومن أنها من تأسيس الدانماركي هيلمسليف (1895-1965) في مطلع القرن العشرين، وكان ينظر إليها في بدايتها على أنها مجرد نظرية فقط تعرف باسم الغلوسماتكية إلا أنها سرعان ما تشكلت في مدرسة قائمة الذات، وكانت تنظر إلى اللغة على أنها بنية أو نظام وقد اهتم بها هيلمسليف أكثر مما اهتم بالكلام، واعتبرها هدفا لا وسيلة لأنها بالنسبة له بنية منغلقة على ذاتها في استقلال عن كل المؤثرات الخارجية فهي "عملية رمزية".

وهكذا استطاع أصحاب هذه المدرسة بفضل تلك الأفكار أن يقيموا صيغة علمية في دراسة اللغة كبديل عما كان سائدا قديما جاعلين وظيفة العناصر(وحدة صوتية – وحدة صرفية – كلمة – تركيب) في تشكيل المعنى العام للجمل ، ويتجلى الفرق بين سوسير وهيلمسليف في كون هذا الأخير حاول دراسة اللغة بمعناها العام.

وأما المرحلة الثانية فهي مرحلة ما عرف بالمدرسة الغلوسماتكية التي هي نتاج للتطور الذي عرفته مدرسة كوبنهاغن.

4-4. المدرسة الغلوسماتكية : بعدما أصبح هيلمسليف المنظر الرائد لمدرسة كوبنهاغن، اقترح مقاربة شكلانية **Formalistic** لدراسة اللغة في الثلاثينيات.

عرفت ب"الغلوسماتكية .**Glossematics** " أكد من خلالها على ضرورة خلق لغة عليا شارحة تكون وسيلة للتعريف العلمي .

ويتفق هيلمسليف في هذا الإطار مع سوسير في أن اللغة (صورة)أو(شكل)لا (جوهر) أو (مادة)، ولم يكتفي بذلك بل تعداه إلى القول بأن التنظيم اللساني المسؤول عن تماسك العلاقات داخل الكل اللساني الموحد الذي يمكن استخراجه من المادة التي ينظمه ومنه فالبنية في نظره قابلة للانفصال عما تبنيه ، وقد أخضع هيلمسليف مذهبه اللساني لنظرية العلاقات التواصلية، فلسانيته ذات طابع مقاماتي براغماتي **Paragmatic** هدفه وضع نظرية عامة للعلامات التواصلية لأجل إنجاز " لغة عليا " للترجمة الآلية و قد حاول جاهدا إيجاد نحو منطقي وبالتالي إيجاد معالجة علمية للغة تكون في أعلى درجة من الدقة والوضوح والعلمية .

ولعل أهم منجزات هيلمسليف هي إدخاله للمفهومين الجديدين إلى البحث اللساني وهما :

– التمييز بين التعبير **Expession** والمحتوى **Content** .

– والتمييز بين الشكل **Form** و المادة **Substonce** فكان بذلك قد حدد عمل الغلوسماتكيون في دراسة التعبير في علاقته بشكل المحتوى، فاستحقوا بذلك اسم الشكلانيون**Formalists** فلستعملوا التجريدات في دراساتهم للغة لأنها بالنسبة لهم ظاهرة باطنية **Emmanent Phrencemenon** غير طالعة للتجربة الإدراكية وإنها نسق من العلاقات لهذا لم يهتموا بالبحث الآني أو التزامني، بل كان التوجه المميز لهم هو التطلع لما هو أساس في البنية اللغوية، وهو العلامة اللغوية عموما فالنظرية الغلوسمتكية هي نظرية شكلية منطقية تعارض كل من النظرية الذهنية **Mem- Talistic** ، ومذهب السلوكية[63] **.Behauiourism**

- **منهج الدراسة :**

يهدف منهج هاتين المدرستين (براغ والغلوسماتكية) إلى دراسة اللغة دراسة علمية في ضوء العلوم الدقيقة (كالرياضيات)، وتتضح الخطوات العريضة لهذا المنهج فيما يلي :

– النزعة المضادة للميتافيزيقيا، والتي تنص على كون الجمل الميتافيزيقية ليست خاطئة بل خالية من المعنى، وأن تشابه هذه الجمل بتركيب الجمل غير الميتافيزيقية ما هو إلا أحبولة دلالية **Semantic Smare .**

– المبدأ التجريبي فقد كان معنى الجملة في البداية يحدد بطريقة تجريبية تحقيقية، مما أدى إلى تناقضات عديدة أدت بالوظيفيين المنطقيين إلى أن يتبنوا موقفا ضعيفا يقول: إن العلم ينبغي أن يشمل كل الوقائع التجريبية الممكنة بواسطة الاستدلال المنطقي، انطلاقا من أقل عدد ممكن من المسلمات.

– التركيز على وصف التركيب لأن وصف المضمون يتناول أشياء لا يمكن ملاحظتها أو الإبلاغ عنها بطريقة غير مباشرة كإدراك الألوان مثلا ، وفي هذه الحالة يكون وصف العلاقات بين الظواهر أكثر ملائمة.

[63] د، وفاء محمد كامل ، البنيوية في اللسانيات ، ص 236-237

– تحويل اللغة العلمية إلى علم الجبر **Algebr** ينبغي أن يقصي استعمال كل التراكيب الخاصة بالجمل الميتافيزيقية من الخطاب العلمي، كما ينبغي أن تحد العبارات دون غموض أو تناقض[64] فهذا المنهج منهج تحليلي استنباطي يدرس اللغة على أنها صورة لا مادة، وأنها حالة خاصة من حالات النظام السيميائي ، فهو يتخذ من النص موضوعا للدراسة، لأنه حسب هيلمسليف جملة من الاستنتاجات المفصلة عن المحتوى (الخطاب أو الحديث) والمتجسدة في قضايا خاضعة لمتطلبات المنطق الصوري ، وجدير بالإشارة إلى أن هيلمسليف قد استعمل النص كمرادف للمعطيات اللغوية (**Data**) أحيانا وللدلالة على بعض حروف الجر أحيانا أخرى نحو: (على، في، إلى[65] ... وعلى العموم فقد تم اعتماد مناهج علمية رياضية، جمعت بين مبادئ النحو التقليدي ومظاهر النظرية اللسانية الحديثة وبين مسلمات المنطق الصوري والأسس المعرفية العا مة، ويتجلى هذا في اعتماد الجبر والرياضيات بشكل مبالغ فيه، مما جعل هذه المدرسة عرضة لانتقادات مجموعة من الباحثين الذين اعبروا النظرية الغلوسماتكية أساءت إلى اللسانيات أكثر مما أفادتها لاستعمالها عدة رموز ليست لها أي قيمة علمية .

4–5.المدرسة الوصفية بأمريكا : قامت دعائم هذه المدرسة بفضل مجهودات ثلاث أعلام: بلومفيلد **Leonard Blomfeld** وفرانز بوهاس **F. BOAS** ،وإدوارد سابير **Edward Sapir** هيمنت أفكار هذه المدرسة طيلة القرن العشرين، ومن المنطلقات التي استندت إليها نذكر الأنتروبولوجيا والدراسات الحقلية التي عنيت بتصنيف اللغات الهندية والأمريكية التي كانت منتشرة في الولايات المتحدة الأمريكية حفاظا عليها من التلف والتلاشي ، فانصب اهتمامها بالأساس على اللغات المنطوقة لا المكتوبة، مع الابتعاد عن إقحام المنطق والمعنى في تفسير الظاهر اللغوية، مع التركيز في مقابل ذلك على وصف خصوصيات كل لغة على انفراد في زمان ومكان محددين.

[64] أحمد مومن (2005): اللسانيات : النشأة والتطور ،ص: 144

[65] المرجع نفسه، ص: 166

- **منهج الدراسة :**

اعتمدت المدرسة الوصفية في شخص **بلومفيلد** منهجا أطلق عليه اسم " المنهج المادي" **Materialistic** " درس من خلاله اللغة دراسة علمية مستقلة، ناهلا من علم النفس السلوكي مفسرا بذلك السلوك البشري بناء على ثنائية المثير والاستجابة، وتماشيا مع النظرة الفيزيائية التي تفسر الظواهر تبعا لمبدأ العلة والأثر **(Cause And Effcet Sequences)** فهو ينظر إلى اللغة في عمقها المادي رافضا كل ما هو ذهني خارج عن نطاق التجربة.

وقد تعرض بلومفيلد هو الآخر لمجموعة من الانتقادات خصوصا حينما شبه السلوك البشري بسلوك الحيوانات التي تقام عليها التجارب، من قبيل الكلاب والقطط والقردة متجاهلا ما ميز به الله الإنسان عن الحيوان ، وهو العقل الذي يختزل الوعي، وهو "الجانب الخلاق في اللغة الذي كان قد أكد عليه ديكارت وهمبولت من قبل ثم تشومسكي فيما بعد وهذا ما فتح عليه باب الانتقادات من قبل العقلانيين.

ويمكننا أن نجمل مناهج التحليل البنيوي بصفة عامة في أن اللغة في حقل البنيوية تشكل في ترابط أجزائها رتبا ومستويات تتفاوت فيما بينها (الفونولوجيا، الصرف، التركيب ...) وكل مستوى من هذه المستويات يترابط مع ما يجاوره " فالفونيمات تتحدد بتداخلها في المورفيمات، وهذه الأخيرة بوظيفتها في الجملة"[66]" وهذا ترابط تكاملي بين أجزاء اللغة، فترابط الفونيمات ينتج عنه مورفيمات وترابط المورفيمات يشكل كلمات وترابط الكلمات يعطي تركيبا (جملة).

وتكاد لا توجد خلافات بين المدارس البنيوية في استعمال المنهج إلا في تصنيف عدد المستويات في نظام لغوي معين ، فأندري مارتنيه مثلا يرى وجود قيمة خلافية بين مستوى الفونولوجيا (الفونيمات) والمستوى الصرفي (المونيمات) ويشرحها على أنها نظام مزدوج للكلام، الأول غير دال، والثاني دال، فالبنيوية تقسم اللغة إلى عدة مستويات متداخلة وفي اعتمادها على تلك المستويات" توضح أنها منهج تركيبي تتداخل فيه هذه المستويات التي

[66] محمد الحناش البنيوية في اللسانيات ، دار الرشاد الحديثة ، ط:1، الدار البيضاء ،(1980)، ص: 133.

توجد بينها بعض التقاربات المختلفة الأهمية، لكنها في مجملها تهدف إلى الترتيب أو التصنيف المنظم للأنواع " ويبدو أحيانا أن المدارس البنيوية تختلف من حيث المنهج لكن ذلك راجع إلى اختلاف وسائل التطبيق.

إذن فهي تعتمد في مجملها منهجا استقرائي ا واستنباطي في تحليلها للعينات اللغوية لأن" القواعد التركيبية **syntaxe** تستقرأ من تحليل النص أو العينة اللغوية المختارة للدرس **corpur** كنموذج، وعندما تحدد هذه القواعد فإنها تستعمل بطريقة عكسية حتى تتميز الجمل الصالحة عن غيرها تركيبا، طبعا ستكون انطلاقا من ذلك جمل أخرى غير موجودة في النص المختار عن طريق بناء نماذج أخرى متشابهة، وتعميم ذلك على هذه النماذج المتشابهة".

5. إيجابيات المنهج البنيوي وسلبياته:

إن المنهج البنيوي منهج كبقية المناهج الأخرى، واضعه إنسان ومطبقة إنسان وهذا يُعني لا بد من أن يكون له سلبيات وايجابيات، وفي هذا المبحث سأحاول حصر سلبياته وإيجابياته بقدر الإمكان .

5-1. إيجابيات المنهج البنيوي: أما عن ايجابياته فتتلخص في المتطلبات الصارمة التي يفرضها على قارئ الأدب، إذ إنه من الصعب على القارئ أن يكون مجرد هاوٍ للمتعة أو التسلية، أو أن يكون غير ملم بقواعد اللغة وفنون القول المختلفة، لكن هذا المطلب في الوقت نفسه يحد من انتشار الأدب بسبب صعوبة العثور على عدد كبير من القرّاء يتحلى بهذا المستوى الممتاز الذي يخلق نوعًا من الارستقراطية الأدبية.

ومن ايجابياتهِ أيضًا تلك الروح النقدية العالية التي يتطلبها من القارئ، بحيث يشارك مشاركة إيجابية وفعّالة في تصور إمكانيات النص وتوقع الحلول المختلفة للقضايا الفنية أو الشكلية المعروضة.

ولذلك يقول كما أبو ديب: "ليست البنيوية فلسفة، لكنها طريقة في الرؤية ومنهج في معاينة الوجود، ولأنها كذلك فهي تثوير جذري للفكر وعلاقته بالعالم وموقعه منه في اللغة لا تغير البنيوية اللغة ولا تغير المجتمع، وكما أنها لا تغير الشعر لكنها بصرامتها وإصرارها على التفكير المتعمق والإدراك متعدد الإبعاد، والغوص في المكونات الفعلية للشيء والعلاقات التي تنشأ بين هذه المكونات يُغير الفكر المعاين للغة والمجتمع والشعر وتحوله إلى فكر متسائل قلق، متوثب، متعصٍّ، فكر جدلي شمولي."[67]

وأشار صبري حافظ إلى الإطاحة الاستخفافية التي وجّهها أبو ديب إلى إنجازات النقد العربي الحديث في دراسة الشعر الجاهلي، حيث وضع كتابه (الرؤى المقنعة، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي)، حيث أشاد أبو ديب بالمنهج البنيوي وايجابياته، فكان أحد أعلى النقاد العرب صوتًا في الدعوة إلى اصطناع المنهج البنيوي في دراسة الظاهرة الأدبية.[68]

2-5. سلبيات هذا المنهج فتتلخص فيما يلي :

- البنيوية كما يُفهم من لفظها تعتمد على بنية النص، وبيان العلاقات التي تربط بين كيانه اللفظي والمادي؛ لتصل إلى حكم أدبي فهي وإن كانت لا تُهمل الدراسة العلائقية للألفاظ، فإنها تُهمل الوحدة الموضوعية ودوافع إبداعه وأثر المبدع فيه، ومن هنا تقع في خطر ميكانيكية التحليل.

ولذلك يقول جودت الركابي في مقالتهِ: "ومن هنا يجب أن نعترف بأن البنيوية أو البنائية على الرغم من عطاءاتها الأخرى، فأنها تُميت الروح إن لم تقل تقتل الإنسان، ولكي لا أكون جائرًا أُريد ألا أهمل الإشارة إلى أن البنيوية لم تُهمل تمامًا العلائق الكائنة بين العناصر اللفظية المكونة للنص، على اعتبار أن كل لفظ يُفسر من خلال علاقته بالأجزاء

[67] انظر: كمال أبو ديب، جدلية الخفاء والتجلي، ص 7.

[68] انظر: عمر حسن القِيَّام، في دائرة المنهج (قراءات نقدية)، منشورات أمانة عمان، عمان، ط1، 2005م، ص 60- 62 .

الأخرى، ولكن هذا التفسير يبقى في حدود المادية اللفظية المكونة للنص في حدود أنه كائن منفصل عن الإنسان ولهذا لم تنظر إليه من خلال علاقته بالمبدع" .

– من الأخطار التي تواجهها البنيوية (المغالطة الشكلانية)، وتعني تلك إلى عدم الاهتمام بالمعنى أو المحتوى ورفض الاعتراف بحضور العالم الثقافي خارج العمل الأدبي وتلك ناتجة من عدم الاعتراف بأن مظاهر البنية المدروسة ليست هي المظاهر الوحيدة، ولا هي وحدها التي تعمل في نظام مغلق دون أن تتأثر بالعالم الخارجي .

– إن البنيوية ليست علمًا وإنما هي شبه علم يستخدم لغة ومفردات معقدة ورسومًا بيانية وجداول متشابكة، ومن هذا المنطلق تجاهلت البنيوية التاريخ، فهي وإن كانت إجرائية فاعلة جيدة في توصيفها إلا أنها تفشل في معالجتها للظاهرة الزمانية، ولهذا فقد يكون هذا مقبولاً مع الظواهر المؤقتة.

ولكن بوساطة هذه الرسوم البيانية والجداول هدمت الجانب العاطفي في الأعمال الأدبية، وجعلت الأدب عقلانيًا في دراستهِ وهذا بدوره أدى إلى خروج الأدب عن غايتهِ وحشده في زاويةٍ يكون بلجوئه إليه بعيدًا عن عالم الإنسانية (الشعور).

– إن البنيوية في إهمالها للمعنى فهي تناهض وتعادي النظرية التأويلية، وإن كانت تسلّم بأن النص متعدد المعاني.[69]

– أن على الصعيد الأدبي تُعرِّف البنيوية الأدب بأنه جسد لغوي أو مجموعة من الجمل وهذا تعريف رولان بارت وهو تعريف يُثير كثير من التساؤلات، ومنها إلى أن كون اللغة مادة الأدب لا يعني بحال أن الأدب هو اللغة، فالحجر مادة التمثال لكن التمثال ليس مجرد حجر.

وهذا يقودنا إلى القول بأن اعتبار الكلام الأدبي ككل كلام ألسني هذا يؤدي إلى إلغاء خصائص الأدب والفن لأن أي أثر لغوي غير أدبي هو مجموعة من الجمل القابلة للدراسة، وهو ما يتناقض مع دعوى البنيوية بضرورة الحرص على أدبية الأدب .

[69] انظر: بول هيرنادي، ما هو النقد، ترجمة: سلافة حجاوي، سلسلة المائة كتاب، ط1، 1989م، ص 84 . 85 .

– ولعل من أهم المخاطر للبنيوية، أنها تُلغي التطور وتهتم بالنظام فإنها تنظر إلى التاريخ نظرة سكونية إذ ترى أن التاريخ مسير بمجموعة من الأنظمة التي تعجز الإرادة الإنسانية عن إحداث أي خدش في تشكيلها أو مسارها.

– إن التحليل البنيوي يقف عاجز أمام التفريق بين الأعمال الأدبية الجيدة والرديئة القديمة والجديدة، والسبب في ذلك أنه تحليل وصفي صوري لا يهتم بالقيمة وهذا بدوره يؤدي إلى تشويه الأعمال الأدبية وإلغاء خصوصيتها .

– ليست البنيوية سوى صورة محرفة للنقد الجديد الذي عرفناه من خلال التعامل مع النص كما لو أنه مقطوع عن موضوعهِ مستقل عن موضوع القراءة.

خلاصة:

ومن خلال ما تقدم من عرض مفصل للمنهج البنيوي يمكن إبراز النتائج:

البنيوية تطلب معاينة متعمقة للنصّ، وهذا نابع من رؤية شمولية للشعر بما هو فاعلية إنسانية تتجاوز شروط الزمان والمكان والفرد واللغة، وتجسّد علاقة جدلية بين الجزئي والكلي والخاص والعام.

إن الفكر البنيوي لا يقنع بإدراك الظواهر المعزولة، بل يطمح إلى تحديد المكوّنات الأساسية للظواهر، ثم إلى اقتناص شبكة العلاقات التي تشيع منها وإليها، والدلالات التي تتبع من هذه العلاقات ثم البحث عن التحولات الجوهرية للبني ة التي تنشأ عبرها تجسيدات جديدة لا يمكن أن تُفهم إلا عن طريق ربطها بالبنية الأساسية وإعادتها إليه ا من خلال وعي حاد لنمطي البنية: البنية السطحية والبنية العميقة.

فهنالك هوّة عميقة بين البنيوية والمناهج الأخرى السائدة في الدراسات العربية ونلاحظ امتيازه عليها، فالبنيوية لها قدرة فذة على إضاءة العالم الثقافة والأدب والشعر والإنسان.

إضاءة جديدة تمنح الفكر النقدي صلابة أشد، وقدرة أكبر على معاينة الأدب أو الشعر وتمثّلها وفَهم دلالات مكوّناتها والتشابك المذهل بين ظواهرها وعلاماتها الأساسية .

ثالثا: التركيب:

يعد دراسة تركيب اللغة من أهم موضوعات الدرس اللغوي، وأكثره تعقيدًا لأنه من خلاله نتوصل إلى أنظمة اللغة وقوانينها وضوابطها ، ومن هنا كان بناء محتوى تركيب اللغة هو المنطلق الأساسي لبقية المحتويات ، وبناء محتوى تركيب اللغة ينبثق من حصر هذا التركيب وهو عملية أسهل بكثير من حصرالمفردات اللغوية لأن تراكيب اللغة محدودة بخلاف ألفاظ اللغة التي قد يصعب الإحاطة بها أو بمعانيها من هنا قال الشافعي رحمه الله: "اللغة لا يحيط بها إلا نبي". ومن هنا وجب أن يتجه علمية بناء محتوى التركيب إلى معرفة ماهية التركيب.

1. مفهوم التركيب : تتعدد التعريفات الحديثة الساعية إلى تحديد مفهوم التركيب **syntagme** في اللغة، غيرأنها تتمحور في معظمها حول فكرة نضم الكلام **(Versification)** أو تأليف العناصر [70] **(Compositon)** أونظام الكلمات ، **(L'ordere Des Mots)**، ويذهب جورج مونان في قاموس اللسانيات إلى أن التركيب – عند سوسير – أو من منظور لساني حديث – هو تأليف وحدتين أو عدة وحدات متتابعة في السلسلة الكلامية ، ويقصد بالوحدة في هذا التعريف العنصر اللغوي الدال أو ما يسمى المونيم « **Monème** »، ويتولى علم التركيب **(Syntaxe)** دراسة نظام هذه الوحدات وترتيبها، والعلاقات الرابطة بينها وعلة سبيل المثال فان الوحدة الدالة " الجو " تقبل التأليف مع الوحدة " جميل" أما الوحدة الدالة " السماء " فتقبل التأليف مع الوحدة "صافية" في التركيبين "الجو جميل" و "صافية أن ثمة معايير و علاقات تراعي في ربط أجزاء الكلام وتأليفها لإقامة المعنى المراد التعبير عنه وهذه المعايير تختلف من لغة إلى أخرى، وهي حقيقة يلمسها كل من يحاول الترجمة من لغة إلى أخرى .

[70]- محمود السعران،علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 205-206.

إذن لكل لغة طريقتها في تأليف الكلام و يمثل محمود السعران لهذه الحقيقة بالتركيب الوصفي فيقول:" نحن في العربية مثلا نأتي بالموصوف أولا ثم تتبعه الصفة فنقول " المطر الغزير" ولكن عقلية الرجل الانجليزي عندما تريد التعبير عن هذه الفكرة لا تتصرف إيراد الكلمة الدالة على المطر أولا، تناول ما تتصوره هو الصفة، هو الكلمة الدالة على غزارة المطر فيقول:" **the heavy rain**". [71]

كما يرتبط مفهوم التركيب في الدراسة اللسانية الحديثة بدراسة الجملة وعناصرها و العلاقة الناشئة بين وحداتها كعلاقة الإسناد و على سبيل المثال فان إسناد العمل إلى الرجل في التركيب "يَعمَلُ" هو على سبيل الإفراد أما في التركيب" الرجال يعملون" فهو على سبيل الجمع.

إن اضطلاع علم التركيب بدراسة العلاقة الناشئة بين الوحدات في الكلمة الواحدة أو بين الكلمات في السلسلة الكلامية يميزه عن فروع الدراسة اللسانية الأخرى كالدراسة اللسانية الأخرى الدراسة الصرفية **(Morphologie)** التي تهتم بالتنوعات الشكلية لهذه الوحدات و الدراسة الصوتية (**pholologie)** التي تهتم ب "الفونيم" (الوحدة الصوتية التمييزية) و الدراسة الدلالية التي تبحث في المدلولات أو التصورات أو المعاني انطلاقا من الكلمات.[72]

وينبغي الإشارة هنا إلى التمييز بين فروع الدراسة اللسانية المذكورة هو ضرب من التقسيم المنهجي الذي تقتضيه ضرورة البحث العلمي ، وهو أمر متداول في اغلب الدراسات اللغوية غير أن هذا التقسيم لا يستلزم الفصل بين هذه الفروع بحيث يكون كما يقول ادوارد سابير: " مقاطعات لسانية مستقلة عن بعضها البعض ...." [73] و هي عبارة توحي بمدى التفاعل الحاصل بين فروع الدراسة اللسانية، مما يجعل الفصل بين مباحث التركيب و

[71] محمود السعران،علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 205-206.

[72] محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية: معجم عربي، اعجمي عربي ، ص 150.

[73] ينظر جورج مونان، مفاتيح الالسنية، ترجمة الطيب البكوش(تونس: منشورات سعيدان 1994م)، ص119.

الدلالة والصرف في الكثير من الأحيان أمرا عسير المنال ، و هو أمر متعلق بمنهج الدراسة المتبع إذ أن درجة تفاعل هذه الفروع متباينة تباين اتجاهات الدرس اللساني.

2. بعض المفاهيم المتعلقة بالتراكيب اللغوية:

لقد تطرق كلاً من ابن جني الذي يعتبر احد أعلام الفكر اللغوي في عصر التقعيد و عند تشومسكي أحد أعلام الفكر اللغوي الحديث ورائد الفكر التوليدي التحويلي إلى عرض بعض المفاهيم الخاصة بالتراكيب اللغوية كمفهوم النحو، الإعراب، الجملة.

2-1. النـــحـــــو: يعرف ابن جني النحو بأنه" انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية، والجمع والتحقير، والتكسير، فالإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك" .[74] و هو في الأصل مصدر شائع أي نحوتَ نحوًا كقولك: قصدتُ قصدًا، ثم خصص به انتحاء هذا القبيل من العلم كما أن الفقه في الأصل مصدر فقهت الشيء أي عرفته ثم خص به علم الشريعة من التحليل و التحريم... وقد استعملته العرب ظرفا و أصله المصدر."

وبهذا النص سبق ابن جني علماء عصره ومن جاء بعده حتى علماء اللغة المحدثين في تعريفهم للنحو، إذ جعله شاملا للتراكيب والنظم والصرف، كما أن الإعراب جزء من علم النحو و ليس كل النحو، و النحو يبحث في قوانين الإعراب و المطابقة و التثنية و الإعراب عنده قالب يوضح المعنى لأن المعاني موجودة والإعراب يوضحها و يربط بينها.[75]

أما تشومسكي فيرى النحو نظرية اللغات الإنسانية المبنية داخليا أي نظاما من القيود مستقى من الموهبة البيولوجية الإنسانية التي تحدد هوية اللغات المبنية داخليا التي يمكن الوصول إليها إنسانيا تحت الظروف العادية[76]، وبذلك يعد تشومسكي النحو بمثابة القلب من الجسد بالنسبة للغة فهو يشمل قواعد اللغة في كل جوانبها الصوتية والصرفية والنحوية

---

[74] انظر : ابن جني، الخصائص، ج1، ص35.

[75] انظر:احمد سليمان ياقوت، دراسات في خصائص ابن جني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1974، ص 46.

[76] انظر: تشومسكي المعرفة اللغوية، تر: محمد فتيح، دار الفكر، ط1 ،مصر، 1993، ص72 .

إضافة لنظام المعاني إذ إن القواعد التوليدية التحويلية هي القادرة على الخلق وإعطاء الجمل الصحيحة فقط.

وهكذا فإن ابن جني يرى النحو شاملا لكل مستويات اللغة إذ يبحث القواعد الكامنة في صمت الكلام ويرى كذلك تشومسكي النحو نظاما من القواعد البيولوجية التي تحدد اللغات الإنسانية وتفسر بناءها وهذا النظام شامل لكل مستويات اللغة وإذا كانت مهمة النحو عند ابن جني البحث في القوانين اللغوية و اكتشاف المبادئ التي سار الكلام عليها، ووفقها فان مهمته عند تشومسكي تكمن في ربط البنية العميقة، التي هي العمليات العقلية أو الناحية الإدراكية في اللغة وربطها بالبنية السطحية التي هي القالب اللفظي، [77] لذلك كانت قواعد التحويل هي تحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية.

2-2. الإعـــراب: والإعراب عند ابن جني جزء من النحو ويعرفه بأنه:" الإبانة عن المعاني بالألفاظ ألا ترى انك إذا [سمعت أكرم سعيد أباه، و شكر سعيدا أبوه] علمت برفع احدهما نصب الأخر، الفاعل من المفعول و لو كان الكلام شرجا واحدا لأستهيم احدهما من صاحبه، فوظيفة الإعراب إظهار الدور الوظيفي لكل عنصر في الجملة وذلك بإعطاء حالة إعرابية له تمثل بحركات الإعراب أو تكون تجريدية تفهم من السياق ويضرب كذلك أمثلة ويشرحها مثل"ضرب يحي موسى فهنا لكل عنصر حالة تجريدية لغياب القرينة اللفظية والمعنوية فيعرب الأول فاعل والثاني مفعولا، أما إذا ظهرت علامات الإعراب مثل: " ضربَ محمدُ علياً" فتحدد حالة العناصر من خلال هذه العلامات فكل علامة تمثل حالة معينة فحركة الضمة مثلا تمثل حالة الرفع و حركة الفتحة تمثل حالة النصب و هكذا يحق التقديم والتأخير لا من اللبس و كذلك إذا كانت القرينة معنوية مثل " ولدت هذا هذه".

والإعراب عند ابن جني عكس البناء الذي هو" لزوم أخر الكلمة ضربا واحدا من السكون أو الحركة ولا لشيء احدث ذلك من العوامل، وكأنهم إنما سموه بناء لأنه لزم ضربا

[77] انظر: عبد الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث،دار النهضة العربية،ط1 بيروت،1979، ص143.

واحدا فلم يتغير تغير الإعراب سمي بناءً "[78]. وبذلك يكون الإعراب هو الحركة الناتجة عن الوظيفة و هذه الحركة تميز وظيفة كل عنصر عن غيره، فالإعراب هنا يأتي نتيجة للعقد و التركيب بين أجزاء الكلام، [79] فالإعراب يوضح المعنى ويوصل إلى مرامي الكلام ويزيل الإبهام.

وأما تشومسكي فقد درس الإعراب و ناقش الحالات التي تحدد كل عنصر داخل الجملة فدرس حالة الرفع و النصب و الجر و تقسيم العبارة الاسمية وفقا للشروط الآتية: [80]

- تعين للعبارة الاسمية حالة الرفع إذا حكمت بالفعل اللازم.
- تعين للعبارة الاسمية حالة النصب إذا حكمت بالفعل المتعدي.
- تعين للعبارة الاسمية حالة الجر إذا حكمت بحرف جر. مثال: "زار جون صديقه ".

فالمركب الفعلي "زار" يتحكم بالمركب الاسمي خارج المركب الفعلي أي "جون" ويعين له حالة الرفع كما يتحكم بالمركب الاسمي داخل المركب الفعلي" صديقه" ويعين له حالة النصب لتفادي وقوع الخطأ في البنية السطحية، اقترح تشومسكي مصفاة الحالة التي تنص على أنه إذا كانت للمقولة (أ) حالة تقوم بتحديدها وجب أن تحددها حينئذ لعنصر تعمل فيه، فإذا كان الفعل متعديا فإنه يعزو حالة الفاعلية للمركب الاسمي الأول والمفعولية للمركب الثاني، ويحدد حرف الجر حالة النصب أو الجر بطريقة نفسها وهذه الحالة تتحدد تحت تأثير العمل.[81]

أي لا يمكن وجود عنصر لغوي يظهر في الجملة السطحية دون أن يكون له حالة إعرابية تحدد له حالة إعرابية تجريدية ويضع تشومسكي معيار الـ (ثيتا) الذي يحدد العلاقة بين عناصر الجملة، فموقع الـ (ثيتا) هو الموقع الذي يمكن أن تحتله العناصر في البنية العميقة لأدوار وظيفية في البنية العميقة، كمل ناقش تشومسكي (خرق مصفاة الحالة) أي

[78] انظر : ابن جني، الخصائص، ج1، ص 73.

[79] انظر: عزام الشريدة، دور الرتبة في الظاهرة النحوية، دار الفرقان، ط1، عمان،2004، ص13.

[80] فاطمة العمري، نظرية العامل دراسة التراكيب، رسالة ماجيستر، الجامعة الهاشمية، 2004، ص161.

[81] انظر: تشومسكي، المعرفة اللغوية،ص 346.

عدم تحديد حالة للعنصر اللغوي كما في المصادر المؤولة مثل: (أحاول أن أكون الفائز) فالفعل أحاول لا يحدد حالة الفاعلية أو المفعولية للمصدر المؤول (أن أكون الفائز)، إذ إن حرف المصدر الذي يتصدر المركب المصدري يعين حالة العناصر في مركب المصدر.

2-3. الجمـلـــة: يعرف ابن جني الجملة بأنها: "ما كان من الألفاظ قائما برأسها ويحسن السكوت عليها"،[82] والجملة جزء من الكلام إذ يرى ابن جني أن الكلام مجموعة من الجمل المستقلة بنفسها المستغنية عن غيرها، وبذلك تكون الجملة مجموعة العناصر اللغوية المنتظمة معا ببعضها البعض بعلاقات نحوية و دلالية وقد قسم ابن جني الجملة إلى قسمين:[83]

- الجملة الاسمية مثل: ﴿**الله نورُ السمواتِ و الأرض**﴾. ﴿سورة النور، الآية35﴾.
- الجملة الفعلية مثل: ﴿**اهدينَا الصراطَ المستقيمَ**﴾. ﴿سورة الفاتحة،الآية 03﴾.

وأما تشومسكي فقد بحث الجملة على اعتبارها الوحدة اللغوية الأساسية، ويرى الجملة اللغوية، التراكيب الصحيحة نحويا دلاليا، فأنظمة اللغة لا تولد جملا غير صحيحة نحويا ودلاليا وقد قسم الجمل إلى:

- البنية العميقة: وهي ذات المستوى العميق المتولد عن قواعد النحو الكلي وهذا المستوى يتعلق بالقدرة الضمنية عند متكلم اللغة القومي.
- البنية السطحية: أي التمثيل الفونولوجي للجملة التوليدية وتنتج من قواعد التحويل من البنية العميقة إلى السطحية، و قد قسم الجملة السطحية إلى[84]:
- العبارة الفعلية: فعل + م. به.
- العبارة الاسمية: فاعل.

---

[82] انظر : ابن جني، الخصائص. ج1،ص 32.

[83] انظر: كريم زكي حسام الدين، أصول التراث في اللسانيات، الانجلو مصرية، ط2،1985 ص5-6.

[84] تشومسكي، المعرفة اللغوية، ص 168.

وحلل الجملة وقف مبدأ بلومفيلد في تحليل الجمل إلى المكونات المباشرة و لكن بشكل مطور على شكل قواعد كالآتي:

قاعدة 01. م = م + ج قاعدة 04. ال = ال التعريف.

قاعدة 02. م = أ + اسم قاعدة 05. اسم = رجل/ ولد.

قاعدة 03. م = فعل + م. اسمي قاعدة 06. فعل = ضرب.

فهو ينطلق من الجملة في دراسة اللغة، فلكل لغة عدد محدد من الأصوات ينتج عنها عدد كبير من المباني الصرفية في حين أن عدد الجمل الناتجة عن انتظام هذه المباني الصرفية لا سبيل إلى حصره، ومن جانب أخر فان الجملة هي الصيغة الظاهرة المستعملة في الإشارة إلى المعنى، كما أنها ميدان الدراسة لاستنباط القواعد النحوية، [85] وإذا عدنا إلى تعريف ابن جني للجملة نجده شاملا، إذ شمل كل أنواع الكلام ما دل منه على اسم أو فعل فالجملة إما أن تكون اسمية أو فعلية مختصرة إذ عبر عما يريد بشكل مباشر دون تأويل كما ركز على استقلالية الجملة لتكون صحيحة وتامة وإن تكون ذات فائدة، فالجمل إن لم تكن غانية عن غيرها " مستقلة بمعناها " فهي جمل غير كاملة.

3. التركيب عند مختلف المدارس اللسانية:

3-1. التركيب عند دي سوسير:

لقد سبقت الإشارة إلى أن العلامة ٱللغوية عند دي سوسير تُحيل على دال ومدلول فالتركيب عنده يتعّلق بتأليف هذه الوحدات الدالة في السلسلة الكلامية وفقا لعلاقات الارتباط والتقابل بينها.

3-1-1. مبدأ خطية الدال (Linéarité Du Signifiant): "إن ٱلدال باعتباره ذو طبيعة سمعية يحتل موقعا معيّنا من الزمن، وهذا ما يمنع توارد دالّين في وقت واحد وهو ما يسميه

[85] خليل عمايرة، المسافة بين التنظير النحوي و التطبيق اللغوي، دار و ائل،2004، ص294.

سوسير مبدأ الخطية الذي يجعل من الدوال اللّغوية تتتابع في السلسلة الكلامية، وهذا المبدأ يميز الدوال اللّغوية عن الدوال البصرية(**Signifiants Visuels**) التي يمكن فيها توارد دالين في وقت واحد وعلى سبيل المثال فإن الدالين" العملُ "و"خير" لا يمكن أن يتزامنا في التركيب"العمل خير"، أما في الدوال البصرية فيمكن الجمع بين إشارتين للدلالة عن نفس المحتوى كالجمع بين الضوء الأحمر وإشارة قف في تنظيم المرور وتظهر هذه الخاصية حسب دي سوسير"بمجرد تمثيلنا (للدوال) عن طريق الكتابة حيث نعوض تتابع الدوال في الزمن بخط الإشارات الكتابية".

إن مبدأ الخطية مع بساطته يعد خّاصية محورية تميز العلامة اللّغوية منجهة، وتوجه من جهة ثانية الدراسة اللّغوية نحو وصف وتحليل الفعاليات الجارية في المستوى الخطي أو التركيبي.

3-1-2. محور التركيب، محور الاستبدال: Syntagmatique Paradigmatique /Axe

إن النظام اللّغوي في رأي دي سوسير يقوم أساسا على العلاقات الداخلية بين الكلمات، وهذه العلاقات عنده نوعان: علاقات تتم في المحور وعلاقات(**Rapports Syntagmatiques**) الأفقي وهي العلاقات التركيبية أو التعاقبية أو الاستبدالية (**Associatif**) تتم في المحور العمودي وهي العلاقات التجميعي،[86]ويقصد بالعلاقات التركيبية تفاعل الكلمات فيما بينها وفقا لمبدأ التتابع (**Substitutif**) أو الخطية، هذا التفاعل الذي يتم بين كلمتين أو أكثر بحيث تكون كلٌّ منها في علاقة ومثال ذلك تتابع الكلمات ما-أجمل-الحياة في التركيب ما (**Assimilation**) تباين أجمل الحياة، أما العلاقات الاستبدالية فهي تحدث خارج السلسلة الكلامية ومقرها ذاكرة المتكّلم حيث تتجمع الكلمات التي تربط بينها صلة لغوية ما، فكلمة المعلمون مثلا قد تستحضر كلمات أخرى كالمهندسين أو الممرضين، وكلمة تربية تستحضر كلمة تعليم أو تكوين.

[86] ينظر ترجمة هذه المصطلحات: عبد السلام المسدي، قاموس اللّسانيات، الصفحات 243، 102.

ويمكن تمثيل العلاقات التركيبية والاستبدالية في الشكل الآتي:

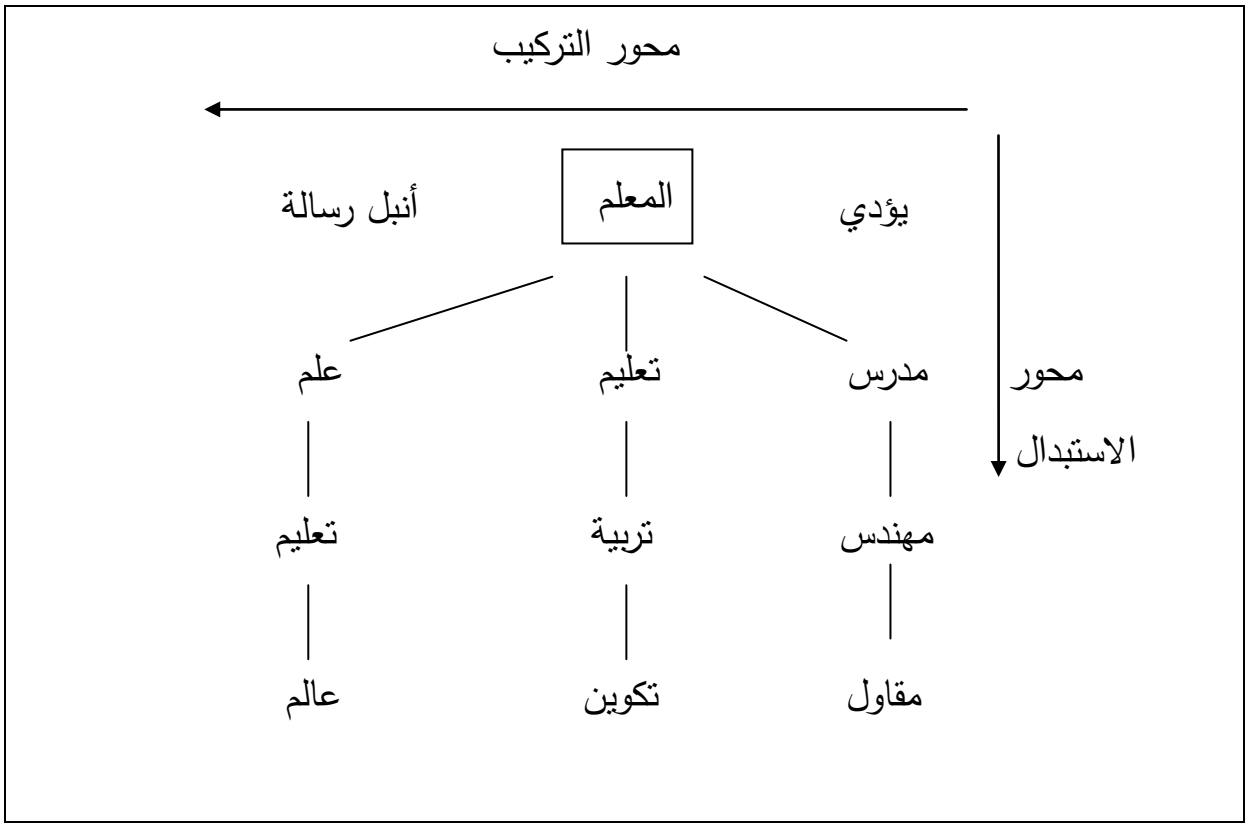

يرّتد" دي سوسير "في حديثه عن التركيب اللّغوي إلى ضرب من البساطة التي يعتمد فيها الوصف التشخيصي لعناصر البنية اللّغوية، متحريا العلاقة المزدوجة التي تنتظمها في البعدين الأفقي والعمودي، وذلك تماشيا مع المبدأ الأساسي لنظريته التي تجنح إلى وصف النظام الداخلي للبنية اللّغوية.

3-2. التركيب من منظور توزيعي:

"يميز أصحاب الاتجاه التوزيعي (**Distributionnalisme**) بين علم الصرف الذي يتضمن بناء الكلمات وأقسام الكلمات "وبين علم التركيب الذي"يتضمن بناء الجمل " ومن هنا فإن دارس التركيب يصوب انتباهه نحو التأليفات اللّغوية المتكونة من كلمتين أو أكثر .

ويعتمد التوزيعيون طريقة شكلية في التحليل اللّغوي تتمثل في:

3-2-1. التقطيع أو التقسيم (Segmentation) : الذي يتم من خلاله تحديد المؤلِفات المباشر(**Constituants Immédiats**) للتركيب اللّغوي ثم الكشف عن المؤّلفات أو

المكونات النهائية(**Constituants Terminaux**) وهي الوحدات التمييزية الصغرى أو المورفيمات (**Morphemes**) ويمّثل" بلومفيلد "لذلك في معرض حديثه عن التركيب في الفصل الثاني عشر من كتاب اللّغة بالجملة الإنجليزية الآتية: (**Poor Jonh Ran Away**) بمعنى" فر جون المسكين "بحيث تحلَّلُ الجملة إلى مكونين مباشرين هما:

Poor John (جون المسكين) Ran Away (فر)

ثم يقسم كلّ منهما إلى مكونين مباشرين بحيث نحصل على أربعة مكونات وهي:

Poor+ Joon+Ran+Away

ثم تحلل كلمةAway إلى مكونين نهائيين هما A+Way[87]

وبالموازاة مع ذلك فان جملة عربية مثل :المربون النزهاء يبنون المجتمعات تُحّلل على النحو الآتي:

1- المربون النزهاء + يبنون المجتمعات (مكونان مباشران).

2- المربون + النزهاء + يبنون + المجمعات (مكونات مباشرة).

3- ال + مربي + ون + ال + نزهاء + ال + مجتمع + ات (مكونات نهائية).

3-2-2. التوزيع (La Distribution): يسمح التقسيم إلى مكونات مباشرة وإلى مكونات نهائية بمعرفة القسم التوزيعي (**Classe Cistributionnelle**) الذي تنتمي إليه الوحدة ويقصد بالتوزيع احتلال الوحدة اللّغوية أو القطعة (**Segment**) لموقع معين بقية الوحدات داخل التركيب.[88]

وعلى سبيل المثال فإن الوحدات: كتاب، وطن، عمل، يمكنها أن تقترن بياء المتكلم في الأقوال:

-كتابي مفيد - وطني حر - عملي متقن.

[87] ينظر :أحمد محمد قدور، مبادئ اللّسانيات، ص249 .

[88] المرجع نفسه، ص 25.

وانطلاقا من ذلك فإن كلّ القطع القابلة للاستبدال في نفس الموقع تنتمي إلى نفس القسم التوزيعي.[89] ويمكن تمثيل ذلك كما يلي:

التـــــــوزيـــــــــــــع .

القطع المنتمية إلى نفس القسم

نحن في أتم الاستعداد للعمل.
هي.....
أنا.....
هؤلاء.....
أولئك.....
الرجل.....
المرأة.....

ونحصل هنا على صنف من الوحدات المنتمية إلى نفس القسم التوزيعي وهي: نحن، هي أنا، هؤلاء، أولئك، الرجل، المرأة...إن تحليل الجملة على الطريقة التوزيعية ينطلق من تجزئة الجملة إلى مكوناتها الموالية ثم التدرج في تجزئة هذه المكونات إلى أجزاء أصغر حتى الوصول إلى أجزاء غير قابلة للتجزئة.

وينتهي إلى ضبط الأقسام التوزيعية لهذه الأجزاء الصغرى .فهو تحليل هيكلي تصنيفي يعمد إلى رسم هيكل تفصيلي للتركيب اللغوي انطلاقا من مؤلفاته الكبرى إلى مؤلفاته الصغرى.

ويعين هذا التدرج في التقسيم على إبراز الأقسام الرئيسية للتركيب اللغوي كمرحلة أولى لدراسته، وعلى سبيل المثال فإن جملة: العلم النّافع غاية كلِّ مجتهد تقسم في المرحلة الأولى إلى:

1-العلم النافع. 2- غاية كل مجتهدٍ.

ولعلّ ذلك يدفع إلى التساؤل عن الأساس الذي يعتمده التوزيعيون للربط بين أجزاء هذه التقسيمات الأولية إذا كان من الشائع أنهم يلغون المعنى من اعتباراتهم، والواقع أن

[89] ينظر :جورج مونان، مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب البكوش، ص114 .

التوزيعيين كما يرى جورج مونان " يستعينون دائما بمعرفتهم معنى الوحدات لتنظيمها في أقسام ..." لقد ظهرت عروض مختلفة تتبع المنوال التوزيعي في تمثيل مكونات التركيب اللغوي و من أشهرها طريقة صندوق هوكي(**Boite De Hockett**) التي تعتمد التدرج في تجزئة مكونات الجملة.

و نمّثل لذلك فيما يلي:[90]

الـــ	تلميذ	الـــ	مجتهد	يقلب	أوراق	الـــــ	كتاب
التلميذ المجتهد				يقلب أوراق الكتاب			
التلميذ المجتهد يقلب أوراق الكتاب							

فهذه الجملة (**Phrase**) قسمت إلى مؤّلفين مباشرين:

الأول :التلميذ المجتهد ، وهو تركيب اسمي(**Syntagme Nominal**)

الثاني : يقلب أوراق الكتاب، وهو تركيب فعلي.(**Syntagme Verbal**) .

أما المؤّلفات النهائية فهي كالآتي:

(الـ) و هي أداة (**Article**).

تلميذ (اسم)(**Nom**) .

الـ/ مجتهد (صفة) (**Adjectif**).

يقلب(فعل) (**Verbe**) .

الـ/كتاب(**Nom**) [91]

لقد وجد التحليل الهيكلي الذي انتهجه التوزيعيون صدى كبيرا عند من وليهم من اللسانيين الذين وجدوا فيه معتمدا لإقامة نظرية وصفية حديثة ومن بين هؤلاء لسانيي المدرسة التوليدية الذين اعتمدوا طريقة التحليل بواسطة المؤلفات المباشرة.

[90] ينظر :جورج مونان، مفاتيح الألسنية، ترجمة الطيب البكوش، ص114.

[91] ينظر أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات ، ص 202

3-3. التركيب من منظور شكلي:(Formel)

خلافا للتوزيعيين الذين يتلافون اعتبار المعنى(**Sens**) في دراستهم، فإن "هيلمسلاف " يتجه نحو دراسة العلامة اللّغوية ببعديها التعبير ألمضموني، غير أّنه يصر على الطابع الشكلي للدراسة اللّسانية فهو ينطلق من بديهية أن اللّغة هي نظام من وأن" العلامة (**Système De Signes**)- والتي تقابل اللاعلامة-هي حاملة العلامات لمعنى.

"أما التحليل الشكلي الصارم الذي يقترحه هيلمسلاف فهو النظر في علاقة العلامة اللّغوية ببقية العلامات داخل التركيب وبتعبير رياضي فمهما كان العنصران(أ) و(ب) فإنه يجب البحث في العلاقة (أ ـــــــ ب) و (ب ـــــــ أ) وهو تحليل يتجاوز مجرد التقطيع أو التجزيء إلى البحث في الصلة المتبادلة بين الأجزاء والعناصر.

ويميز هيلمسلاف بين ثلاثة أنواع من العلاقات الرابطة بين أجزاء التركيب اللّغوي:[92]

❖ **التعاظل (Interdépendance)** : وهو التبعية المتبادلة بين عنصرين في التركيب بحيث أن وجود(أ) يستلزم وجود (ب) والعكس صحيح، ومثال ذلك العلاقة بين المسند والمسند إليه.

❖ **التحديد (Détermination)** : و هو الاستلزام الأحادي الجانب بحيث أن وجود العنصر(أ) يستلزم وجود العنصر(ب) و ليس العكس. ويمكن التمثيل لذلك بنظام السوابق واللّواحق في اللّغة اللاتينية بحيث أن وجود السابق أو اللاحق مثلا يفترض وجود الجذر كما يمكن التمثيل لذلك في قواعد اللّغة العربية بالعلاقة بين الفعل المتعدي والمفعول به بحيث أن وجود الأول يستلزم وجود الثاني.

❖ **التمايز (Constellation)**: حيث لا يفْتَرِض وجود أحد العنصرين (أ) و **(ب)** وجود الآخر بالرغم من كونهما متآلفين داخل التركيب، ويمكن التمثيل لذلك في العربية بالعلاقة بين الصفة والموصوف حيث أن وجود الصفة ليس بالضرورة التركيبة، وإنما توجد لإضفاء

[92] ينظر ترجمة هذه المصطلحات في قاموس اللسانيات للمسدي.

زيادة معنوية إن طريقة هيلمسلاف في تحليله للتركيب تتعدى البحث في الارتباط الدلالي بين أجزائه إلى محاولة البحث عن علاقات شكلية منطقية لها قابلية الوصف الموضوعي.

3-4. التركيب عند الوظيفيين: يتم بحث التركيب عند الوظيفيين في مستوى التقطيع الأول **(Première Articulation)** بحيث تحّلل العبارة اللّغوية إلى" متوالية من الوحدات الصوتية لكلٍ منها صورة صوتية ومعنى"[93] وهي لا تقبل التحليل إلى وحدات أدنى منها.

فوحدات التقطيع الأول هي الكلمات أو الألفاظ التي تحمل معنى ومضمونا فجملة: "عدنا إلى وطننا."

تحّلل إلى وحداتها الدنيا على الشكل الآتي:

عد / نا / إلى / وطن / نا

1 - 2 - 3 - 4 - 5

3-4-1. أنواع الوحدات التركيبية: إن اعتبار الوظيفيين لمدلول الألفاظ جعلهم يصّنفوها بحسب دلالتها فاللّفظة.**(Le Monème)** باعتبارها الوحدة الدنيا للتقطيع الأول والقابلة للاستبدال بوحدات أخرى في المستوى العمودي لها عدة أنواع:[94]

❖ **اللّفظة الممتزجة: (Monème Amalgame)** وهي اللّفظة الواحدة التي تنطوي على أكثر من مدلول واحد فلفظة) كاتب (مثلاً تدل على معنى الكتابة، وعلى القائم بهذا العمل كما تدلّ على معنى الإفراد، ولا يمكن تمييز الرمز اللّفظي الدال على كل معنى من هذه المعاني كما هو متاح بالنسبة لبعض الصيغ مثلا الجمع السالم ففي كلمة مهندسون يمكن التمييز بين لفظة) مهندس (الدالة على القائم بالفعل و (ون) الدالة على الجمع.

❖ **اللّفظة المفروقة:(Monème Discontinue)** وهي اّتحاد لفظين أو أكثر يوجدان في نقطتين منفصلتين في السلسلة الكلامية في الدلالة على نفس المعنى، وعلى سبيل

[93] -أندري مارتيني ، مبادئ في اللّسانيات العامة، ترجمة :سعدي زبير، ص18 .

[94] سليم بابا عمر وباني عميري ، اللّسانيات العامة الميسرة :علم التركيب) الجزائر: مطبوعات أنوار، 1990 م، ص 74

المثال فإن معنى الجمع في الجملة) :المسافرون يحملون أغراضهم (تدلّ عليه ثلاث لفظات هي (ون) في المسافرون (ون) في يحملون (هم) في أغراضهم.

❖ **اللّفظة المشتركة: (Syncrétisme)** وهي عبارة عن لفظة واحدة تتضمن مدلولين أو أكثر في الوقت ذاته غير أنّه يمكن تحديد المدلول الذي تختص به خلال السياق الذي ترد فيه ومثال ذلك صيغة الفعل المضارع" تكتبان التي تشترك في الدلالة على: المثنى المخاطب بنوعيه المذكر والمؤّنث، وعلى المثّنى الغائب المؤنث.

تكتبان ← أنتما (مذكر)
تكتبان ← أنتما (مؤنث)
تكتبان ← هما (مؤنث)

❖ **اللّفظة العَدَمية (أو اللّفظة الصفر): (Monème Zéro)** ويقصد بذلك وجود دلالة معينة بدون وجود علامة شكلية تدلّ عليها ومثال ذلك في العربية التقابل بين المذكر والمؤّنث .فالعلامة الشكلية للتأنيث في الأفعال والأسماء هي تاء التأنيث غير أنّه لا توجد علامة تقابلها للتذكير ففي كلمة):(كتبتِ) و(كاتبة) اللّفظة الدالة على التأنيث هي التاء، أما في (كتب) و(كاتب) (فان اللّفظة الدالة على التذكير منعدمة.

❖ **الصيغة الاتحادية: (Synthéme)** وهي وحدة يمكن تحليلها شكليا ومعنويا إلى وحدتين أو أكثر، غير أنها تتّحد للدلالة كمفردة واحدة، وترتبط مع بقية أجزاء التركيب على هذا الأساس، ومثال ذلك في العربية التركيب الوصفي أو الإضافي أو الصيغ الجامدة فالصيغ الاتحادية: صنعةُ اليد، العلم النافع، بئس ما .تؤدي الدور الدلالي والتركيبي للمفردة الواحدة في الجمل:

صنعة اليد ذخر، العلم النافع كنز، بئس ما يجمعون.

3-4-2. العلاقات التركيبية: يقسم" مارتيني " الوحدات من حيث علاقتها التركيبية ببقية أجزاء الخطاب إلى أنواع منها :اللفظة المستقلة، واللّفظة الوظيفية، واللّفظة المقيدة بالموقع[95].

❖ **اللّفظة المستقلة:** (**Monème Autonome**) وهي الكلمة التي تظهر في مواقع مختلفة دون تغيير أساس الخطاب، ومن أمثلتها كلمة (أمس) في المثال الأصلي الذي أورده "مارتيني ."وهي لفظة تتضمن علاقة ذاتية ببقية أجزاء القول ولا تحتاج إلى لفظة تحدد وظيفتها. وعلى سبيل المثال فإن كلمة غدا يمكن تغيير موقعها في التركيب دون التأثير على معنى الخطاب: غدا موعد إجراء الامتحان. موعد إجراء الامتحان غدا.

❖ **اللّفظة الوظيفية:** (**Monème Fonctionnelle**) تتحدد علاقة بعض الوحدات بالسياق بإضافة لفظات خاصة تسمى الألفاظ الوظيفية، التي لا تستقل بوظيفة في ذاتها،إنّما تؤدي دورا في تحديد وظائف الوحدات الأخرى، ومثال ذلك حروف الجر في العربية التي تتحدد بموجبها علاقة الأسماء المجرورة ببقية الخطاب، فإذا قلنا: ذهب الشاب إلى الناد .فإن وظيفة الوحدة(النادي) محددة بواسطة اللّفظة الوظيفية(إلى).

❖ **اللّفظة المقيدة بالموقع:** (**Monème Dépendant**)[96] ترتبط وظيفة بعض الألفاظ بموقعها بالنسبة إلى وحدات أخرى داخل التركيب، فوظيفة الصفة مثلا محددة بموقعها بعد الموصوف و وظيفة المضاف إليه محددة بموقعه بعد المضاف، ففي المثال:

قرأت كتابا مفيدا. قرأت كتاب اللّغة

ترتبط وظيفة" مفيدا "بكلمة" كتابا "في (1) وترتبط كلمة" اللّغة "بموقعها بالنسبة للمضاف"كتاب في(2). وقد يكون للموقع دور أساسي لتمييز وظيفة الوحدة كما هو الحال بالنسبة لوظيفة الفاعلية أو المفعولية في الجملة:

---

[95] ينظر مارتيني ، مبادئ في اللّسانيات العامة، ص. 99 و سليم بابا عمر وباني عميري، اللّسانيات العامة الميسرة : علم التركيب، ص 80 وما بعدها.

[96] ينظر مارتيني ، مبادئ في اللّسانيات العامة، ص100 .

تنمي أذهاننا أعمالنا. بحيث تتحدد وظيفة الفاعلية للوحدة" أذهاننا "بموقعها بعد الفعل.

❖ **الإسناد:** يولي " مارتيني "اهتماما خاصا بنوع معين من التراكيب هو التركيب الإسنادي[97] (**Syntagme Prédicatif**) وهو أدنى تركيب يقوم عليه القول (**Enoncé Minimal**) وينطلق اللّساني الوظيفي في دراسته للّغة من الخلية الأساسية بالبحث عن طرفي وعلى سبيل المثال فالتركيب: (الجو معتدل) هو تركيب إسنادي في العبارة (الجو معتدل هذا اليوم)، والمسند اليه هو (الجو) إما المسند فهو(معتدل). ومن هذا المنطلق تعرف الجملة بأّنها ":القول الذي ترتبط فيه جميع العناصر بمخبر فريد أو عدة مخبرات معطوفة[98]". فالجملة متعّلقة بالعملية الإسنادية، والمسنَد أو المخبر يمكّننا من تحديد هذه الجملة باعتباره عنصرا مركزيا فيها. وعلى سبيل المثال فإن التركيب : خرج الشباب المتعطشون للمغامرة في نزهة. هو جملة تتعلق جميع عناصرها بالمسند(خرج) أ ما نواتها الإسنادية فهي (خرج الشباب) ومن هنا فإن العناصر التي تمّثل طرفا أساسيا في عملية الإسناد وتعد وظائف أساسية (**Fonction Principale**) بحيث يفسد التركيب في غيابها ولا يمكن تأليف القول بدونها .أما ما عداها من العناصر فوظيفته غير أساسية بل هي متممة للمسند والمسند إليه بحيث تحدده أو تخصصه، ومن ذلك وظيفة المفعول به أو النعت أو الحال أو التمييز ... وتنقسم الوظائف غير الأساسية بدورها إلى وظائف أولية (**Primaires Fonctions**) مرتبطة مباشرة بالمسند كالمفعول به أو الحال، ووظائف غير أولية (**Fonctions Non Primaires**) غير متعلقة مباشرة بالمسند، وإّنما تتعلق بعناصر ذات وظيفة غير أساسية كالصفة المتعلقة بالمفعول به أو المضاف إليه المتعلق بالمفعول به. و في المثال الآتي إيضاح لهذه المسألة: قرأ الطالب كتاب القصص الجديد بشغفٍ.

فالمفعول به كتاب (والحال) بشغف (يؤديان وظيفة أولية متعلقة بالمسند) قرأ) أما المضاف إليه) القصص (والصفة) الجديد (فوظيفتهما غير أساسية لأّنهما تتعلقان بالمفعول به.

[97] ينظر مارتيني ، مبادئ في اللّسانيات العامة ص117-118.

[98] المرجع نفسه، ص118

❖ **القرائن**[99]: تختلف القرينة (**L'indice**) عن اللّفظة الوظيفية في أنها لا تحدد وظيفة لفظات أخرى داخل التركيب بل يتمّثل دورها في تخصيص لفظة ما وإعطائها مدلولا خاصاً كالتعريف والتنكير، أو الوصف وعلى سبيل المثال فإن أداة التعريف (الـ) في كلمة (الطالب) تخصصها داخل التركيب (جاء الطالب المجتهد).

والملاحظ من خلال استطلاع هذه المصطلحات الوظيفية المتعلقة بالمسائل التركيبية أن فيها سعيا إلى وصف ظواهر التركيب اللّغوي انطلاقا من الأشكال والبنى المتجلية دون إهمال ما ينطوي تحت هذه التجّليات من انعكاسات على المستوى الدلالي والتبليغي.

3-5. التركيب من منظور توليدي تحويلي:

يتكون النظام اللّغوي حسب رأي تشومسكي من مجموعة العناصر التي تتألف فيما بينها لتشكل سلسلة، ومن مجموعة العلاقات الملائمة التي تربط هذه العناصر بعضها ببعض. [100] وفي المستوى التركيبي يعد تحليل الجملة اللّغوية إلى مؤلفاتها المباشرة ثم بيان القاعدة التي تنتظم تآلفها وتحكم إنتاجها هدفا يسعى إليه النحو التوليدي، هذا ما سنتطرق إليه في الفصل الثاني و نبين فيه أهم التفاصيل.

[99] أندري مارتيني، مبادئ اللّسانيات العامة، ص 108 .

[100] نعوم تشومسكي، المعرفة اللّغوية :طبيعتها أصولها واستخداماتها، ترجمة محمد فتيح، ص 110 .

الفصل الثاني

الفصل الثاني: التركيب في علم اللغة البنيوي : "دي سوسير" و "تشومسكي".

أولا: التركيب عند فردينان دي سوسير:

تمهيد:

يعتبر فردينان دي سوسير رائد المدرسة الوصفية البنيوية الحديثة في أوروبا وأمريكا والبلاد العربية على السواء، ولقد كان ظهور هذه المدرسة بمثابة ثورة على عالم الدراسات اللغوية، بما فعلته من تغيرات جذرية على ساحة هذه المدرسة. ولعل ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى كتاب دي سوسير القيم (محاضرات في اللسانيات العامة)، والذي يعتبر من الكتب القيمة والنادرة والتي أحدثت ثورة علمية كبيرة لا تضاهيها أي قيمة أخرى ، فقد ساعد على تحديد مجرى لسانيات القرن العشرين والابتعاد بها كليا عن مناهج اللسانيات التاريخية وأحدث تغييرا هاما في نظرة الناس إلى اللغة حيث « كانت الدراسات الفيلولوجية والمنطقية قبل سوسير تنظر إلى اللغة كأداة لتسمية الأشياء أو كوسيلة تعبيرية فردية . وقد كبلت هذه النظرة اللغة وأفقرتها إلى مدى بعيد لكن سوسير استطاع بفحص هذه " الوسيلة " أن يكتشف أنها في الدرجة الأولى ليست وسيلة ، بل هي نظام شكلي لا شعوري يعتمد على الفروق، وليس على القيم الإيجابية الثابتة، ولهذا فقد دعا إلى دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها»[(01)].

وعلى هذا الأساس يعتبر دي سوسير مؤسسا لعصر بأكمله من الدرس اللساني ومؤسسا للسانيات الحديثة ذات المنحى البنيوي ، وإليه يرجع الفضل في ظهور علم اللغة الحديث كعلم مستقل له كيانه المتميز عن بقية العلوم الأخرى ، فقد استطاع هذا العم الذي ثبت أركانه ودعم قواعده أن يلج القضايا اللغوية المختلفة محللا إياها وفق منهجية ثابتة ودقيقة لكن قبل أن أتناول أسس الفكر اللغوي عند دي سوسير باعتباره مؤسس المدرسة

(01) عبد الله إبراهيم، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة "، المركز الثقافي العربي، ط (02)، الدار البيضاء، وبيروت، 1996، ص43.

البنيوية الحديثة رأيت أنه لزاما علي أن أتعرف – ولو باقتضاب – على الحياة الخاصة والأكاديمية لفردينان دي سوسير.

1. التعريف بشخصية فيردناند دي سوسير:

إن التغير في الاتجاه الذي حدث في بداية القرن العشرين هو تحول من اللسانيات التاريخية التي تهدف إلى معرفة تاريخ اللغات والكشف عن العلاقات الموجودة بينها، وإعادة بناء اللغات الأولى المنقرضة إلى ما أصبح يعرف اليوم باللسانيات الآنية، التي تعنى بوصف اللغات وتحليلها كما هي موجودة في نقطة معينة من الزمن، وبالخصوص في الزمن الحاضر كان أول من نظر لهذا المنهج الجديد السويسري "فردينان دي سوسير".

1.1.**مولده:** ولد" فردينان دي سوسير " **(Ferdinand de Saussure)** ، في جنيف بسويسرا في 17 نوفمبر 1857 انحدر من عائلة فرنسية بروستانتية، هاجرت من لوزان خلال الحروب الدينية الفرنسية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي إلى سويسرا، وشاءت الأقدار أن يولد هذا الرجل بعد عام من مولد" سيجموند مؤسس علم النفس الحديث وقبل عام من مولد" إميل دور كايم " (Sigmund Freud) "فرويد مؤسس علم الاجتماع الحديث، فكان لهذا الثلاثي شأن كبير في توجيه مسار(Emile Durkheim) العلوم الإنسانية وإحداث ثورة على المفاهيم القديمة والمناهج الكلاسيكية[1] .

2.1. رحلاته و مؤلفاته: في عام 1878 ، وقد كان في عنفوان شبابه نشر" دي سوسير " بعيد صدور مقال حول انتظام الشواذ كتيبه المشهور والمعنون كالآتي: مقالة حول" النظام البدائي للمصوتات لدى اللغات الهندية–الأوروبية"، ويكون بهذا العمل قد جدد نظرية النحو المقارن، حيث عالج أصعب مشكلة من مشكلاتها معتمدا على العلاقات الداخلية أو الوظيفية، ومبتعدا عن الوصف الصوتي الذي كان مسيطرا على كل الدراسات المتعلقة بأصوات اللغة، وهنا تظهر عبقرية هذا المبتدئ بوضوح تام فيبرز اسمه إلى الوجود، ويعلو شأنه بين المهتمين والباحثين في ميدان اللسانيات.

[1] أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر،ص118.

ثم يلحقه سنة1880 ، بعمل ثانٍ أو على الأصح برسالة جامعية نال بها عن جدارة و استحقاق، وبكل براعة شهادة الدكتوراه بدرجة ممتازة من جامعة" لايبسيك"، ولقد تعرض فيها دارسا ومحللا إلى (حالة الجر المطلق في اللغة السنسكريتية)، فأقر الحاضرين ولجنة الامتحان معا، وخير دليل على ذلك هو ما جاء في ثناء صديقه فأقر عليه حين قال:"لو لم يكن متواضعا لأمكنا عكس الأدوار بحيث يصبح هو الممتحن وهم الممتحنون."

بعد نجاحه بزمن قليل يختار العاصمة الفرنسية مستقرا له، فيحضر الدروس التي كانت بمدرسة الدراسات العليا من طرف كل من" برايال دارمستر "و"هقيت "ليعمق دراسته ومعارفه حول اللغات الهندية والإيرانية واللاتينية، ولكن سرعان ما يصير مدرسا لها، فيحتل في خريف عام 1881 منصب أستاذ محاضر للقوطية والألمانية القديمة في مكان" ميشيل برايال"، وهو لا يزال في الرابعة من عمره[2] .

وفي سنة 1891 ، عاد إلى جنيف والتحق بجامعتها حيث أنشئ له منصب كرسي التاريخ المقارن للغات الهندوأوروبية، وظل يشغل هذا الكرسي إلى غاية سنة 1896 ، حيث توارى عن الأنظار بعد ذلك، ودخل في عزلة تامة وانقطع عن الإنتاج.[3]

حاول بعض اللسانيين تفسير هذا الانقطاع نذكر منهم" أنطوان ميي "الذي يرى أن "دي سوسير" كان يعاني من عقدة نقص شبه مرضية هيمنت على أعماله في جنيف خلال فترة انقطاعه، وقد فسر هذه العقدة بوسواس الكمال الذي سيطر على باحث كان همه تقديم القضايا بشكل كامل و نهائي، وكذا" بنفنيست" و "دومورو" "الذين يعتقدان أن" دي سوسير " قد انهار أمام إحساسه بعدم فهم الناس أفكاره الثورية، وهناك تفسير ثالث يرى فيه بعض الباحثين أن سبب الانقطاع هو وقوع مشاكل في حياته الخاصة منعته من مواصلة التدريس ولعل أقرب هذه التفاسير إلى الصواب هو الثاني، ذلك أن من يفهم جوهر الرسالة العلمية

[2] زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، ص57 .

[3] الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية ابستمولوجية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين، ص54.

لمحاضرات" سوسير" يدرك أنه كان منهارا فعلا بسبب عدم فهم الناس له، لأن ما جاء به من مفاهيم ثورية كان على درجة كبيرة من الأهمية والجدة والأصالة.

وفي سنة 1907 ، يعود إلى التدريس بعد إلحاح شديد من تلاميذه، حيث ظل يدرس مبادئه الجديدة في اللسانيات العامة[4].

3.1. وفاته: توفي" فردينان دي سوسير "سنة 1913 دون أن ينجز مشروعه الذي كان ينوي القيام به، وهو تسجيل أفكاره وملاحظاته التجديدية الثائرة في اللسانيات حيث لم تكن لديه من المؤلفات سوى أطروحته ومقالته المذكورتين آنفا وبضع مقالات في النحو المقارن جمعها ونشرها" بنفنيست "عام 1964 في كراريس" فردينان دي سوسير" و" ألبير سيشهاي"" **Albert Sechehaye** فقرر اثنان من تلاميذه وهما" تشارلز بالي" **Charles Bally**" جمع تلك المحاضرات وتحريرها ونشرها.[5]"

فهما اللذان صمما على بعث مجمل أعماله العلمية من جديد، ومع أنهما لم يكونا من تلاميذه المباشرين بل ولم تكن في حوزتهما حتى مسوداته أو مخطوطاته الشخصية، إلا أن تضافر جهود" ألبير ريد نجير "وكراريس بعض الطلاب السويسريين هي التي أتاحت لهما إخراج دروسه وتنسيقها على حسب ما كان يدور بخلد صاحبها، وهكذا تخرج إلى الوجود سنة 1916 تلك الدروس في اللسانيات العامة[6] وعلى الرغم من أنها نشرت في ظروف خاصة فلا سرعان ما أصبحت مفتاح التأملات حول اللغة، وصارت عنصر إلهام أساسي لكل الأعمال اللسانية التي انطلقت منذ أواخر الثلث الأول من القرن العشرين.

2. دي سوسير و الدرس النحوي:

شكلت آراء د ي سوسير وفرضياته منعرجا حاسما في الدراسات اللسانية الحديثة حيث أرسى دعائم المنهج الوصفي ، الذي أعطى بعدا علميا في دراسة اللغة ومثل نظام

[4] الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية ابستمولوجية، ص55.

[5] إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة،ط1،2007، الأردن، ص14 .

[6] زبير دراقي: محاضرات في اللسانيات التاريخية، ص61.

العلامات و القيمة اللغوية، و الآنية و الزمانية، والعلامة الخطية، مكونات أساسية للمنطلق البنيوي.

إن حقيقة الطرح النحوي السوسيري تقتضي منا تقصي الحقائق اللسانية التي وضعها سوسير وبرهن على دقتها العلمية، ثم ربط هذه القضايا بالأحكام النحوية التي تنطلق من عناصر اللغة ومكوناتها نحو أقسام الكلام، و الجملة، و القيمة و الدلالة و القياس... ثم بيان العلاقة التي تربط هذه الأحكام بالدلالة أو بعبارة أخرى علاقة النحو بالدلالة.

3. أقسام الكلام في الطرح السوسيري:

لم تتضح أقسام الكلام عند سوسير وضوحها في الدراسات العربية و الغربية،لأنها لم تكن هدفه الذي يرمي إليه، و إنما الحديث عن مثل هذه المسألة صاغه د ي سوسير انطلاقا من وظيفة المنهج الوصفي الذي وظف لتعيين الحدود والمعالم في سلسلة الكلام مع بيان العلاقات التي تربط الوحدات اللغوية المتآلفة . يصل التقسيم إلى حدود التمييز و إظهار الوحدات اللغوية الملموسة التي ترتبط بالبنية والوظيفة ويرجع وجودها و انتماؤها إلى اللغة[7].

لا تدرك أقسام الكلم إلا في إطار التركيب الذي ينشئ علاقات فيما بين الوحدات التي لا تكتسب قيمتها إلا بمقابلتها مع ما يسبقها أو ما يليها أو هما معا.

يتجه سوسير نحو تغليب قيمة الوحدات المجردة في قوة علاقاتها على الوحدات الملموسة فالأسماء و الصفات أكثر ترابطا و شمولية و تجريدا من الحالات الإعرابية[8].

فهذه العلاقات التي تشكلت بين أقسام الكلام حملت جميع المعاني الموجودة والمحتملة ومكمن قوتها ونجاحها هي اعتبارها منهجا تصنيفيا " تفرض نفسها وشخصيتها و هي الواقعة الوحيدة التي يمكن جعلها قاعدة للنظام القواعدي ".[9] تجمع طروحات دي سوسير قضيتين جوهريتين تعدان أساس نظريته وهما النظام والقيمة.

[7] فرديننند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للنشر 1986م، ص.151.

[8] المرجع نفسه، ص168.

[9] المرجع نفسه، ص170.

إذ يعمل النظام على ضبط وتيرة الوحدات اللغوية وتقسيمها و تصنيفها، ثم الوقوف على بيان دورها في تشكيل المعنى و إظهاره. و ترتبط القيمة بترتيب عناصر الوحدات ذات الماهية المجردة التي تتساوى في وجودها وتقابلها مع وحدات محسوسة. [10]

ومن ثم فإن سوسير يؤكد على مبدأ التقسيم القائم على المعنى و الوظيفة اللتين لا تتحققان إلا بوجود صيغة مادية محددة . و تجدد منهجه في أقسام الكلام التي لم يعزلها عن التراكيب، بل صنفها تصنيفا تركيبيا وظيفيا. وهو بذلك يرصد عمل الكلمة (الوحدات اللغوية) وأصنافها و موقعها من خلال التركيب ولا قيمة لها خارجه.

إنه المجال الذي تتميز فيه الصفة عن الاسم، و الضمائر عن الحروف وتبرز مكانة الفعل في توجيه و تحديد الأسماء المرتبطة به ففي الفرنسية الحديثة يعبر" عن مفهوم المفعول به المباشر بوضع الاسم بعد الفعل المتعدي (Je Cueille une Fleur) أقطف وردة."[11]

1.3. التركيب والقيمة:

يشكل التركيب عند سوسير الأساس المادي لمفهوم التعاقبية إذ أنه يمثل ربطا بين عنصرين أو أكثر تجمعهما علاقات صوتية وصرفية ونحوية.يقول في وصفه": فالتركيب يتشكل دائما من وحدتين متعاقبتين أو أكثر ." يعكس هذا المفهوم علاقة الإسناد بين الاسم و الفعل، أو بين الاسم و الاسم و قد يتوسع إلى عدد غير محدود من الوحدات[12] .

ومن المؤكد أن الخطية **(Linéarité)** سمة اتصلت مباشرة بالوصف التركيبي الذي يعكس قيمة الكلمة بالنظر إلى ما يحيط بها من عناصر سابقة لها أو لاحقة . و تبرز القيمة بتظافر القرائن اللفظية والمعنوية. وبتشكيل علاقة تبادلية بين الكل والأجزاء، يقول سوسير": فقيمة الكل هي في أجزائه كما أن قيمة الأجزاء تأتى من مكانتها في هذا الكل أو ذاك، ولهذا

[10] فرديننند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص168 .
[11] المرجع نفسه، ص168 .
[12] المرجع نفسه، ص149 .

فإن أهمية العلاقة التركيبية بين الجزء و الكل، كأهميتها بين الأجزاء فيما بينها " ويصل إلى نتيجة هامة: أن الجملة هي النمط الأفضل للتركيب، بيد أنها تنتمي إلى الكلام الذي يتصف بعدم خضوعه للنظام، إنه يتصف بالحرية الفردية.

2.3. اللغة و الكلام:

لقد تردد سوسير كثيرا في تصنيف الجملة و ضمها إلى اللغة لا إلى الكلام وهذا يعود إلى الشك الذي انتابه مفاده: هل حرية الكلام تعطينا حرية التركيب؟و إذا كان الجواب بـ (نعم) فإننا نحصل على تراكيب خارجة عن قواعد اللغة، ولا نملك حرية التصرف فيها.[13] ومع ذلك فإننا لا نتهمه بإهماله الجملة بوصفها وحدة لغوية مثلما أكد جونا ثان كلر [14] وإنما الأمر يتعلق بتحديد المفهوم، إذ يمثل هذا الأمر لديه إشكالا يصعب حله.

يقول عن اللغة": إنها تبدو كمجموعة من العلامات المحددة مسبقا، والتي تكفي دراسة دلالتها وأحكامها، إنها كتلة مبهمة."[15]

ويقف عند الجملة قائلا: إذا كانت" الوحدات الواجب تقسيمها هي الكلمات: إذا ما الجملة، إن لم تكن تنفيذا للكلمات "[16]ليس هناك حدود بين اللغة و الجملة إن الذي يجمع بينهما هو النظام. ومع ذلك فإن تفسير عمل النظام في اللغة يبقى غامضا مثلما ساد الغموض مجال الجملة، إذ لا ينحصر مفهومها–في تنفيذ أو ضم هذه الكلمات، وإنما يتجاوزها إلى سلسلة من العلاقات المنتظمة في قواعد اللغة. إن الذي وقع فيه سوسير أنه لم يعرف" كيف يوائم بين حقيقة أننا نستطيع أن ننتج جملا جديدة كل الجدة، وحقيقة أن لغة ما تحتوي على أنماط من العبارة....كما أنه لم يدرك أنه من الممكن تشييد جملة محدودة من القواعد التي ستولد صورا من الوصف البنيوي لعدد غير محدود من الجمل ، فمعرفة اللغة كاف لتمييز الجمل التي صيغت وفق قواعد اللغة. ثم إن مستعملي اللغة " بإمكانهم إنتاج

[13] فرديننند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص151 .

[14] فرديناند دي سوسير، أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ترجمة، عزالدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية – القاهرة،2000م، ص150 .

[15] المرجع السابق، ص126 .

[16] المرجع نفسه، ص128 .

جمل جديدة موافقة لهذه القواعد وهذا ما سماه تشومسكي "الكفاءة اللغوية" **(Performance)** و" الأداء الكلامي**(Compétence)**.

3.3. العلاقات الترابطية والعلاقات الاستبدالية:

إن أهم ما يميز عمل سوسير في اللغة، هو أنه نظر إليها على أنها شبكة من العلاقات المتداخلة والمتقاطعة في محورين هما: محور استبدالي (المحور العمودي)، ومحور ترابطي (المحور الأفقي). وكل ما يتعلق بالأحكام التركيبية من إعراب وربط، واشتقاق وصفة وغير ذلك يمكن إرجاعها إلى العلاقات الترابطية (التركيبية)، إذ تتحقق هذه العلاقة بالربط بين وحدتين تمثلها العلاقة الإسنادية بين الفعل والفاعل، أو المبتدأ والخبر، وقد تتوسع هذه العلاقة إلى متممات أو فضلات، ويمكن للتركيب أن يتوسع ويتكون من عدد غير محدود من الوحدات اللغوية.

إن ما يميز الوحدات اللغوية في ترابطها سمة الخطية (Linéarité) التي تقوم بتفسير العلاقات التي تربط العنصر الوظيفي بسابقه ولاحقه. فالتركيب: الولد كبير– يطرح ازدواجية شكلية تتمثل في:[17]

– إن التركيب متكون من وحدتين: "الولد" و" كبير."

– ثنائية التذكير و التأنيث التي تعكس التطابق بين العنصرين السابقين فكبير "مذكر" كبيرة "مؤنث".

أما العلاقات الاستبدالية فهي تقوم على سمات مشتركة، أو هي العلاقة بين الصيغة و الوحدة اللغوية، وما يربط بينهما من جهة المعنى ، وقد أعطى سوسير مثالا لهذه العلاقة وهي: علم(enseiger) وتعلم (Enseignement).[18]

و تنتج هذه العلاقة نماذج مختلفة من الترابط المعنوي.

[17] فرديننند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة،ص 165.

[18] المرجع نفسه، ص167 .

النموذج الأول، و تكون الكلمات المرتبطة فيه ذات جذر واحد نحو: تعليم، تعلم، معلم عالم.

النموذج الثاني: و تشترك الكلمات فيه في اللواحق نحو : (Enseignement, armement, changement)

النموذج الثالث: و يقوم على التشابه بين المدلولات نحو: تعليم (Enseignement)، وتثقيف (instruction)، واكتساب (Apprentissage)وتربية(éducation).

فالتراكيب التي تنتجها تآلف الوحدات و تعاقبها غير نهائية، فهي أشبه ما تكون بمركز الكون الذي يتلاقى فيه عدد لا نهائي من العلاقات المتقاطعة. و قد مثل لها سوسير بالمخطط الآتي:[19]

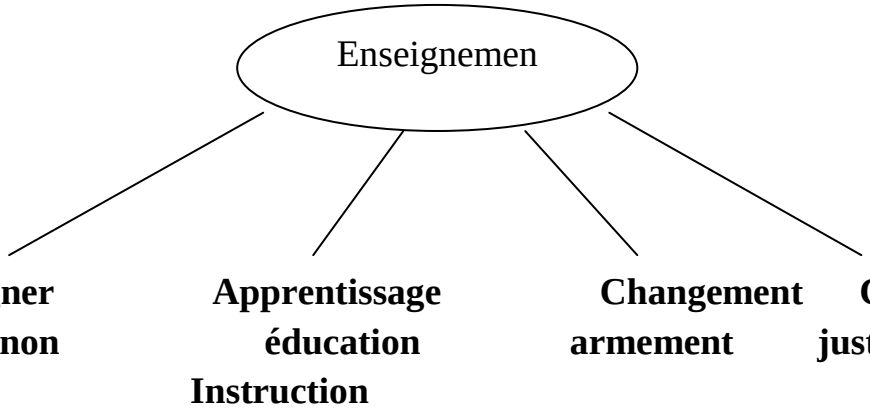

لقد جمعت الكلمة المركزية (Enseignement) بين نوعين من الاشتقاق، الأول يعتمد على الكلمة الجذر التي تساعد على توليد عدد كبير من الكلمات، والنوع الثاني يعتمد على إضافة اللاحقة (ment ....) أو غيرها.

تتحكم آلية التثبيت والانتقاء في تشكيل التراكيب، والربط بين الوحدات اللغوية للتعبير عن الموقف الذي نريده، فالتقابل الثنائي موجود بين الصوت وأثره الدلالي، أو الصورة الذهنية، وبين الصيغة والمعنى "فهناك إذا تشابه مزدوج بين المعنى و المبنى طورا وطورا آخر في الشكل أو في المعنى ليس غير"..[20] فالمتكلم إذا قال": أنجزت خمس مقالات" فإنه قد اختار كلمة" أنجز" من مجموع الخيارات الممكنة مثل: كتبت و أعددت

[19] فرديننند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص 151.

[20] المرجع نفسه، ص158 .

ونحوهما و اختار التاء المضمومة (تاء الفاعل أو المتكلم)، بدلا من الضمائر الدالة على جماعة المتكلمين (ن)أو تاء المخاطب، أو (تا)المخاطبين،أو ضمير المخاطبين (تم)أو ضمائر الغائب (هو،هي،.)... واستبعد من التركيب، واحدا، واثنين، وثلاثة. ونحوها واستبعد محاضرات، أو دروسا، أو رسائل والملاحظ أن كل كلمة من الكلمات المختارة في علاقة استبدالية مع غيرها من الكلمات المستبعدة، فالتركيب متوقف على انتقاء المتكلم و خياراته مضافا إليها متطلبات الموقف التي تدفع بالمتكلم إلى التدقيق في الخيارات لتحقيق الهدف الإبلاغي، و بالمقابل فإن علاقة المشابهة تتجسد في الكلمات التي تغير من المعنى نحو: قرأت بمقابل كتبت، وقد وصفت العلاقة هنا بعلاقة التغاير " وهي إحدى علاقتين تتدرجان تحت علاقة الاستبدال، والعلاقة الأخرى هي علاقة التشابه ".[21]

أما العلاقة الترابطية فإنها تقوم على الترادف و الإعراب والمطابقة و الرتبة و كثير من أحكام النحو التي تحكم التركيب في خطيته، فإذا قلنا مثلا:

- رأيت سبع نساء.
- رأيت سبعة رجال.

لحظ أن كلمة (سبعة) وردت بالتاء مرة، ودونها مرة أخرى وهذا لتحقيق التطابق بين العدد والمعدود، ونجد أيضا أنها وردت منصوبة لموقعها بالنسبة للكلمة السابقة،إذ وردت مفعولا به، ولا يصح أن نعوضها بـ (سبعٍ، أو سبعٌ) في حالة الرفع أو الجر. وتطرح هنا فكرة القيمة بوصفها العلاقة المحورية التي تحكم نظرية سوسير وهي بالنسبة إليه المفهوم المركزي للدراسة اللغوية" سواء بالنسبة إلى جانبها الإجرائي وهو تعيين هوية الوحدات اللغوية أو جانبها النظري عند تحديد موضوع اللسانيات أو ما يسميه الحقيقة اللغوية".[22] والبين هنا أن طرح سوسير في العلاقات الترابطية وحدوث الائتلاف بين الوحدات

اللغوية داخل التركيب يقترب من طرح الجرجاني الذي يرى أن الفرق بين الجمل ليس في

[21] محمد يونس علي، أصول اتجاهات المدارس اللسانية الحديثة، عالم الفكر، العدد الأول، المجلد32، سبتمبر2003 م، ص138.

[22] المرجع نفسه، ص 140.

الحركات الإعرابية التي تلحق أواخر الكلم، ولا في الألفاظ من حيث هي ألفاظ مفردة، وإنما في تلاؤم معاني الألفاظ المتجاورة في التركيب وقد مثل لفكرته هاته بقوله": ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك و تؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك، وتوحشك في موضع آخر كلفظة الأخدع في بيت الحماسة:

تَلفَّتُ نَحو الحي حتى وجدتُني وجِعتُ من الإصغَاء لِيتًا وأخدعا[23]

و بيت البحتري:

و إني وإن بلَّغْتَني شَرَف الغنى وأعتَقْتَ من رِقِّ المطامعِ أخْدعي [24]

إن المعنى الذي يريده المتكلم محكوم بتقاطع العلاقتين الاستبدالية والترابطية (الائتلافية أو التركيبية) اللتان تخضعان لنظام العلامة اللغوية الذي يتحدد في ثنائية متلازمة هي:

-الدال والمدلول.

-الآنية والزمانية.

-القيمة والنظام.

-اللغة والكلام.

[23] البيت من بحر الطويل وهو للصمة بن عبد الله القشيري، وهو شاعر بدوي أموي مقل.ينظر دلائل الإعجاز، ص54.

[24] البيت من الطويل.

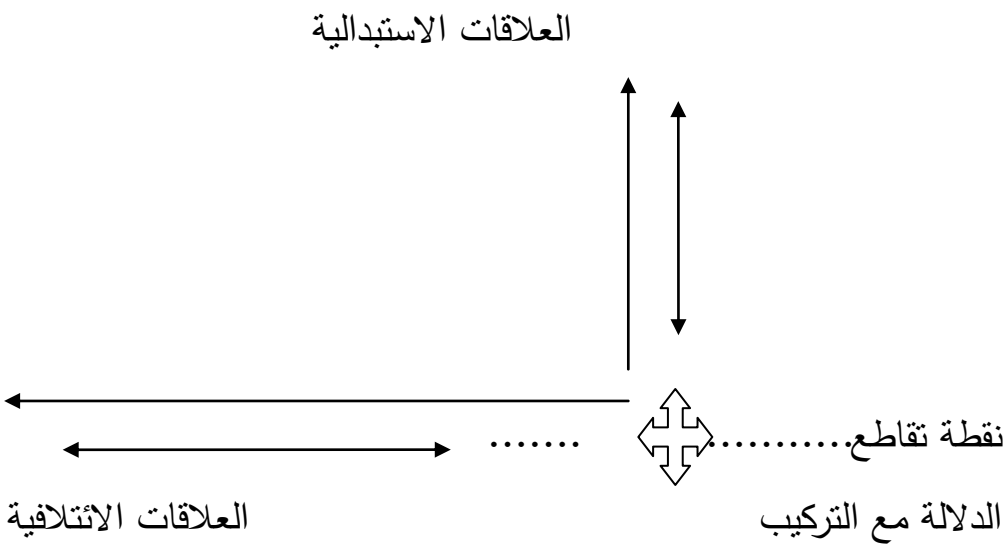

رسم بياني يوضح تفاعل العلاقات الاستبدالية و الترابطية .

إن الذي يهدف إليه سوسير هنا هو محاولة تصنيف قواعد اللغة و تنظيمها ضمن نظرية التراكيب ونظرية الترابطات،أي جعلها قاعدة للنظام القواعدي[25]."

4.3. الدلالة عند دي سوسير:

بأي شكل تطرح الدلالة في نظرية سوسير؟ وما موقعها من دراساته؟ وما حقيقتها؟ وما صلتها بالنظام، والكلمة، والقيمة؟.

إن متفحص كتاب دي سوسير يجد أن عناصر النظرية السوسيرية تتمثل في الدلالة (الدال و المدلول و النظام، والقيمة)، هذه العناصر الثلاثة شكلت هرما لسانيا تحكمه علاقات تمايز وعلاقات خلافية.

1.4.3. الدلالة حقيقة إيجابية:

لا تخلو أفكار سوسير من مبدأ الثنائية الذي طرحه هنا ليبين الخاصية الإيجابية للدلالة، حيث عبر عنها بمفهوم التمايز بمقابل الخلافية التي تقوم بوصفها علاقة بين العناصر السلبية. فالعلامة اللغوية (دال ومدلول) هي عنصر إيجابي، والعلاقة بين العلامات هي علاقة تمايز: "إن علامتين تشتمل كل منهما دالا ومدلولا ليستا مختلفتين إنهما

[25] فرديننند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص 165.

متمايزتان وحسب، ولا يوجد بينهما غير التقابل"[26]، في حين وصف الصوتيميات بأنها كيانات تقابلية نفسية وسلبية" يمثل سوسير الدلالة بمجموعة من الأمثلة المنتقاة من اللغة والتي تقوم على صفة التقابل نحو(marchons)، فان هذه الصيغة تطرح في الذهن مجموعة ترابطية مختلفة نحو: الفعل (marche) و (marchez) أو تقابلا مع صيغ أخرى يحددها الاختيار نحو (montons) و (mangeons). فتغيير صيغة ما في التركيب يفرض جملة من التقابلات ضرورية لإظهار قيمة أخرى فالفكرة لا تستدعي شكلا، بل منظومة كاملة نحصل بها على التقابلات الضرورية لتشكيل علامة[27] "، من المؤكد هنا أننا لسنا أحرارا في وضع التراكيب، بل مقيدون بجملة من القواعد التي تفرضها اللغة، وهي موجودة بالقوة في أذهاننا نستدعيها متى كانت رغبتنا في التعبير عن موقف ما.

فالدلالة التركيبية تتأثر بتغيير جزء صغير في الجملة، نحو تغيير ضمير المخاطبين في (que te dit-il) إلى ضمير المخاطب.(que vous dit il) ماذا يقول لك؟ أو جماعة المتكلمين (que nous dit il?) (ماذا يقول لن) إن تمثل المدلول و نقله إلى الواقع عن طريق الدال من أكبر المعضلات التي واجهت المعنى، فالدال حاضر والمدلول غائب، وهو" يعتمد على ذهن المتلقي لإحضاره إلى دنيا الإشارة. و هذه العلاقة لا تنشأ إلا بفعل المتلقي الذي يؤسس لهذه العلاقة و يقيمها بين الدال و المدلول وهي ما يسمى بالدلالة[28] " والظاهر أن علاقة التلازم الحاصلة بين الدال والمدلول هي التي أفضت إلى إنتاج الدلالة وتوليدها. فالدال تتضح قيمته بالمدلول، والمدلول يبرز إلى الوجود بالدال. "ومن هنا صار الوجود اللفظي هو الأساس للحضور الذهني[29] ".

[26] فرديننند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص 146.

[27] المرجع نفسه. ص137 .

[28] عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير، مطبعة دار البلاد –جدة، ص46 .

[29] نفس المرجع، ص نفسها.

2.4.3. الدلالة و النظام:

ننطلق في تحديد العلاقة بين الدلالة والنظام من الرسم الذي ساقه سوسير يبين فيه الدال والمدلول الذي يفسر العلاقة الدلالية داخل الكلمة ذاتها يقول دوسوسير ":فنحن ندعو النسق بين التصور و الصورة السمعية علامة " [30] ولكن إذا ما تفحصنا التمثيل البياني للدال و المدلول فإننا ندرك أن الدلالة منفصلة عن النظام،لأن مجال الكلمة مغلق، وقد صرح بذلك سوسير قائلا " فكل شيء إنما يتم بين الصورة السمعية والتصور وذلك ضمن حدود الكلمة مقدرة كمجال مغلق موجودا في ذاته"،[31] إذ يكفي اعتماد طرفي العلامة اللغوية لتحديد دلالتها، دون الرجوع إلى النظام اللغوي.

لقد تعمق سوسير في بحثه عن مركز الدلالة في اللغة، وبعد ما بين بالوصف و التحليل دور الصوت في إحداث الفوارق داخل الكلمة التي تعمل على تمييزها من بقية الكلمات الأخرى إذ"أن الفوارق هي التي تحمل الدلالة"، فالقيمة هي أحد عناصر الدلالة وهما في الوقت نفسه ليستا مترادفتين بل إنهما في علاقة تلازمية والدلالة إذا ماهي إلا "الجانب المعاكس للصورة السمعية[32] "

5.3. القياس عند سوسير:

حينما بحث سوسير في طبيعة اللغة واللسان، وجد أن القياس من أشكال القواعد التي تعمل على تطوير اللغة وبقائها، فاهتم به، وبين أهميته في الكلام بخاصة.

1.5.3. تعريف القياس: يعرفه سوسير على أنه" شكل جعل على صورة شكل آخر أو أشكال أخرى" فالشكل الجديد يقاس على شكل آخر وجد موضعا له في اللغة وفقا لقواعد القياس وقد صاغ العملية القياسية في معادلة رياضية بالتمثيل لقياس الكلمة (honor) اللاتينية(R) التي كانت (S) .

[30] فرديننند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص 89.

[31] نفس المرجع، ص 139.

[32] نفس المرجع، ص 88.

التي حدث فيها تغيير في اللاحقة:

Õrătorem : Õrator=honorem:×

× =honor

وهو عنده قائم على جملة حسابات رياضية، مثل لها بالعربية بما يلي:

إذا كان جمع نصيحة = فإن جمع فريده = س = فرائد نصائح س غير أن هذه القاعدة لا تنطبق على كل اللغة، إذ ليس بالضرورة أن يكون الجمع على وزن (فعائل) مأخوذ من الصيغة المفردة (فعيلة).

2.5.3. طبيعة القياس وأهميته:

ينظر سوسير في عمل الألسنيين الأوائل ونظرتهم للقياس حيث كانوا يعدون كل ما خرج عن الصيغة القياسية خطأ و شذوذا. إذ خالفهم في تفسير القياس الذي كان عنده يتلخص في محاكاة نموذج آخر حتى وإن كان مخالفا للصيغة المثالية.يقول: "لم يدرك أوائل الألسنيين طبيعة ظاهرة القياس، فقد كانوا يسمونها "القياس الخاطئ "كما كانوا وفي (honos) على النموذج (honor) يعتقدون أن اللاتينية أخطأت في ابتكارها كلمة نظرهم أن كل ما ينأى عن النظام القائم إنما هو تفاوت و صدوف عن شكل مثالي، إذ كانوا يرون عبر توهم يميز عصره أن حالة اللغة الأصلية هي شيء فوقي تام. من غير التساؤل ما إذا كانت هذه الحالة قد سبقت بأخرى، و إزاء ذالك فقد اعتبرت كل حرية شذوذا". [33]

يظهر لدى سوسير أن القياس مظهر من مظاهر التغير و التطور ,فهو إلى جانب التغيرات الصوتية يسهم في تطور اللغة واستقرار الأشكال فيها، بل إنه أكثر انتظام و أهمية من التغيرات الصوتية، ذلك أن هذه التغيرات لا تدخل جديدا إلا بإبطال ما كان عليه من قبل 3 ففي القياس نلحظ الشكل القديم يستعمل بالموازاة مع الشكل الجديد وربما استعمل الواحد ثم إن تلاشي الشكل، (honos)التي كان أصلها (honor) منهما مكان الآخر نحو كلمة الأصلي بسبب قلة الاستعمال لا يعد تحولا في نظر سوسير.[34]

[33] محمد حسن عبد العزيز، القياس في اللغة العربية، دار الفكر العربي، مصر،ط1415 ، 1هـ 1995 م ص128 .

[34] المرجع نفسه، ص199.

إن القياس كثيرا ما نجده ينتج أشكالا غير مستبدلة بأخرى نحو كلمة (interventionnaire التي تعني (تدخلي) على نمط (Pension :Pensionnaire) نزل نزيل رجعي (Réaction) (iréctionnaire) ورجعية.

ومثل هذا العمل الاشتقاقي، يبدو خلقا و إبداعا لغويا، حتى و إن عده البعض تعديلا لكلمات قديمة وبناء على ما سبق فإن للقياس أهمية كبيرة في اللغة، إذ أنه يوجد الأشكال وينظمها مثلما يضبط النهايات الإعرابية.[35]

3.5.3. أركان القياس:

يقوم القياس لدى سوسير على ثلاثة أركان رئيسة هي :المقيس، والمقيس عليه وعلاقة بينهما قائمة على أساس التشابه في اللفظ أو المعنى أوهما معا.

تقبع هذه العلاقة بين المقيس والمقيس عليه في الشعور الفردي، وهي قوية بالموروث اللغوي الذي يختزن في الذاكرة الفردية .يقول سوسير: "إن كل خلق لا بد أن يكون مسبوقا بمقارنة لا شعورية للمواد المودعة في الإرث اللغوي، حيث تنظم الأشكال المولدة بحسب علاقاتها التركيبية والترابطية، وهكذا يتحقق جزء كبير من الظاهرة قبل رؤيتنا الشكل الجديد[36].

فالصيغة الجديدة قبل أن توجد بالفعل، فإنها موجودة بالقوة في اللغة، إن كلمة نحو: لا يمكن تزيينه جميع عناصرها موجودة سابقا في و(décor–er) كلمات زين، أو (décoration) تزيين، وكذا (able) و in موجودة في بعذر(pardonn–able) أي غير معلوم.

الخلاصة:

مثل سوسير قاعدة الدراسات اللسانية الحديثة، حيث عمل على توجيه الأحكام النحوية لكثير من النظريات النحوية الحديثة. ومثلت الثنائية التي ميزت أبحاثه أساسا منهجيا

[35] فرديننند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص 197.

[36] فرديننند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ص202.

للمدرسة الوظيفية، والتوليدية التحويلية. أما الكلمة فهي ذات دور مركزي تظهر قيمتها داخل التركيب وبالنظر إلى علاقاتها بكلمات قبلها أو بعدها. فالنظرة التكاملية للنحو هنا جاءت من الأبعاد التصورية للغة، فهي ذات بعدين بعد تركيبي (خطي) و بعد استبدالي (رأسي).

ثانيا: التركيب عند تشومسكي.

تمهيد:

ظلت الدراسات اللغوية في أوربا وأمريكا على المنهج الذي وضعه دي سوسير لدراسة اللغة، إلى أن أُ صدر كتاب لنوعم تشومسكي بعنوان (التراكيب النحوية **Syntactic Structure**) عام1957م، و أشار فيه إلى نقائص بعض النظريات اللغوية خاصة تلك التي تناولت موضوع الاكتساب اللغوي (نظريات تعلم اللغة للسلوكيين) وبين فيه مؤلفه ضعف النظريات السائدة في التحليل اللغوي، ومنها منهج التحليل إلى المكونات المباشرة، ولكن المهم هو أن نظرية تشومسكي ومدرسته اللغوية لا يستطيع أن يتجاهلها أي عالم من علماء اللغة يريد أن يساير التطور المعاصر في علم اللغة، بل أصبحت كل مدرسة لغوية تحدد موقفها وموقعها بالنظر إلى أراء تشومسكي في قضايا لغوية معينة.

يقول جون ليونز مشيدًا بآراء المدرسة التوليدية التحويلية وأفكارها" :إنها لم تكن مجرد مدرسة عادية بين مدارس لغوية أخرى... وتعد بلا شك أكثر النظريات اللغوية حيوية وتأثيرا[37]"ويقول في موضع آخر:" النحو التحويلي هو أفضل نظرية ظهرت حتى الآن لوصف تركيب اللغة الإنسانية وتفسيرها بطريقة منهجية ...ومعرفة النحو التحويلي وفهمه يُعد ضرورة أساسية لأي فيلسوف أو عالم نفس أو عالم أحياء يرغب في دراسة قدرة الإنسان اللغوية."[38]

تأثر تشومسكي بالنحو العبري والعربي وقد صرح باستفادته منهما فقال" :إن دراستي المبكرة كانت متعلقة بدراسة النحو العبري في العصور الوسطى، فقد كان والدي متخصصًا

[37] انظر الألسنية (علم اللغة الحديث)، المبادئ والأعلام،260، وانظر نظرية تشومسكي اللغوية، ص29.

[38] المرجع نفسه، ص 32.

في النحو العبري والعربي في القرون الوسطى، وقد درست هذا النحو على يديه .وباعتباري طالبًا في الجامعة فقد درست النحو العربي الحديث، كما درست النحو العربي في القرون الوسطى كذلك ... فقد كتبت حول هذه القضية في مقدمة كتابي (البنية المنطقية للنظرية اللغوية) (the Logical Structure of Linguistic Theory) وناقشت في هذه المقدمة كيف أن بعضا من دراستي المبكرة في صغري لنحو القرون الوسطى كان قد قادني إلى بعض الأفكار حول البنية التنظيمية اللغوية التي دخلت بعد ذلك في نظرية الصوتيات التوليدية ونظرية النحو التوليدية فكانت هذه الأفكار في الواقع هي المثل المعتبرة التي احتذيتها في الأربعينيات، وأول بحث كتبته في النحو التوليدي هو ما كتبته عن هذا النحو للغة العبرية واعتمدت فيه على هذه الأفكار وكان ذلك في أواخر الأربعينيات[39]."

كما تأثر تشومسكي أيضا بالدراسات البنيوية حيث كانت نشأته العلمية في ظل المدرسة البنيوية إذ كان أستاذه(زيليج هاريس) تلميذا لبلومفيلد، ومن هنا لا نستطيع إنكار تأثره بالبنيويين[40]، وهذا ما يؤكده الدكتور تمام حسان بقوله: "العلامة تشومسكي تلميذ لهاريس الذي هو تلميذ لبلومفيلد منشئ اللغويات التوزيعية في أمريكا، ومن هنا يُعتبر النحو التوليدي حفيدًا إن لم يكن ابنا مباشرا للنحو التوزيعي، ولكن تشومسكي آخى بين تعاليم بلومفيلد وتعاليم همبولدت ووصفية دي سوسير ومنطقية بورت رويال وانتفع مع كل ذلك بالمنطق الرمزي وعلم النفس ,وأقر على نفسه بالعقلانية في فهم اللغة"[41]

1. التعريف بشخصية أفرام نعوم تشومسكي (Avram Noam Chomsky) :

1.1. طفولته:

ولد افرام نعوم تشومسكي في السابع من ديسمبر لعام 1928 في حي اوك لين الشرقي من فيلادلفيا، بنسلفانيا. والده الدكتور ويليام زيف تشومسكي (1896–1977) ولد

[39] مازن الوعر مع تشومسكي، لقاء أجراه حول بعض القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية والتحويلية، مجلة اللسانيات، العدد السادس، جامعة الجزائر، 1982م، ص79.

[40] لمازن الوعر، النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية والتوليدية، مجلة اللسانيات، العدد السادس، الجزائر، 1982م، ص 34.

[41] لتمام حسان ،إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، (ندوة اللسانيات واللغة العربية)، تونس، 1978م، ص 171.

في أوكرانيا والتي كانت جزء من الإمبراطورية الروسية ولكنه هاجر للولايات المتحدة في عام 1913 لتجنب التجنيد في الجيش، وهناك بدأ عمله في متجر للحلويات في بالتيمور ماريلاند قبل أن يتوظف كمعلم في مدرسة ابتدائية في هيبرو مستخدما ماله ليمول لدراسته في جامعة جون هوبكينز ، تزوج من إلسي سيمونفسكي وهي من مواليد ما يدعى اليوم ببيلاروسيا – روسيا البيضاء– ولكنها نشأت في الولايات المتحدة ومن ثم انتقلا إلى فيلادلفيا حيث بدءا هناك التدريس في مدرسة دينية إسرائيلية، وترقى ويليام في وظيفته حتى منح منصب المدير هناك .

وفي عام 1924 تم تعيينه في كلية غراتز والتي تعد أقدم مؤسسة لتدريب المعلمين في البلاد حيث بدأ كرئيس لهيئة التدريس في عام 1932. وبدأ أيضا في تقديم دورات للتدريس في كلية دروبسي في عام 1955. وقد كان منشغلاً بشكل مستقل في بحثه حول العبرية في القرون الوسطى وفي نهاية المطاف قام بتأليف سلسلة من الكتب عن هذه اللغة : "كيفية تعليم اللغة العبرية في الصفوف الابتدائية" (1946)، "العبرية قصة لغة حية" (1947)، "العبري اللغة الخالدة" (1957)، "التعليم والتعلم" (1959) إضافة إلى نسخة منقحة من "قواعد العبرية" لديفيد كيمنس (1952).

وحصل تشومسكي على تعليمه الأساسي من مدرسة أوك لين كونتري دي وهي مؤسسة مستقلة تركز على السماح لطلابها للبحث عن اهتماماتهم في جو غير تنافسي. وقد كتب هناك مقالته الأولى في سن العاشرة عن انتشار الفاشية بعد سقوط برشلونة في الحرب الأهلية الأسبانية. ومن سن الثانية عشر أو الثالثة عشر عُرف تشومسكي بشكل تام مع السياسة الأناركية. وانتقل في سن الثانية عشر للمدرسة الثانوية في سنترال فيلاديفيا وهناك انضم لنوادي ومجتمعات مختلفة ولكنه كان منزعج من أسلوب التدريس الهرمي والصارم المستخدم هناك.

2.1. دراسته الجامعية:

بدأ تشومسكي دراسة الفلسفة واللسانيات في جامعة بنسيلفينيا في عام 1945 بعد تخرجه من مدرسة سنترال الثانوية في فيلادلفيا، وقد حضر هناك دروس متعددة لفلاسفة مثل وست تشرجمان ونيلسون قودمان وأستاد اللسانيات زيليج هاريس ، ومن خلال دراسته لدى هاريس اكتشف التحولات كتحليل رياضي لبنية اللغة (حيث تكون المخططات من جهة فرعية واحدة إلى أخرى في نفس المجموعة من الجمل). وأشار تشومسكي لقواعد الصيغ الصرفية في أطروحته للماجستير في عام 1951 بعنوان "الصيغ الصرفية في العبرية" حول التحولات تبعاً لمفهوم كارناب لقواعد التحولات في عام 1938 مقابل قواعد التكوين وتبعاً لذلك إعادة تفسير مفهوم التحولات النحوية بطريقة مختلفة عن هاريس حين تكون عمليات الإنتاج في النحو المستقل **context - free grammer** المستمدة من أنظمة بوست للإنتاج وكان لآفكار هاريس السياسية دور فعال في تشكيل آراء تشومسكي ، حصل تشومسكي على درجة البكالوريس في عام 1949 والماجستير في عام 1951.

ومُنح تشومسكي درجة الدكتوراة في اللغويات من جامعة بنسيلفينيا في عام 1955. وقد أدار جزءاً من أبحاثه خلال الأربع سنوات في جامعة هارفارد كزميل في الجامعة ، وفي أطروحته بالدكتوراة طور تشومسكي بعضاً من أفكاره اللغوية وتوسع بها في كتابه الذي صدر عام 1957 بعنوان "التراكيب النحوية" والذي يعد من أشهر كتبه في مجال اللغويات.

3.1. المهنة:

انضم تشومسكي لهيئة تدريس معهد ماساتشوستس للتقنية (MIT) في عام 1955 وعين في عام 1961 أستاذاً في قسم اللغات الحديثة واللسانيات والذي يسمى اليوم بقسم اللسانيات والفلسفة، ومن عام 1966 حتى 1976 حصل على الأستاذية الفخرية للغات

الحديثة واللسانيات، وفي عام 1976 عُين بروفسوراً للمعهد في عام 2010 كان قد درس تشومسكي في المعهد ل55 عاماً متواصلة.[42]

4.1. أفكاره:

تتحدى لسانيات تشومسكي – والتي بدأت من "البنى التركيبية " وهي خلاصة لكتابه "البنية المنطقية للنظرية اللسانية " (1955، 75)– اللسانيات البنيوية وتمثل مقدمة لالنحو التحويلي وهذا التوجه يأخذ الكلام (تسلسل الكلمات) باعتباره متميزا بالنحو الشكلي وخصوصا في النحو ذو السياق المستقل الممتد مع قواعد تحويلية.

وربما مساهمته الأكثر تأثيراً في هذا المجال هو فرضية أن نمذجة معرفة اللغة باستخدام النحو الشكلي محسوبة لصالح إنتاجية وإبداع اللغة ، وبعبارة أخرى فالنحو الشكلي للغة ما يمكن أن يشرح قدرة السامع والمتحدث لإنتاج و تفسير عدد لاحصر له من الحديث –بما في ذلك الحديث الروائي– مع مجموعة محدودة من قواعد اللغة والمصطلحات ، ويدين تشومسكي دائماً لبنيني لفكرته الحديثة للنحو التوليدي على الرغم من ارتباطه كذلك بالأفكار العقلانية للمعرفة المسبقة .

ومن سوء الفهم المنتشر الإدعاء بأن تشومسكي أثبت بأن اللغة هي فطرية بشكل كامل وبأنه هو من اكتشف "النحو الكلي". في الحقيقة تشومسكي فقط لاحظ بأن الطفل و القط كلاهما قادر على التفكير الاستقرائي إذا تعرضوا لنفس المعطيات اللغوية فالطفل سيكتسب دوماً القدرة على فهم وإنتاج اللغة في حين أن القط لن يكتسب أياً منها. وسمى تشومسكي أي قدرة للإنسان يفتقدها القط "جهاز اكتساب اللغة" واقترح أن تكون إحدى مهام اللسانيات عن معرفة هذا الجهاز وماهي القيود التي يضعها على مجموعة محتملة من اللغات، وتسمى الخصائص الكلية التي من الممكن أن تنتج من هذه الحدود بـ "النحو الكلي". وتقوم مقاربة المبادئ والوسائط –والتي تطورت في محاضراته عن بيزا عام 1979 ونشرت لاحقاً بعنوان " محاضرات في الربط العاملي "– بجعل الفرضيات قوية بخصوص

[42] جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995 م، ص 11.

النحو الكلي. فالمبادئ النحوية التي تحدد اللغة هي فطرية وثابتة، والاختلاف بين لغات العالم من الممكن أن يوصف من خلال وسائط موجودة بالضبط في الدماغ (مثل عامل الحذف أثناء النطق والذي يشير اذا كان موضوع ما مطلوب دوماً، مثل الإنجليزية، أو من الممكن أن يحذف اختيارياً، مثل الإسبانية) والتي كثيراً ما تشبه المفاتيح. (ولذا كان هذا النهج يوصف بمصطلح المبادئ والوسائط). وتبعاً لهذا الرأي فإن تعليم اللغة لطفل يحتاج فقط لاكتساب المفردات اللغوية الأساسية (من كلمات والإضافات النحوية، والتعابير) ولتحديد مواصفات مناسبة، والذي يمكن أن يُبنى على أمثلة رئيسة قليلة.

2. النظرية التوليدية التحويلية:

لقد عرفت نظرية تطورا من قبل أتباع تشومسكي، وهي تطوير لنظريته الأصلية، إذ أنها تتبع العوامل و أثرها على المعمولات التي تتخذ حالات مختلفة مثل حالة الفاعلية(الرفع) nominative، و حالة المفعولية (النصب) accusative وحالة (الجر) génitive ،وهذا الأثر يكون في اللغات المعربة، أما الغير المعربة نحو الفرنسية و الإنجليزية وغيرهما فإنه لا يظهر إلا في الضمائر وحروف الجر التي تقوم بأدوار نحوية ودلالية مثل التي تقوم بها الحالات الإعرابية في اللغات المعربة. و صار الفعل ذا مركز هام في البنية العميقة في النظرية المطورة عند فيلمور، إذ أنه يعمل في الحالات النحوية سواء كانت هذه الحالات اختيارية أو إجبارية أو هما معا، وينعكس أثر هذا العمل في البنية السطحية على شكل كلمات تبين وظيفة الفاعل والمفعول به.[43] وإذا كانت هذه النظرية لم تلق استحسانا من قبل الباحثين في المجال التوليدي، فإنها شكلت لدى تشومسكي باعثا قويا على إعادة النظر في العلاقات الدلالية.[44]

[43] جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص170.

[44] المرجع نفسه، ص176.

3. البنية السطحية والبنية العميقة عند تشومسكي :

للغة جانبان الأول داخلي والآخر خارجي، وكل جملة يجب أن تدرس من هذين الجانبين أما الأول: فهو الذي يعبر عن الفكر والمعنى ويعكس أشكال الفكر الإنساني، وأما الثاني: فهو الذي يعبر عن الشكل الخارجي للجملة باعتبارها أصوات ملفوظة، وهذا الجانب (الخارجي) يترجم الجانب الأول(الداخلي) ويحوله من أفكار ومعاني في الذهن إلى كلام واضح على السطح[45]، ويعرف الدكتور ميشال زكريا البنية السطحية والبنية العميقة بقوله: "البنية السطحية أي البنية الظاهرة عبر تتابع الكلام الذي يتلفظ به المتكلم، والبنية العميقة أي القواعد التي أوجدت هذا التتابع... والبنية العميقة هذه بنية ضمنية تتمثل في ذهن الإنسان المتكلم المستمع، فهي بالتالي حقيقة عقلية قائمة يعكسها التتابع الكلامي المنطوق الذي يكون البنية السطحية، ومن هنا ترتبط البنية العميقة بالدلالات اللغوية... في حين أن البنية السطحية ترتبط بالأصوات اللغوية المتتابعة ويتم تحديد تفسير الجمل الصوتي عبرها".[46]

أما عن حدود عمل كل بنية كما وضحها فولر Fouler هي أن البنية العميقة تتصل بالمعنى والبنية السطحية تتصل بنظام العناصر والصوت، ومن ثم فالبنية العميقة عبارة عن معان مجردة مركبة لا يمكن نطقها إلا إذا تحولت إلى بنية سطحية ، وتتميز البنية العميقة من السطحية بأن العميقة كامنة ولا تتضح ولكنها تستحضر في الذهن وهي التي تهتم بالمعنى، وهي عامة لكل اللغات إذ هي انعكاس بسيط لشكل من أشكال العقل، والبنية العميقة عبارة عن المعنى الموجود في ذهن المتكلم وتقاس بما يُسمى بالكفاءة اللغوية لدى الفرد، وهذه الكفاءة يتبعها ما يُسمى بالأداء الكلامي والذي يُعتبر ترجمة للبنى العميقة الموجودة في ذهن المتكلم، وما الجمل التي يتكلم بها المتكلم ويسمعها السامع إلا مظهر

[45] لعبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، بيروت، 1906 هـ 1986 م. ص 124.
[46] لميشال زكريا، مباحث في الألسنية التوليدية، ص 154.

سطحي للمعنى العميق. وعلى هذا الأساس فالكفاءة اللغوية تخص البنية العميقة على حين يخص الأداء الكلامي البنية السطحية وقد اختار تشومسكي مثالا توضيحيًا بهذه الجملة:

1. خلق الله غير المنظور العالم المنظور.

فهذه الجملة تمثل البنية السطحية للبنى العميقة الآتية:

2. خلق الله العالم.

3. الله غير منظور.

4. العالم منظور.

ويعتبر تشومسكي أن الجملة رقم1 تمثل البنية السطحية للجمل الثلاث" 2 3 4" بمعنى أن الجملة 1 متحولة من الجمل" 2 3 4" بواسطة أكثر من عنصر من عناصر التحويل.4 والمثال الذي اختاره تشومسكي ظهرت فيه جمل تمثل البنية العميقة لجملة واحدة سطحية، وقد يكون العكس (جملة واحدة عميقة تمثل جملا عديدة سطحية) كما في الجملة الآتية:

1. كتب محمد الدرس.

فهذه الجملة يمكن أن تحول إلى:

2 .محمد كتب الدرس.

3. الدرس كتبه محمد.

4. محمد هو الذي كتب الدرس.

5. الذي كتب الدرس هو محمد.

فالجمل" 2 3 4 " تمثل البنية السطحية للتركيب العميق في الجملة "1 " الذي هو عبارة عن تعلق الحدث بمحمد وهو صفة للفاعلية، ثم وقوع الحدث على الدرس وهو صفة للمفعولية، إضافة إلى الحدث نفسه وهو الرابط بينهما، وهذه الجملة رقم "1" وأشباهها تمثل عند تشومسكي جملة البنية العميقة التي أساسها (فعل + فاعل + مفعول به) هذا من حيث التركيب الأساسي.

أما من حيث المعنى فهو يرى أن مهمة التحويل تكمن في معرفة معاني الجمل عن طريق الاختيار، ويمكن تصور العلاقة التي تربط البنية السطحية بالبنية العميقة بقواعد التحويل بالمخطط التالي:[47]

4. طرق تحليل الجملة في النحو التوليدي التحويلي:

يقول جون ليونز: "إن أقصى ما يمكن أن تطمح إليه أي نظرية لغوية هو أن تقدم لنا معيارا أو إجراءً تقويميًا يمكن عن طريقه أن يختار من بين الإجراءات أفضلها في التحليل اللغوي، ومعنى هذا أننا لا نستطيع الحكم بأن وصفا معينا لمادة لغوية هو الوصف بشكل مطلق، وإنما نستطيع القول بأن هذا الوصف أفضل أو أكثر صحة من أي وصف آخر لنفس المادة اللغوية لا أكثر ولا أقل" [48]، وهذا ما أكده الدكتور عبده الراجحي بقوله: "ليس هناك صواب مطلق في طريقة نحوية معينة ولكن هناك طريقة أصح أو أفضل من طرق أخرى "[49]. وعلى هذا فإن تشومسكي في نظريته اقترح طريقة لتحليل الجمل، وحينما قام بتطبيقها وعن له قصور فيها طورها في طريقة أخرى معالجًا فيها للقصور الذي عن له في الطريقة السابقة إلى أن انتهى تشومسكي باقتراح ثلاثة نماذج لتحليل الجملة، وهذه النماذج الثلاثة تمثل المرحلة الأولى من مراحل النظرية التوليدية التحويلية، وسوف نعرض لها بشيء من التفصيل فيما يلي:

[47] جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص 79.
[48] المرجع نفسه، ص81.
[49] لعبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص 128.

1.4. المرحلة الأولى:

أولا :النموذج الأول[50]:

ويسمى هذا النموذج (نموذج القواعد النحوية المحدودة Finite State Grammar) وبدأت هذه الطريقة مع ظهور أول كتاب لتشومسكي (التراكيب النحوية Syntactic) Structures وهذه الطريقة عبارة عن شكل شبيه بالآلة التي تمر بعدد محدود من الحالات الداخلية المختلفة، ولنفرض أن هذه الآلة تتحول من حالة إلى أخرى عن طريق توليد رمز من الرموز(ليكن كلمة من الكلمات) وهذه الآلة تتضمن حالة أولية، وحالة نهائية وبينهما عدد من الحالات تنطلق من الحالة الأولية، فتعطي عند كل تحول من حالة لأخرى(كلمة) حتى تصل الحالة النهائية. فالتتابع المنتج من الكلمات الناتجة نسميها جملة، وكل آلة من هذه الآلات تحدد لغة من اللغات، أو مجموعة من الجمل التي يمكن أن تولد بهذه الطريقة وكل لغة يمكن أن تولد بآلة من هذا النوع نسميها باللغة ذات الحالة المحدودة، ويمكن التمثيل لنظام القواعد المحدودة بالجملتين الآتيتين:

1 الولد قرأ قصة.

2 الرجل قرأ قصيدة.

بالمخطط التالي:

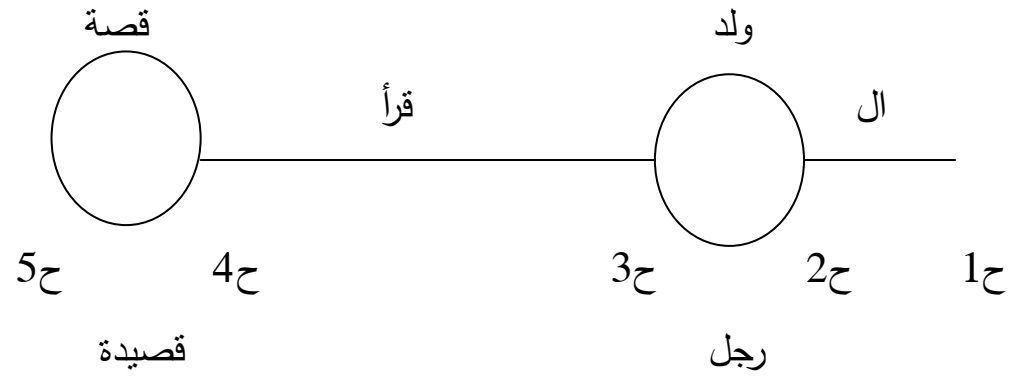

ح1= حالة أولى، ح5 = حالة نهائية، وتتوسطهما باقي الحالات.

[50] انظر النحو العربي والدرس الحديث ص 128، وانظر علم اللغة نشأته وتطوره ص198، وانظر نظرية تشومسكي اللغوية، ص 103.

فالرسم السابق يمثل القواعد النحوية المحدودة الحالات والتي لا تولد سوى الجمل الآتية:

1 الولد قرأ قصة.

2 الولد قرأ قصيدة.

3 الرجل قرأ قصة.

4 الرجل قرأ قصيدة.

كما يمكن تمديد إنتاج تلك القواعد لتعطينا جملا أخرى بإضافة حلقات مغلقة إلى المخطط السابق على النحو التالي:

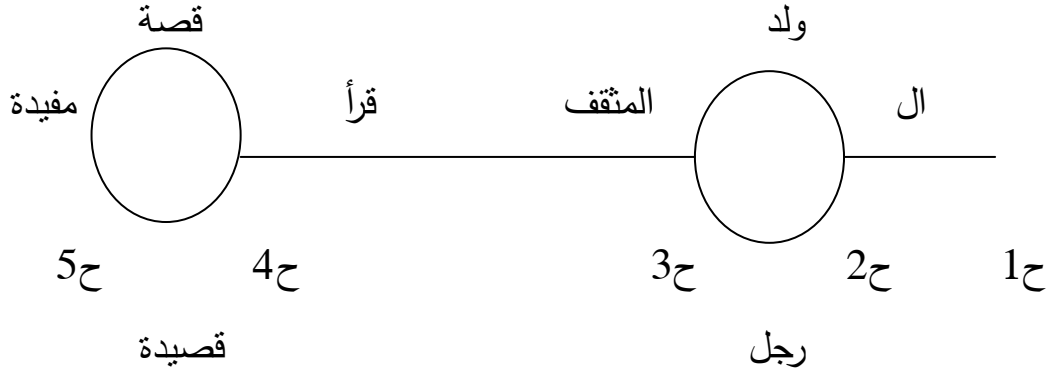

المخطط السابق يمثل القواعد النحوية المحدودة الحالات التي لا تنتج سوى الجمل الآتية:

1 الولد المثقف قرأ قصة مفيدة.

2 الولد المثقف قرأ قصيدة مفيدة.

3 الرجل المثقف قرأ قصة مفيدة.

4 الرجل المثقف قرأ قصيدة مفيدة.

وقد وجد تشومسكي أن هذه الطريقة لا تصلح للتحليل اللغوي لسببين هما:

1 أن الجمل المتولدة عن هذه الطريقة محدودة ,بينما اللغة تقدم جملا لا نهاية لها.

2 أن هذه الطريقة قد تولد جملا غير صحيحة نحويًا.[51]

لذلك لم يعتد تشومسكي بهذه الطريقة، ويرى أنه لابد من البحث عن طريقة أخرى.

[51] جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص107.

ثانيًا :النموذج الثاني: [52]

تسمى هذه الطريقة(قواعد بنية العبارة Pharase Structure Grammar) وهذه الطريقة تتميز عن سابقتها بقدرة أكثر على التحليل ,كما أنها تحلل العبارات والجمل بالعودة إلى مؤلفاتها المباشرة مثلما كان سائدًا في المدرسة البنيوية السلوكية من قبل.

وهناك شبه واضح بين أقواس التحليل في هذا النموذج واستخدام الأقواس في الرياضيات فمثلا: س(ص + ع)عملية الجمع تسبق عملية الضرب.

أما إذا كانت المعادلة على الصورة التالية:

س x ص + ع فإن عدم وجود الأقواس يعني أن عملية الضرب تسبق عملية الجمع، وبناءً على ذلك فإن العمليات التي سيتم بها الجمع والضرب في مثل هذه المعادلات ستؤدي إلى اختلاف النتائج التي نحصل عليها.

فإن المعادلة الأولى: س(ص+ع

(4+3) x2=

7x2 =

14 =

على حين أن المعادلة الثانية: س x ص + ع

4 + 3x 2 =

4 + 6 =

10 =

ويرى تشومسكي أن هذه الطريقة تساعد على فهم كثير من التراكيب النحوية التي يكتنفها الغموض ومثال ذلكقولنا :(مجلس البيت الكبير)... فإن صفة(الكبير)لا نستطيع تحديد موصوفها أهو المجلس أم البيت؟

ولكن عن طريق الأقواس نستطيع التحديد كما يلي:

[52] انظر النحو العربي والدرس الحديث، ص 132، وانظر علم اللغة نشأته وتطوره، ص 113، وانظر نظرية تشومسكي اللغوية، ص 200.

1 مجلس(البيت الكبير...)

2 مجلس البيت(الكبير...)

وبناءً على ذلك فإن صفة (الكبير) في الجملة (1) للبيت (2) وفي الجملة للمجلس.وقبل أن نشرع في عرض هذه الطريقة يجدر بنا أن نحدد معنى السهم الذي استعمله تشومسكي فيما يلي:

(⟵)هذا السهم يشير إلى إعادة كتابة الرمز الواقع على اليسار من السهم بواسطة الرموز المتتابعة الواقعة على اليمين منه مثلB + C ⟵ A أي تحول A إلىB + C ومعنى ذلك أن A عبارة عنB + C . والعكس في اللغة العربية فإن علينا أن نعكس اتجاه السهم، لأن طريقة الكتابة في اللغة الإنجليزية من اليسار إلى اليمين، أما في اللغة العربية فهي من اليمين إلى اليسار .وعليه فإن السهم(⟵) يشير إلى إعادة كتابة الرمز الواقع على يمين السهم بواسطة الرموز المتتابعة الواقعة على يساره مثل:[53]

جملة ⟵ مركب اسمي + مركب فعلي.

ويمكننا تحديد قواعد بنية العبارة وهي كما يلي:

1 جملة(S) ⟵ مركب اسمي + مركب فعلي.

2 مركب اسمي ⟵ (NP) أداة تعريف + اسم.

3 مركب فعلي ⟵ (VP) فعل + مركب اسمي.

4 أداة التعريف ⟵ (T) ال.

5 اسم ⟵ (N) رجل، كرة، شجرة ...إلخ.

6 فعل ⟵ (V) ضرب، أخذ، كتب ...إلخ.

فالقواعد من (1) إلى (3) قواعد تفريعية تفرع المستويات اللغوية الدنيا من المستويات اللغوية العليا .والقواعد من (4) إلى (6) قواعد معجمية تقوم بتزويد المستويات

[53] نصطلح على هذه العملية بكلمة(الترميز).

اللغوية بالمفردات المعجمية.ويمكن تطبيق هذه القواعد على جملة مثل(المعلم شرح الدرس) كما يلي:

الجملة

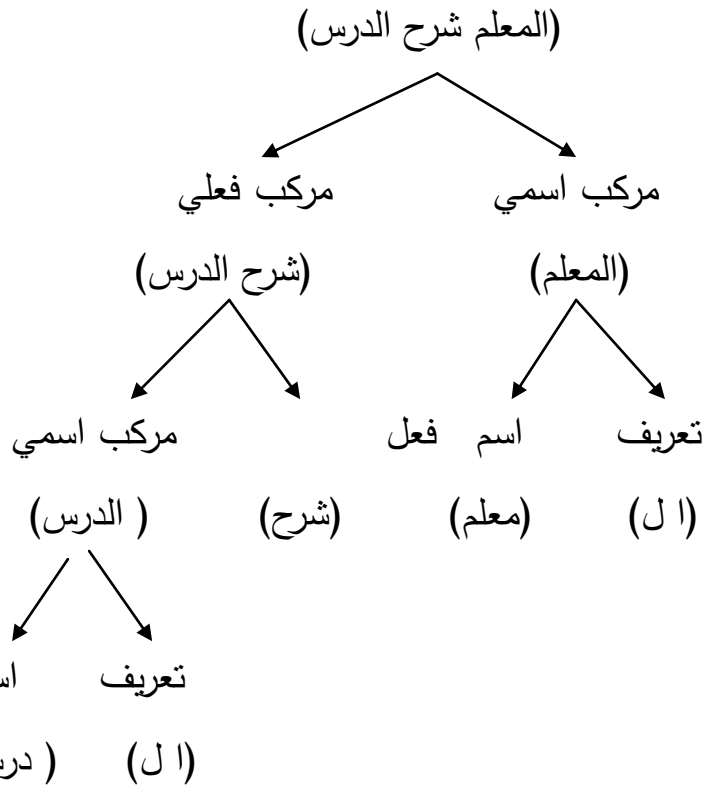

ويرى تشومسكي أن هذه الطريقة تتميز بالبساطة لذا فإنها تعجز عن تحليل الجمل الغامضة أو المعقدة، وكذلك الجمل التي بينها علاقات متبادلة كالجمل المبنية للمجهول[54] والجمل المشتركة في المعنى والمختلفة في المبنى، ورأى كذلك عدم صلاحيتها لوصف جميع اللغات.

كل هذه الأسباب دعت تشومسكي إلى التفكير في طريقة أخرى ذات قدرة على وصف اللغات وصفا دقيقا يتجنب فيه مظاهر الضعف والقصور التي ظهرت في الطريقتين السابقتين.

[54] جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ص130.

ثالثا: النموذج الثالث:[55]

وتسمى هذه الطريقة ب (النموذج التحويلي **Transformational Grammar**) وترمي إلى تحليل البنية العميقة للغة أي الجانب العقلي لها، كما ترمي إلى تحليل البنية السطحية باعتبارها الجانب المادي المحسوس للبنية العميقة، ومن ثم فهي تحاول الوصول إلى عامل(الحدث)عند صاحب اللغة.

وتقوم القواعد التحويلية بتحويل البنى العميقة **Deep Structures** إلى البنى السطحية **(Structures Surface)** وهذه البنى الأخيرة هي التي يتكلمها المتكلم ويسمعها السامع.

والقواعد التحويلية نوعان ,قواعد اختيارية يمكن تطبيقها أو عدم تطبيقها بمعنى أن الجملة تكون صحيحة نحويًا بدونها كقواعد البناء للمجهول والنفي والاستفهام، وقواعد إجبارية لابد من تطبيقها، ولا تكون الجملة صحيحة نحويًا بدونها ,كقواعد العدد التي تتم بها المطابقة بين الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، وقواعد النوع (التذكير والتأنيث) التي تتم المطابقة بها بين الفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، والصفة والموصوف... الخ، ونشير هنا إلى أن القواعد النحوية التي استعملها تشومسكي في هذه الطريقة هي نفسها التي استعملها في الطريقة السابقة (قواعد بنية العبارة) مع شيء من التوسع وبعض التغييرات الطفيفة، وذلك على النحو التالي:

- الجملة ← مركب اسمي + مركب فعلي.
- المركب الفعلي ← فعل + مركب اسمي
  مركب اسمي مفرد.
- المركب الاسمي ← مركب اسمي جمع.
- مركب اسمي مفرد ← أداة تعريف + اسم.
- مركب اسمي جمع ← أداة تعريف + اسم + علامة الجمع.
- أداة تعريف ← ال.

[55] انظر النحو العربي والدرس الحديث ، ص 135.

- الاسم ⟵ رجل. كرة.كلب ...إلخ.
- الفعل ⟵ فعل مساعد + الفعل.
- الفعل ⟵ حدث + زمن(ضرب حصل أكل ...إلخ.)
- الفعل المساعد ⟵ كان.
- زمن الفعل ⟵ مستقبل. ماضي .حالي.
- صيغ الفعل ⟵ (قاتل .اقتتل. قتل .اخضر.أدخل)

وقد مثل تشومسكي العمليات التحويلية التي تتم في تحليل الجملة بصناديق تتبع طريقة تحويل الجمل من التركيب العميق إلى التركيب السطحي كما في الشكل التالي:

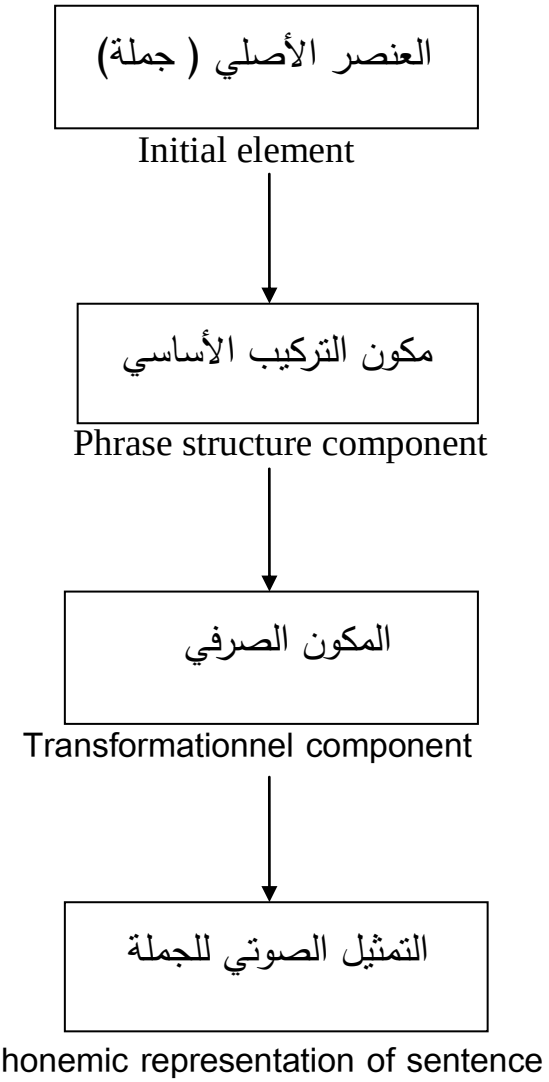

فالصندوق الأول عبارة عن العناصر الأولية التي يولد منها مجموعة السلاسل التحتية، أما الصندوق الثاني فيمثل قواعد التحويل الاختيارية والإجبارية، والصندوق الثالث يقوم بتحويل الجمل من صورتها التركيبية كسلسلة مكونة من كلمات ومورفيمات إلى الفونولوجية كسلسلة مكونة من فونيمات،[56] فتظهر على الصورة الأخيرة في الصندوق الرابع ويمثل الصندوق الخامس الصورة الصوتية للجملة.

2.4. المرحلة الثانية: النظرية النموذجية:

وفي عام 1965 طور تشومسكي في هذا النموذج (نموذج النحو التحويلي) وذلك في كتابه (مظاهر النظرية النحوية **Aspects of the Theory of Syntax**) وذلك بإضافته للعنصر الدلالي ورؤيته الجديدة للمعنى الذي رأى من ذلك الوقت أنه يجب أن يخضع للتحليل اللغوي ومن ثم أصبح النحو عند تشومسكي نظامًا من القواعد يربط معنى كل جملة يولدها بالأصوات.[57]

وبصدور كتاب(مظاهر النظرية النحوية) ظهرت النظرية التوليدية التحويلية بصورة واضحة وتطورت مفاهيمها وتم توسيعها بتوسيع مبادئها وإضافة بعض المبادئ الأساسية الجديدة إليها، ومن المبادئ التي تم التوسع فيها:

- التمييز بين الكفاءة اللغوية والأداء الكلامي.
- التمييز بين البنية العميقة والبنية السطحية .
- إدراج المكون الدلالي في القواعد.
- التمييز بين مفهوم أصولية الجملة ومفهوم مقبولية الجملة.
- إدراج المعنى في المكون الأساسي.

[56] جون ليونز، انظر نظرية تشومسكي اللغوية ، ص150.

[57] لعبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، ص139.

وبعد إضافة تشومسكي للمكون الدلالي أضاف صندوقا جديدًا للشكل السابق، وانتهى إلى الشكل الآتي[58]:

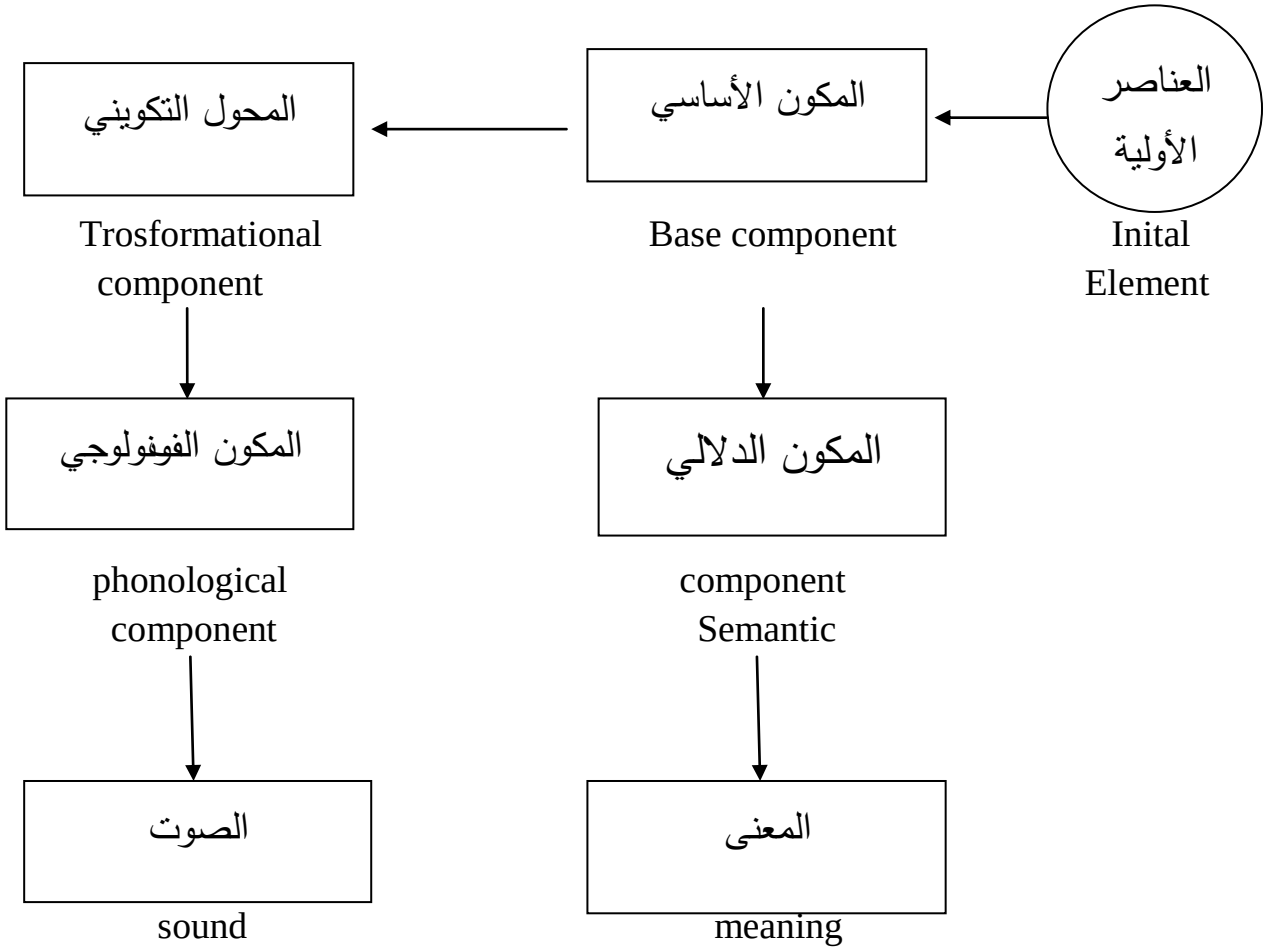

فالعنصر الأساسي يمثل البنية العميقة للجملة، والصندوق الثاني والثالث يمثلان معًا الوصف الدقيق لبنية الجملة العميقة، وهما اللذان يحددان العناصر التي تتكون منها الجملة ثم يتوازى بعد ذلك كل من المكون الدلالي والمكون الفونولوجي من حيث أنهما مفسران فالمكون الدلالي يفسر معنى الجملة، والمكون الفونولوجي يفسر الصورة الصوتية للجملة. [59]

وكذلك استطاع تشومسكي أن يفرق بين الجمل الأصولية والجمل غير الأصولية، "الجملة أصولية إذا كانت مركبة على نحو جيد .وهي غير أصولية إذا انحرفت عن المبادئ التي

[58] جون ليونز، انظر نظرية تشومسكي اللغوية ، ص158.

[59] المرجع نفسه، ص159.

تحدد الأصولية في اللغة أي القواعد الضمنية التي تقود عملية التكلم والتي يطبقها متكلم اللغة بصورة لا شعورية، ولكي تكون الجملة أصولية يجب ألا تنحرف بالنسبة لأية قاعدة من القواعد التي تعي ن توافق العناصر اللغوية في مستويات اللغة الثلاثة:

المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي... ومفهوم الأصولية ينتمي إلى دراسة الكفاءة اللغوية إذ أن الجملة غير الأصولية تتحدد وفقا لقواعد الكفاءة اللغوية" [60] ومثال ذلك الجملتان التاليتان:

1 كتب الطالب الدرس.

2 كتب الجبل الدرس.

فهاتان الجملتان صحيحتان نحويًا أي من جهة التركيب أو المبنى، ولكن من جهة المعنى فالجملة الأولى صحيحة، والثانية غير صحيحة على الرغم من أن المكونات الأساسية لهما متساوية، فتتكون كل منهما من:

جملة ⟵ فعل + اسم (1)+اسم(2)

إلا أن الجملة الثانية منحرفة معنويا وسبب ذلك يرجع إلى أن المكونات الدلالية للفعل (كتب)لا تتفق مع المكونات الدلالية للفاعل(الجبل) من هنا أقر تشومسكي بأن التفسير الدلالي ينبغي أن يكون له نفس قيمة التحليل النحوي، والقواعد النحوية ما هي إلا نظام متصل بدلالة الجمل التي تولدها هذه القواعد.[61]

ومما أضافه كتاب (مظاهر النظرية النحوية) التمييز بين مفهوم أصولية الجملة ومفهوم مقبولية الجملة وقد سبق الحديث عن مفهوم أصولية الجملة، أما مفهوم مقبولية الجملة فإنه ينتمي إلى مجال دراسة الأداء الكلامي بعكس مفهوم الأصولية الذي ينتمي إلى دراسة الكفاءة اللغوية. يقول تشومسكي: "ويجب عدم الخلط بين مفهوم (قبول الجملة) ومفهوم (أصولية الجملة) فمفهوم قبول الجملة عائد إلى مجال دراسة الأداء الكلامي في حين

[60] ميشال زكريا،مباحث في الألسنية التوليدية، ص 110.

[61] المرجع نفسه، ص113.

أن مفهوم أصولية الجملة يرتد إلى مجال دراسة الكفاءة اللغوية، فالأصولية هي عامل من بين عوامل متعددة تترابط لتحديد قبول الجملة."[62]

مما أضافه كتاب(مظاهر النظرية النحوية) ضرورة إدراج المعجم في المكون الأساسي وذلك لأن الطريقة الثانية لم تمنع اشتقاق مثل هذه الجملة (يكتب الدرسُ الطالبَ)على الرغم من أن القواعد التوليدية والتحويلية هي التنظيم الذي لا يتيح إلا إنتاج الجمل الأصولية، من هنا يتبين لنا أن على القواعد منع إنتاج مثل الجملة السابقة، ولكي تمنع القواعد إنتاج الجملة السابقة وأمثالها كان يجب عليها أن تقدم التعليمات التالية:

1 المركب الاسمي (الدرس) يحتوي على سمة –(متحرك).

2 المركب الاسمي (الطالب) يحتوي على سمة +(متحرك).

3 الفعل (يكتب) يتطلب اسمًا فاعلا يحتوي على سمة +(متحرك).

وبالتالي لا يكون فاعله محتويًا على سمة –(متحرك).

من هنا كان لابد من إضافة قواعد تأخذ في عين الاعتبار التعليمات السابقة ويجب أن ترتكز هذه القواعد على سمات المورفيمات وأن تحدد بنية المفردات المعجمية.[63]

ويتكون المعجم في المكون التركيبي من مجموعة غير مرتبة من المداخل المعجمية ويشتمل كل مدخل معجمي على سمات تركيبية وفونولوجية ودلالية، وتولد قواعد التكوين مشيرا ركنيًا يرتد إلى الجملة ويتم استبدال العنصر المستعار( ) أينما ظهر بالمداخل المعجمية الملائمة، وهذا الاستبدال يتم وفق ضوابط تحددها سمات المداخل المعجمية، وبعد القيام بعملية الاستبدال نحصل على المشير الركني للجملة في البنية العميقة ونمثل لذلك بالجملة التالية: (التلميذ كتب الدرس).

[62] لميشال زكريا، مباحث في الالسنية التوليدية، ص113.

[63] المرجع نفسه، ص نفسها.

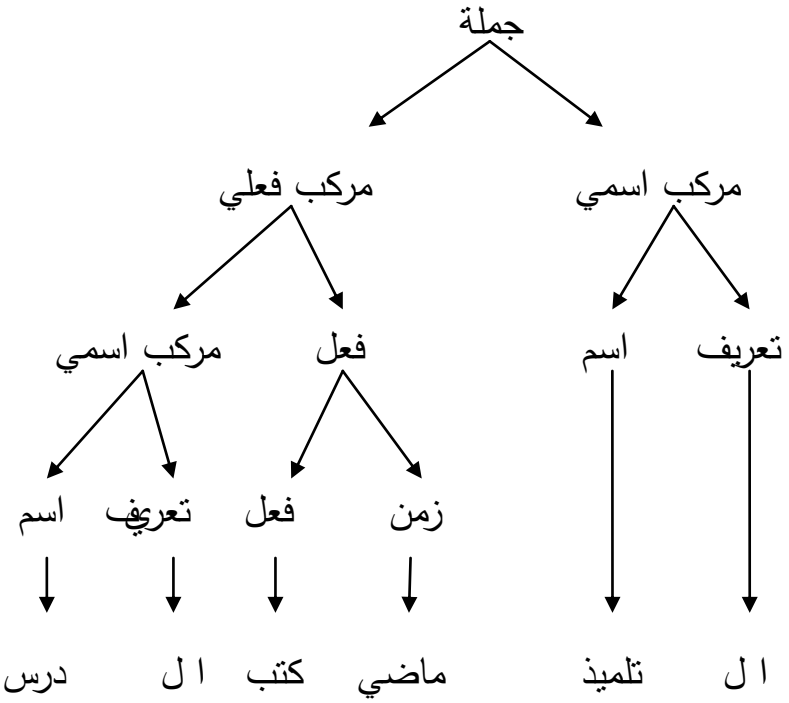

وتتكون القواعد التوليدية التحويلية في هذه المرحلة من ثلاثة مكونات هي:

1 المكون التركيبي.

2 المكون الدلالي.

3 المكون الفونولوجي.

والمكون التركيبي هو المكون التوليدي الوحيد، والمكونان الأخيران تفسيريان.[64]

والمكون التركيبي يتألف من مكونين هما:

1 المكون الأساسي . 2 المكون التحويلي.

ويحتوي المكون الأساسي على مجموعة قواعد بناء(قواعد إعادة كتابة = الترميز) وعلى معجم يشتمل على المداخل المعجمية. والمكون التحويلي يتضمن التحويلات التي هي قواعد يُبدل كل منها مشيراً ركنيًا بمشير ركني آخر، وتدرس هذه القواعد العلاقات القائمة بين الجمل.[65]

[64] لميشال زكريا، مباحث في الألسنية التوليدية، ص115.

[65] المرجع نفسه، ص نفسها.

3.4. أهم قواعد التحويل:

وفيما يلي سنعرض أهم عناصر التحويل التي تقوم بها القواعد التحويلية وهي:

- **الحذف:** ويُشار إليه بالرمز Ø ومثاله :أ + ب ⟵ ب.

وهنا تم تحويل أ + ب إلى ب فقط حيث حُذف العنصر(أ) وهذا مثل:

كتب الطالب الدرس ⟵ كُتب الدرس. حيث تم حذف الفاعل في الجملة الثانية.

- **التعويض:** وهو إحلال عنصر محل آخر، وذلك مثل :أ ⟵ ب.

حيث تم استبدال الرمز ب بالرمز أ.

- **التمدد أو التوسع** :ومثال ذلك :أ ⟵ ب + ج .حيث تم تمدد الرمز أ برمزين هما ب + ج.

ومثال ذلك: قلت :خيراً ⟵ قلت :إن من يتق الله يجعل له مخرجًا.

- **التقلص أو الاختصار** :ومثاله :أ + ب ⟵ ج.

حيث تم تقلص أو اختصار الرمزين أ + ب، وأصبحا رمزا واحدًا وهو ج، وهو عكس التمدد.

- **الإضافة أو الزيادة:** ومثاله :أ ⟵ أ + ب.

حيث تم زيادة الرمز أ بإضافة الرمز ب إليه، وهذا يختلف عن التمدد لأن في التمدد اختفى الرمز الذي على يمين السهم، و حل محله رمزان خلافه على يسار السهم، أما هنا فالرمز الذي على يمين السهم لم يختف ولكنه أضيف إليه رمز آخر على يسار السهم.

- **التبادل أو إعادة الترتيب:** ومثاله :أ + ب⟵ ب + أ.

وهنا لم يُحذف شيء ولم يُضف شيء، ولكن انعكس الترتيب فقط.

أما المكون الدلالي فيتناول القضايا المتعلقة بالدلالة ويدرس دلالة العناصر اللغوية ويلجأ إلى قواعد الإسقاط الدلالية التي تسقط المعنى على بنية معينة، والتي تربط بين

الكلمات والبنى التركيبية، كما يحتوي على التمثيل الدلالي للمؤلفات بواسطة القراءة الدلالية والمشير الدلالي اللذان يصفان بنية الجملة، ويمثلان مؤلفاتها الدلالية.[66]

أما المكون الفونولوجي فيدرس أصوات اللغة، ويتكون من القواعد الفونولوجية التي تتناول التغيرات التي تطرأ على المقطع الصوتي والمعجم الفونولوجي الذي يقدم تمثيل المورفيمات بواسطة مركب سمات فونولوجية مميزة.[67]

ويتمثل عمله في أن المعجم الفونولوجي بعدما يقدم السمات الفونولوجية الخاصة على المؤلفات، تقوم قواعد التكرار بضبط التمثيل الفونولوجي العائد إلى هذه المؤلفات في البنية السطحية، ثم تقوم القواعد الفونولوجية بتحليل التغيرات الصوتية الحاصلة من خلال تتابع السمات الفونولوجية الخاصة بكل مؤلف، وينتهي بتخصيص كل مركب لغوي بتمثيل فونولوجي خاص به.

ومما سبق يتبين لنا أن " المكون التركيبي يولد مجموعة غير متناهية من البنى التركيبية(الجمل) التي تحتوي على تمثيل دلالي يُستمد من المكون الدلالي، وعلى تمثيل صوتي يُستمد من المكون الفنولوجي . فيكون المكون التركيبي بمثابة جسر يربط بين المعنى والصوت".

4.4. المرحلة الثالثة: مرحلة النظرية النموذجية الموسعة:

وفي عام 1972م صدر كتاب لتشومسكي بعنوان(دراسات الدلالة في القواعد التوليدية **Studies on Semantics in Generative Grammar**) أضاف فيه تشومسكي إضافات جديدة، منها أن المكون الدلالي أصبح له دور في تفسير التركيب الظاهر للجملة بعد أن كان هذا الدور مقتصرا على المكون الفونولوجي.

ومنها أن المكون الدلالي صار بإمكانه الإسهام في تفسير العديد من العلاقات النحوية الظاهرة بعد أن كان يقتصر عمله على تفسير التركيب المستتر دلاليًا ومنها أن التركيب

[66] ميشال زكريا، مباحث في الألسنية التوليدية، ص116.

[67] المرجع نفسه، ص 117.

الظاهر وحده يمكن أن يقوم بدور كبير في التفسير الدلالي للجملة يقول تشومسكي: "صار من المحتمل جدًا أن يكون التركيب الظاهر وحده هو الذي يلعب دورا في التفسير الدلالي." كانت هذه فكرة عامة عما سلكته النظرية التوليدية التحويلية في مراحلها الثلاثة الأولى، وتلك هي تطوراتها فيها التي كانت نتيجة الأبحاث المتعمقة والجهود المخلصة لإيجاد أفضل الطرق التي تفسر مقدرة المتكلم على إنتاج الجمل غير النهائية وفهمها.

5. مواضع الخلاف بين التوليديين التحويليين والبنيويين.

- اتخذ البنيويون النصوص اللغوية موضوعًا لدراستهم، ولكن التوليديين التحويليين اتخذوا كفاءة المتكلم ومقدرته اللغوية على إنتاج الجمل التي لم يكن سمعها من قبل موضوعًا لدراستهم كما اتجه التوليديون التحويليون في تحليلهم للغة إلى الحدث اللغوي الخاص بمتكلم اللغة بمعنى أنهم يستقون مادة بحثهم من خلال مساءلة المتكلم، بخلاف البنيويين الذين اعتمدوا كما ذكرنا على النصوص اللغوية، لأن الجمل التي تتكون منها اللغة غير محدودة ولكن الجمل التي تتكون منها النصوص اللغوية محدودة.[68]
- اهتم البنيويون بالتحليل الفونولوجي للتراكيب اللغوية، أي دراسة الفونيمات والمورفيمات ولكن التوليديين التحويليين اهتموا بدراسة التراكيب اللغوية نفسها(الجمل) وذلك لأن الفونيمات والمورفيمات التي تتكون منها أية لغة من لغات العالم محدودة، أما التراكيب اللغوية(الجمل) فغير محدودة ولذلك فإن البنيويين ينطلقون في تحليلاتهم اللغوية من المورفيمات بوصفها أصغر وحدة لغوية ثم الكلمات، ولكن التوليديين التحويليين ينطلقون في تحليلاتهم اللغوية من التركيب(الجملة) ويعدونه قاعدة كل تحليل.
- يرى البنيويون السلوكيون أن الاكتساب اللغوي ناتج من تأثير البيئة على الطفل ولكن التوليديين التحويليين يرون أن الاكتساب اللغوي يكون عن طريق امتلاك الإنسان لمعارف لغوية تتضمن قواعد كلية، وأن الطفل يكون قواعد لغته بصورة خلاقة من خلال ما يسمعه من بيئته والأطفال يتعلمون أية لغة بشكل تطوري سريع بغض النظر عن البيئة والجنسية

[68] ميشال زكريا، مباحث في الألسنية التوليدية، ص13.

لذا " تبرز أهمية خاصة لقدرة الأطفال على بناء جمل نحوية صحيحة منتظمة واشتقاقها من خلال ما يسمعونه من آبائهم وممن حولهم من الناس بحيث يستغلون نفس القواعد المنتظمة التي يسمعونها في بناء وتركيب جمل لم يسمعوا بها قط من قبل[69] ."

فالإنسان عند التوليديين التحويليين " يخلق اللغة وهو يسمعها شيئًا فشيئًا، وخلقه لها مرده أنه يتمثل بواسطة جوهره المفكر نظامًا من القواعد المنسجمة المتكاملة، وذلك النظام هو النمط التكويني لتلك اللغة، وهو الذي يسمح بإدراك محتوى الكلام دلاليًا مهما كانت جدة الصياغة التركيبية التي أفرغ فيها، فكأن لكل متكلم معرفة خفية بالنحو التوليدي للغته".

- يرى البنيويون السلوكيون أن لكل لغة بنيتها الخاصة وقواعدها التي تتميز وتنفرد بها عن غيرها ولكن التوليديين التحويليين يرون أن اللغات تتشابه في قواعدها، وهم يحاولون الكشف عن هذه التشابهات الكلية.
- كان البنيويون يهدفون إلى تصنيف المدونة اللغوية وتحليلها إلى مؤلفاتها النهائية ولكن التوليديين التحويليين لا يكتفون بالوصف للمادة اللغوية وإنما يتعدون ذلك إلى تفسير التراكيب اللغوية، وقد جعلوا تعيين القواعد النحوية التي تتحكم في بناء الجمل هدفا لهم والقواعد التوليدية التحويلية قواعد لغوية صرفة لأنها تتعامل مع المقدرة اللغوية عند المتكلم ولكن المادة اللغوية التي يتعامل معها البنيويون السلوكيون هي مزيج من مؤثرات لغوية ونفسية واجتماعية حيث إنها تركز على الأداء اللغوي الذي يتأثر بهذه العوامل.
- ركز البنيويون السلوكيون على الشكل الخارجي في دراستهم للغة عن طريق التصنيف والتوزيع والوصف، وأغفلوا أهم وظيفة للغة وهي الاتصال ونقل المعنى على أساس أن المعنى لا يخضع للمنهج العلمي، لأن المنهج العلمي في نظرهم يهتم بالجانب المادي فقط وعليه فهم يركزون على العوامل الخارجية في التعبير اللغوي، ولكن التوليديين التحويليين رفضوا أن يتعاملوا مع اللغة على هذا الأساس دون أن يتعدى ذلك إلى تفسير المادة اللغوية وإدراج المعنى في الدرس اللغوي، لأن المعنى يُعد أمرا ضروريًا في التحليل اللغوي لدوره

[69] جون ليونز، انظر نظرية تشومسكي اللغوية، ص58.

الفعال في شرح الملابسات التي تكتنف العلاقات بين بعض الجمل التي تعود إلى تركيب عميق واحد لكنها تختلف في تركيبها السطحي وذلك مثل:[70]

- صلى محمد الفجر.
- محمد صلى الفجر.
- الفجر صلاه محمد.

فالجمل الثلاثة السابقة تؤدي معنى عميقا واحدًا على الرغم من اختلاف تراكيبها السطحية والمنهج البنيوي لا يقدم لنا أي وسيلة لشرح هذا التماثل، إلا أنه يعطي كل جملة من هذه الجمل شرحًا مستقلا ولكن المنهج التوليدي التحويلي يشرح هذا التماثل باستخدام عناصر التحويل المختلفة من تأخير وتقديم وحذف وزيادة واستبدال وغيرها من عناصر التحويل، وتفسير العلاقة بين الجمل السابقة وفقا للمنهج التوليدي التحويلي كالآتي: إن هذه الجمل الثلاثة السابقة متحولة من جملة واحدة في البنية العميقة، وعلى ذلك فالجملتان(2 و 3) جملتان متحولتان من الجملة النواة (الأصل أو التوليدية) رقم (1) عن طريق عناصر التحويل، فالجملة رقم (2) تم فيها إجراء تحويلي هو تقديم الفاعل (محمد) على الفعل والجملة رقم (3) تم فيها إجراء تحويلي وهو تقديم المفعول به (الفجر) كما تم إجراء تحويلي آخر وهو إلحاق ضمير(الهاء) بالفعل ليعود على المفعول به المتقدم، وبذلك يمكننا فهم أصل اشتقاق هذه الجمل.

- لا يستطيع البنيويون تفسير العدد اللانهائي من الجمل الصحيحة في أي لغة على الرغم من كون هذه اللغة تتكون من عدد محدود من الأصوات والقواعد، كما أنه ليس بإمكانهم إيجاد تفسير لما يقوم بين بعض الجمل من علاقات كتشابهها في الشكل واختلافها في المعنى، أو اختلافها في التركيب الشكلي على الرغم من أنها ترجع إلى تركيب عميق واحد ولكن التوليديين التحويليين يجدون لكل هذه القضايا تفسيرات في منهجهم، لأنهم يعتمدون في دراستهم للجملة على مستويين: الأول ظاهر(سطحي) يتناول الشكل الخارجي

[70] لنهاد الموسى، نظرية النحو في مناهج النظر اللغوي الحديث، بيروت، 7581 م.ص 58.

والثاني مستتر (عميق) يتناول الشكل الداخلي بما فيه المعنى، ويربط بين هذين المستويين عمليات تحويلية. وعلى هذا يمكن للقواعد التحويلية القدرة على تفسير الجمل ذات العلاقات الملتبسة مثل: [71]

- طلب محمد من علي أن يرجع.
- قابلت عليًا ضاحكا.
- كان ضرب محمد شديدًا.
- استنكرت وزارة الزراعة إهمال الفلاحين.
- نجح في الامتحان عشرون طالبًا وطالبة.

فكل جملة من هذه الجمل تحتمل معنيين مختلفين، فالأولى لا نعلم فيها مَنْ الذي سيرجع أمحمد أم علي ؟ والثانية لا نعلم فيها من الضاحك أهو المتكلم أم علي ؟ وفي الثالثة لا نعلم فيها أمحمد ضارب أم مضروب ؟ وفي الرابعة لا نعلم فيها هل الإهمال للفلاحين من جانب وزارة الزراعة، أم الإهمال هو إهمال الفلاحين في عملهم ؟ وفي الخامسة لا نعلم فيها عدد الناجحين بالضبط أهم عشرون أم واحد وعشرون؟ فالقواعد التحويلية تستطيع أن تفسر مثل هذه الجمل بتحديد معناها في التركيب العميق الذي اشتقت منه وحينما يختلف التركيب العميق فإن التركيب السطحي سيختلف فهمه تبعًا لذلك، كما لا يستطيع المنهج البنيوي أن يفسر العلاقة بين جملتين مختلفتين في التركيب السطحي ولكنهما ترجعان إلى معنى واحد في التركيب العميق كما في الجملتين الآتيتين:

1- شرح المعلم الدرس.

2- شُرح الدرس.

فهاتان الجملتان مختلفتان في التركيب السطحي إلا أنهما ترجعان إلى معنى واحد في التركيب العميق فالجملة الأولى مبنية للمعلوم، والجملة الثانية مبنية للمجهول، والمنهج

[71] المدخل إلى علم اللغة، ص122.

البنيوي يعطي لكل جملة منهما تفسيرا مختلفا عن الآخر على اعتبار أن كلا منهما جملة مستقلة عن الأخرى.

ولكن المنهج التحويلي يرى أن الجملة المبنية للمجهول ليست جملة أصلية (نواة) ولكنها جملة محولة من جملة أصلية (نواة) بعد أن مرت بسلسلة من القوانين التركيبية والدلالية والتحويلية والصوتية[72] فالجملة رقم (1) جملة نواة أصلية اشتقت منها الجملة رقم(2) وتبدو العلاقة بين هاتين الجملتين على النحو التالي:

1- (فعل مبني للمعلوم + مورفيم المعلوم+ (اسم1)+(اسم2).

2- (فعل مبني للمجهول + مورفيم المجهول + اسم2).

وقد استبدل في أثناء عملية التحويل مورفيم البناء للمجهول بمورفيم البناء للمعلوم كما حذف الفاعل (الاسم رقم 1) من الجملة النواة وتم تحويل المفعول به (الاسم رقم (2) إلى نائب فاعل، كما تم استبدال مورفيم نائب (الفاعل بمورفيم المفعول به على آخر الاسم رقم (2) فهنا استخدمنا أكثر من عنصر من عناصر التحويل (الحذف، والاستبدال، وإعادة ترتيب المكونات).

[72] لكريم حسام الدين أصول تراثية في علم اللغة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1989م، ص241.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: أثـــر التركيب في الـدلالـة

أولا: المفــهـوم والنـشأة:

1.مفهوم علم الدلالة:

1-1. مصطلح "الدلالة" في القرآن الكريم و معاجم اللغة:

الحديث عن المصطلح الدلالي- كيف نشأ وكيف تطور- يدعو إلى تحديد المفهوم اللغوي الأول لهذا المصطلح، لأن الوضع اللغوي الذي تصالح عليه أهل اللغة قديماً، يلقي بظلاله الدلالية على المعنى العلمي المجرد في الدرس اللساني الحديث "فالمصطلح يتشكل مع نمو الاهتمام في أبواب العلم وبالاحتكاك الثقافي." [1] وقد وقع اختلاف بين علماء اللغة المحدثين في تعيين المصطلح العربي الذي يقابل مصطلح "السيمانتيك" بالأجنبية الذي أطلقه العالم اللغوي "بريل" سنة 1883 على تلك الدراسة الحديثة التي تهتم بجوهر الكلمات في حالاتها الإفرادية المعجمية وفي حالاتها التركيبية السياقية وآلياتها الداخلية التي هي أساس عملية التواصل والإبلاغ، فاهتدى بعض علماء اللغة العرب إلى مصطلح "المعنى" باعتباره ورد في متون الكتب القديمة لعلماء أشاروا إلى الدراسة اللغوية التي تهتم بالجانب المفهومي للفظ كالجرجاني الذي يعرف الدلالة الوضعية، بأنها كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه. [2] ومن علماء العرب المحدثين الذي استعمل مصطلح "المعنى" الدكتور تمام حسان إذ يقو ل في سياق حديثه عن العلاقة بين الرمز والدلالة: "ولبيان ذلك نشير إلى تقسيم السيميائيين للعلاقة بين الرمز والمعنى إلى علاقة طبيعية وعلاقة عرفية وعلاقة ذهنية." [3] وفي مقام آخر يستعمل الكاتب نفسه مصطلحي الدال والمدلول في حديثه عن العلاقة الطبيعية بين الرمز الأدبي ومعناه إذ يقول: "وهناك طريقة أخرى للكشف عن

[1] زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات العامة والتاريخية،، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1990، ص77.

[2] السيد شريف الجرجاني،كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت 1985.ص215.

[3] تمام حسان، الأصول، دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982. ص318.

هذه الرموز الطبيعية في الأدب الطريقة هي عزل الدال عن المدلول أوالشكل عن المضمون ثم النظر إلى تأثير الدال في النفس بعد ذلك ."

وقد آثر لغويون آخرون استعمال مصطلح "الدلالة" مقابلاً للمصطلح الأجنبي: "لأنه يعين على اشتقاقات فرعية مرنة نجدها في مادة الدلالة: (– الدال– المدلول– المدلولات– الدلالات– الدلالي) ."[4] ولأنه لفظ عام يرتبط بالرموز اللغوية وغير اللغوية، أما مصطلح "المعنى" فلا يعني إلا اللفظ اللغوي بحيث لا يمكن إطلاقه على الرمز غير اللغوي، فضلاً على ذلك أنه يعد أحد فروع الدرس البلاغي وهو علم المعاني.

فنظراً للبس وتحديداً لإطار الدراسة العلمية، استقر رأي علماء اللغة المحدثين على استعمال مصطلح "علم الدلالة" مرادفاً لمصطلح "السيمانتيك" بالأجنبية وأبعدوا مصطلح "المعنى" وحصروه في الدراسة الجمالية للألفاظ والتراكيب اللغوية وهو ما يخص "علم المعاني" في البلاغة العربية.

1-1-1. لفظ "الدلالة" في القرآن الكريم:

لقد أورد القرآن الكريم صيغة "دلّ" بمختلف مشتقاتها في مواضع سبعة تشترك في إبراز الإطار اللغوي المفهومي لهذه الصيغة، وهي تعني الإشارة إلى الشيء أو الذات سواء أكان ذلك تجريداً أم حساً ويترتب على ذلك وجود طرفين: طرف دال وطرف مدلول يقول تعالى في حكاية عن غواية الشيطان لآدم وزوجه: ﴿ **فدلاّهما بغرور** ﴾.﴿سورة الأعراف. الاية 22﴾ أي أرشدهما إلى الأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها ، فإشارة الشيطان دال والمفهوم الذي استقر في ذهن آدم وزوجه وسلكا وفقه هو المدلول أو محتوى الإشارة، فبالرمز ومدلوله تمت العملية الإبلاغية بين الشيطان من جهة، وآدم وزوجه من جهة ثانية، وإلى المعنى ذاته، يشير قوله تعالى حكاية عن قصة موسى عليه السلام: ﴿ **وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون** ﴾ ﴿سورة القصص .الآية 12﴾ كما ورد قوله

[4] فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص9.

تعالى حكاية عن إبليس: ﴿ **قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى**﴾. ﴿سورة طه ,الاية120﴾ فهاتان الآيتان تشيران بشكل بارز إلى الفعل الدلالي المرتكز على وجود ب اث يحمل رسالة ذات دلالة، ومتقبل يتلقى الرسالة ويستوعبها وهذا هو جوهر العملية الإبلاغية التي تنشدها اللسانيات الحديثة، فإذا تم الاتصال الإبلاغي فواضح أن القناة التواصلية سليمة بين الباث والمتقبل وتبرز العلاقة الرمزية بين الدال والمدلول- قطبي الفعل الدلالي-

في قوله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً**﴾. ﴿سورة الفرقان . الآية 45﴾ فلولا الشمس ما عرف الظل، فالشمس تدل على وجود الظل فهي شبيهة بعلاقة النار بالدخان الذي يورده علماء الدلالة مثالاً للعلاقة الطبيعية التي تربط الدال بمدلوله، ويمكن تمثل هذه العلاقة في أي صيغة أخرى، ولقد دلت الأرضة التي أكلت عصا سليمان عليه السلام حتى خرّ، أنه ميت في قوله تعالى:﴿ **"فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين**﴾. ﴿سورة سبأ.الاية 14﴾ فتعيين طرفي الفعل الدلالي كما تحدده الآية، ضروري لإيضاح المعنى فالدابة وأكلُها العصا دال، وهيئة سليمان وهو ميت مدلول، فلولا وجود "الأرضة" (الدال) لما كان هناك معرفة موت سليمان- عليه السلام- (دال عليه)، ومن السورة السابقة ورد قوله تعالى: ﴿ **وقال الذين كفروا هل ندلّكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد**﴾. ﴿سورة سبأ.الاية11﴾ فهذه الآية تؤكد على ضرورة وجود إطار للفعل الدلالي، عناصره الدال والمدلول والرسالة الدلالية التي تخضع لقواعد معينة تشرف على حفظ خط التواصل الدلالي بين المتخاطبين، وإلى المفهوم اللغوي ذاته يشير قوله تعالى على لسان أخت موسى عليه السلام: ﴿ **إذ تمشي أختك فتقول هل أدلّكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقرّ عينها ولا تحزن**﴾. ﴿ سورة طه: الآية 40﴾ هذه الآيات التي ورد ذكر لفظ "دلّ" بصيغه المختلفة، تشترك في تعيين الأصل اللغوي لهذا اللفظ، وهو لا يختلف كثيراً عن المصطلح العلمي الحديث ودلالته، فإذا كان معنى اللفظ "دلّ" وما صيغ منه في القرآن الكريم يعني الإعلام والإرشاد والإشارة والرمز، فإن المصطلح العلمي للدلالة الحديثة لا يخرج عن هذه المعاني إلا بقدر ما

يضيف من تحليل عميق للفعل الدلالي، كالبحث عن البنية العميقة للتركيب اللغوي بملاحظة بنيته السطحية، أو افتراض وجود قواعد دلالية على مستوى الذهن تكفل التواصل بين أهل اللغة الواحدة، وهو يفسر توليد المتكلم لجمل جديدة لم يكن قد تعلمها من قبل كما تنص على ذلك القواعد التوليدية التي أشار إليها(تشومسكي) ضمن نظريته التوليدية، فما يمتاز به متكلم اللغة قدرته على إنتاج وفهم جمل لم يسبق له أن أنتجها أو سمعها من قبل."[5]

1-1-2. لفظ "الدلالة" في معاجم اللغة:

الصورة المعجمية لأي لفظ في اللغة العربية تمثل المرجعية الأولى لهذا اللفظ في القاموس الخطابي، باعتبار دلالته الأولى "فالحالة المعجمية للألفاظ تمثل الصورة الأساسية لمحيطها الدلالي."[6] وكتاب القرآن الكريم، يمثل ذروة ما وصل إليه الخطاب اللغوي القديم من فصاحة اللغة وجودة التعبير والدلالة، فلو تتبعنا لفظ "دل"، وما صيغ منه في معاجم اللغة المعروفة، لألفينا دلالته لا تبتعد عن ذلك المجال الذي رسمه القرآن الكريم، فيورد ابن منظور قوله حول معاني لفظ دل: "الدليل ما يستدل به، والدليل الدال. وقد دله على الطريق يدله دلالة (بفتح الدال أو كسرها أو ضمها) والفتح أعلى، وأنشد أبو عبيد: إني امرؤ بالطرق ذو دلالات والدليل والدليلي الذي يدلك". ويسوق ابن منظور قول سيبويه وعلي- كرم الله وجهه- وقد تضمن قولهما لفظ "دل" يقول سيبويه: "والدليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها". وفي حديث علي- رضي الله عنه- في صفة الصحابة: "ويخرجون من عنده أدلة" وهو جمع دليل أي بما قد علموا فيدلون عليه الناس يعني: يخرجون من عنده فقهاء، فجعلهم أنفسهم أدلة، مبالغة."[7]

إن ابن منظور- بما جمع من أمثلة- يرسم الإطار المعجمي للفظ "دل" محدداً المعنى الحقيقي الذي ينحصر في دلالة الإرشاد أو العلم بالطريق الذي يدل الناس ويهديهم ، وهذا

[5] عبد القاهر غذامي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص370.

[6] فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص41.

[7] انظر ابن منظور، لسان العرب، ص394-395.

التصور للدلالة لا يختلف عن التصور الحديث مما يعني أن المصطلح العلمي (الدلالة) يستوحي معناه من تلك الصورة المعجمية التي نجدها في أساليب الخطاب اللغوي القديم. وإلى المعنى ذاته يشير الفيروز أبادي محدداً الوضع اللغوي للفظ "دل" فيقول: " ... والدالة ما تدل به على حميمك، ودله عليه دلالة (ويثلثه) ودلولة فاندل: سدده إليه (..) وقد دلت تدل والدال كالهدي"[8]... وبهذا الشرح يؤكد الفيروز أبادي ما نص عليه ابن منظور من أن الأصل اللغوي للفظ "دل" يعني هدى وسدد وأرشد.

ويترتب على هذا التصور المعجمي توفر عناصر الهدي والإرشاد والتسديد أي توفر: مرشِد ومرشَد ووسيلة إرشاد وأمر مرشَد إليه ، وحين يتحقق الإرشاد تحصل الدلالة وتقابل اللسانيات الحديثة هذا التصور بتعيين الباث والمتقبل ووسيلة الإبلاغ والتواصل وشروطه ثم المرجع المفهومي الذي تحيل عليه الرسالة الإبلاغية، وبناء على ذلك فالعمل المعجمي هو عمل دلالي وإن كان (جورج مونان) كما نقل د.فايز الداية ينبه إلى أنه من الضروري عدم الخلط بين علم الدلالة (**Semantique**) والدراسة المعجمية (**Lexicographie**)، هذه التي لا تهتم إلا بوصف فحوى الكلمات كما نراها- في الحالة التقليدية- حين تسجيلها في المعجم ."[9] ولكن إذا كان المعجم لا يفي بالغرض في نقل دلالة اللفظ التي تشعب بها الخطاب اللغوي الحديث، فإن إيراد المعنى المركزي هو الذي يعين على مجموعة الحالات الجزئية التي تتباين وتتغاير بعدد السياقات التي تحل فيها ، وعلى ذلك فإن الدراسات المعجمية- كما قام بها علماء المعجم- لا يمكن إغفالها أو إسقاطها من الجهود الدلالية العربية- ويبقى السياق المحدد الرئيسي لدلالة اللفظ المتجددة، إذ ذهب بعض العلماء إلى التأكيد أن معنى الكلمة هو مجموع استعمالاتها المختلفة في السياقات المتعددة، "وعلى العموم فإن معاني (دلالات) الكلمات هي نتائج لا يتوصل إليها إلا من خلال تفاعل الإمكانيات التفسيرية لكامل الكلام كما يرى "إمبسون" هذا التحديد اللغوي للفظ "دل" كما جاء به الفيروز آبادي ينطوي على

[8] الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط،،دار العلم للجميع، بيروت، بدون تاريخ الطبعة ج3، ص377.
[9] فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص204-205.

جملة من المعطيات اللغوية يفسرها الدرس اللساني والدلالي الحديث ويحدد أبعادها المعرفية.[10]

2. نشأة علم الدلالـة:

لقد استقطبت اللغة اهتمام المفكرين منذ أمد بعيد لأن عليها مدار حياة مجتمعاتهم الفكرية والاجتماعية، وبها قوام فهم كتبهم المقدسة، كما كان شأن الهنود قديماً حيث كان كتابهم الديني (الفيدا) منبع الدراسات اللغوية والألسنية على الخصوص التي قامت حوله ومن ثمة غدت اللسانيات الإطار العام الذي اتخذت فيه اللغة مادة للدراسة والبحث ، وكان الجدل الطويل الذي دار حول نشأة اللغة قد أثار عدة قضايا تعد المحاور الرئيسية لعلم الألسنية الحديث فمن جملة الآراء التي أوردها العلماء حول نشأة اللغة قولهم: "بوجود علاقة ضرورية بين اللفظ والمعنى شبيهة بالعلاقة اللزومية بين النار والدخان." [11] إن المباحث الدلالية قد أولت اهتماماً كبيراً علاقة اللفظ بالمعنى، وارتبط هذا بفهم طبيعة المفردات والجمل من جهة وفهم طبيعة المعنى من جهة أخرى، فلقد درس الهنود مختلف الأصناف التي تشكل عالم الموجودات، وقسموا دلالات الكلمات بناء على ذلك إلى أربعة أقسام:

- قسم يدل على مدلول عام أو شامل (مثل لفظ: رجل).
- قسم يدل على كيفية (مثل كلمة: طويل).
- قسم يدل على حدث (مثل الفعل: جاء).
- قسم يدل على ذات (مثل الاسم: محمد).

إن دراسة المعنى في اللغة بدأ منذ أن حصل للإنسان وعي لغوي، فلقد كان هذا مع علماء اللغة الهنود، كما كان لليونان أثرهم البين في بلورة مفاهيم لها صلة وثيقة بعلم الدلالة فلقد حاور أفلاطون أستاذه سقراط حول موضوع العلاقة بين اللفظ ومعناه، وكان أفلاطون

[10] فايز الداية، علم الدلالة العربي ، ص208.

[11] أحمد مختار عمر، علم الدلالة- ص19.

يميل إلى القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال ومدلوله، أما أرسطو فكان يقول باصطلاحية العلاقة، وذهب إلى أن قسم الكلام إلى كلام خارجي وكلام داخلي في النفس، فضلاً على تمييزه بين الصوت والمعنى معتبراً المعنى متطابقاً مع التصور الذي يحمله العقل عنه ، وقد تبلورت هذه المباحث اللغوية عند اليونان حتى غدا لكل رأي أنصاره من المفكرين فتأسست بناء على ذلك مدارس أرست قواعد هامة في مجال دراسة اللغة كمدرسة الرواقيين ومدرسة الإسكندرية ثم كان لعلماء الرومان جهد معتبر في الدراسات اللغوية خاصة ما تعلق منها بالنحو، وإليهم يرجع الفضل في وضع الكتب المدرسية التي بقيت صالحة إلى حدود القرن السابع عشر بما حوته من النحو اللاتيني، وبلغت العلوم اللغوية من النضج والثراء مبلغاً كبيراً في العصر الوسيط مع المدرسة السكولائية (**IquetsScola**) والتي احتدم فيها الصراع حول طبيعة العلاقة بين الكلمات ومدلولاتها، وانقسم المفكرون في هذه المدرسة إلى قائل بعرفية العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها وقائل بذاتية العلاقة.

وبقي الاهتمام بالمباحث الدلالية يزداد عبر مراحل التاريخ، ولم يدخر المفكرون أي جهد من أجل تقديم التفسيرات الكافية لمجمل القضايا اللغوية التي فرضت نفسها على ساحة الفكر، ففي عصر النهضة أين سادت "الكلاسيكية" بأنماطها في التفكير والتأليف امتازت الدراسات اللغوية في هذه المرحلة بالمنحى المنطقي العقلي، وأحسن من يمثل هذه الفترة رواد مدرسة (بورورويال) الذين رفعوا مقولة: أن اللغة ما هي إلا صورة للعقل، وأن النظام الذي يسود لغات البشر جميعاً قوامه العقل والمنطق.[12]

وفي حدود القرن التاسع عشر الميلادي تشعبت الدراسات اللغوية، فلزم ذلك تخصص البحث في جانب معين من اللغة، فظهرت النظريات اللسانية فبرزت الفونولوجيا التي اهتمت بدراسة وظائف الأصوات إلى جانب علم الفونتيك الذي يهتم بدراسة الأصوات المجردة، كما برزت الأتيمولوجيا التي اعتنت بدراسة الاشتقاقات في اللغة ثم علم الأبنية والتراكيب الذي

[12] زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات العامة والتاريخية. ص25.

يختص بدراسة الجانب النحوي وربطه بالجانب الدلالي في بناء الجملة.

3. ماهية الدلالة بين القديم والحديث:

3-1. الدلالة في تعريفات علماء العرب القدامى:

3-1-1. مفاهيم الدلالة عند ابن خلدون (ت: 808هـ): لا نكاد نعثر لابن خلدون عن تعريف بيّن للدلالة، وإنما باستقراء نصوص "مقدمته" نجد دراسات في الدلالة قد تجاوزت- بلا شك- الماهية إلى البحث العميق عن جوهر الدلالة وطرق تأديتها، واضحة من غير لبس يقول موضحاً ذلك وشارحاً: "واعلم بأن الخط بيان عن القول والكلام، كما أن القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني، فلا بد لكل منهما أن يكون واضح الدلالة."

فإبن خلدون- على نهج الغزالي- يوضح العلاقة القائمة بين المعاني المحفوظة في النفس والكتابة والألفاظ ويحصرها في ثلاثة أصناف: [13]

- الكتابة الدالة على اللفظ.

- اللفظ الدال على المعاني التي في النفس والضمير ، (الصورة الذهنية): وهذه المعاني إن لم تكن مجردة فإنها تدل على موجود في الأعيان وعلى هذا الأساس فالصنف الثالث للدلالة:

- المعاني الدالة على الأمور الخارجية.

ويعطي ابن خلدون للخط والكتابة أبعاداً مهمة في العملية التواصلية، باعتبارها أداتين مهمتين من أدوات التعليم والتعلّم الشيء الذي كان يشغل فكر ابن خلدون كثيراً يقول معرفاً "الخط" وأداءه للدلالة: "الخط وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية "، فابن خلدون يصنف الخط في

[13] ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، الدار التونسية للنشر، أبريل 1984ج2، ص509.

المرتبة الثانية– كما فعل ذلك الغزالي– وذلك في تأديته للدلالة اللغوية بعد الألفاظ، فالخط دال على الألفاظ والألفاظ دالة على المعاني.

ويوضح ابن خلدون هذه المسألة التي تخص أصناف الدوال فيقول: "إن في الكتابة انتقالاً من [صور] الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال، ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس فهو ينتقل أبداً من دليل إلى دليل ما دام ملتبساً بالكتابة وتتعود النفس ذلك فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات."[14]

بهذا التعريف للدلالة اللفظية يكون ابن خلدون قد أشار إلى ما سماه "أندري مارتيني" بالتلفظ المزدوج (**Double Articulation**) اشتهر ذلك المصطلح في الألسنية الحديثة.

إن التلفظ الأول هو الطريقة التي تترتب فيها الخبرة اللغوية المشتركة بين جميع أعضاء بيئة معينة، وتقوم كل وحدة من وحدات التلفظ الأول على دلالة وعلى صورة صوتية ولا يمكن تحليلها إلى وحدات أصغر ذات معنى، أما التلفظ الثاني فهو إمكانية تحليل الصورة الصوتية إلى وحدات صوتية مميزة تحتوي هذه الوحدات على شكل صوتي ولا تحمل بذاتها أية دلالة.[15]

فصور الحروف الخطية– عند ابن خلدون– هي التي تمثل التلفظ الثاني وهو تقسيم الكلمة (المورفيم) إلى وحدات صوتية (فونيم) لا تحمل بذاتها أية دلالة، فضلاً على ذلك يرسم ابن خلدون العملية التواصلية أو الإبلاغية رسماً بيناً، فالخط يدل على الكلمات اللفظية التي في الخيال، والكلمات هذه تدل على المعاني التي في النفس، والكلمات اللفظية التي في الخيال هو اختصار للعلاقة القائمة بين اللفظ ومعناه، فابن خلدون ينظر إلى هذين الطرفين (اللفظ والمعنى) باعتبارهما طرفاً واحداً، ذلك أن اللفظ قد ارتبط بتصور في الخيال وإلى هذا أشار ابن سينا في تعريفه للدلالة بقوله: "معنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال

[14] ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة ، ج2، ص518.

[15] ابن سينا (أبو علي الحسن بن عبد الله)، العبارة من الشفاء، تحقيق محمود الحضري، الهيئة المصرية العامة القاهرة 1970، ص4.

مسموع، ارتسم في النفس معناه فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم فكلما أورده الحس على النفس التفتت النفس إلى معناه، وهو معنى الدلالة.

فاللفظ يرتسم في الخيال كصورة صوتية ذات دلالة، فترتسم في النفس مقاصد هذه الدلالة وعلى هذا الأساس يمكن تمثيل ذلك على النحو التالي:

اللفظ ← قيمة صوتية← تصور في الخيال← المعاني الموضوع الخارجي، ثم يحصل للنفس ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات، فتربط بالبداهة بين الاسم ومسماه أي بين الدال والمدلول. فإذا كان المدلول شيئاً مادياً يكون الانتقال من اللفظ المسموع إلى الموضوع الخارجي وإذا كان المدلول من المجردات يكون الانتقال حينئذ من اللفظ إلى المعاني الذهنية.

إن هذه المفاهيم التي قدمها ابن خلدون للدلالة ورسم على أساسها العملية الدلالية، لا تختلف عن تلك النظرية التي توصل إليها العالم اللساني د ي سوسير حول الدليل اللساني يقول في تعريفه: "فالدليل اللساني لا يجمع الشيء أو المادة والاسم وإنما المفهوم أو المعنى المجرد والصورة السمعية، وليست هذه الأخيرة الصوت المادي بعينه بقدر ما هي الأثر السيكولوجي له أو التمثيل المؤدى من طرف مدركاتنا الحسية" فالكلمات ليست سوى صور سمعية حسب تعريف "د ي سوسير"، وأن العلامة اللسانية أو (الدليل) هي التأليف بين التصور الذهني (**Concept**) والصور السمعية (**Image Accoustique**). وإلى الفكرة ذاتها ذهب ابن خلدون في سياق شرحه للعملية الدلالية حين قال: "الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس" وأوضح المسألة أكثر، حيث قال: "كما أن القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني".[16]

لقد أسهم ابن خلدون في إرساء قواعد علم التربية مؤكداً على ضرورة الإحاطة بالألفاظ ودلالاتها على المعاني الذهنية، وحصر تحصيل تلك المعاني في طريقتين:

– طريق القراءة والتعلّم من الكتاب.

[16] ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص520.

– طريق التعلم بالمشافهة والتلقين.

وعلى أساس هذا التنظير التعليمي، يحدد ابن خلدون مراتب الدوال بحسب أدائها للدلالات، ويشير إلى ضرورة إدراك السنن والقوانين التي تنتظم المعاني في الذهن، وهي كما نرى عملية سيكولوجية بحتة تصل الألفاظ بمحتواها الذهني، يشرح ابن خلدون هذه المسألة بقوله: "ثم من دون هذا الأمر الصناعي الذي هو المنطق مقدمة أخرى من التعليم، وهي معرفة الألفاظ ودلالتها على المعاني الذهنية تردها من مشافهة الرسوم بالكتاب ومشافهة اللسان بالخطاب، فأولاً دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة وهي أخفها ثم دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة، ثم القوانين في ترتيب المعاني للاستدلال في قوالبها المعروفة في صناعة المنطق".[17]

هذه– بإجمال– نظرة ابن خلدون لعلم الدلالة، وأقسام المعنى باعتبار الألفاظ ودلالتها، وهي نظرة مع قدمها إلا أنها ذات قيمة علمية معتبرة في الدراسة الدلالية الحديثة.

3-1-2.ماهية الدلالة عند الشريف الجرجاني (ت: 816هـ): إن ما يبعث على تقدير جهود الجرجاني حق قدرها في ميدان علم الدلالة هو عمق تحليله وحسن تصنيفه لأقسام الدلالة، وقد قام عدة باحثين في العصر الحديث على إجراء مقاربة علمية بين ما توصل إليه الجرجاني في تقسيماته للدلالة وما توصل إليه علماء الدلالة في العصر الحديث، ومنهم العالم الأمريكي (بيرس) ويعرف الجرجاني الدلالة من منطلق الثقافة الأصولية فيقول: "الدلالة هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص.[18]

وعلى أساس هذا التعريف للدلالة، فأقسامها عند الجرجاني اثنان:

– الدلالة اللفظية: إذا كان الشيء الدال لفظاً.

[17] ابن خلدون، المقدمة، ج2، ص698.

[18] الشريف الجرجاني، التعريفات، ص215.

– الدلالة غير اللفظية: إذا كان الشيء الدال غير لفظ.

بتحديده لطبيعة العلاقة بين الدال والمدلول، يحصي الجرجاني ثلاثة مستويات صورية تنتج عنها ثلاث دلالات، دلالة العبارة ودلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء، وقد مرّ معنا تعريف الإمام الغزالي لدلالتي الإشارة والاقتضاء، أما دلالة العبارة أو النص فهي "المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من صيغة النص وهو الذي قصده الشارع من وضع النص، لأن المشرّع حين يضع النص يختار له من الألفاظ والعبارات ما يدل دلالة واضحة على غرضه ثم يصوغه بعد ذلك بحيث يتبادر المعنى المقصود من النص إلى ذهن المطلع بمجرد الاطلاع عليه.[19]

إن هذا الفهم العميق للدلالة ينم عن مدى النضج المعرفي الذي أحرزه علماء القرن الثامن الهجري والذي تبلور بعد تلك الدراسات الدلالية القيمة التي تطورت منذ القرن الثالث الهجري، فالجرجاني يتجاوز بتعريفه الدلالة ليشير إلى علم آخر أعم من الدلالة **(Semantique)** وهو ما يعرف بعلم الرموز أو بالسيمياء (**Simiologie**) وذلك عندما نص على أن "الدلالة هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر فذكره "الشيء" بدل "اللفظ" يدل على إشارته إلى هذا العلم الذي يعني بالرموز والعلامات اللغوية وغير اللغوية، وقد نلمس بعض القصور في سعي الجرجاني في بلورة مفهوم عام يخص الدلالة وأنواعها ذلك "لأن العرب المتقدمين لم يكونوا يعنون بعلم الدلالة، كما يحاول العلماء اليوم بناءه، نظراً لتعقد الحضارة وارتباطها الوثيق باستعمال العلامات (**Signes**) بالمعارف والفنون التي لا تتحقق إلا في أنساق من العلامات."[20] هذه التصنيفات الثلاثة التي حددها الجرجاني في تعريفه تبلورت في علم الدلالة الحديث على يد علماء أمريكيين وأوروبيين اهتموا بما سمي بالدلالات الإيحائية، حيث يمير العالم الأمريكي هياكوا (**S.J.Hayakwa**) بين نوعين من المعاني: المعنى القصدي (**Sens Intentionnel**) والمعنى الاتساعي (**Sens Extensionnels**)، أو كما يسمى في الألسنية الحديثة المعنى الإيمائي، وتحت هذين

[19] عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، ج1، ص186-187.

[20] عاطف القاضي علم الدلالة عند العرب: مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 18- 19 السنة: 1982. ص127

الصنفين يمكن أن ندرج دلالات الجرجاني الثلاث (دلالة العبارة– دلالة الإشارة– دلالة الاقتضاء)، وإلى التقسيم ذاته نزع العالم اللغوي الأوروبي غرينبرغ (**J.H.Greenberg**) (حيث أقام تقسيمه باعتبار القصد والإيماء إلى: المعنى الداخلي (**Sens Internal**) والمعنى الخارجي [21] (**Sens External**) فالدلالة– إذن– في ضوء معالم الدرس الحديث تتضح عند الجرجاني بكونها العلاقة بين المحتوى الفكري واللفظ، وعلى هذا الأساس يخضع ظهور الدلالة أو خفائها إلى قرائن لغوية تحدد الدلالة المقصودة، فهناك السياق الذي يحمل دلالة لا تقبل مجازاً ولا تأويلاً، كما يسوق معنى لا يصح حمله على غير ظاهره، إذ اللفظ منصرف إلى الحقيقة باعتبار الظاهر بما هو الكلام الذي يظهر المراد منه للسامع بنفس الصيغة ويكون محتملاً للتأويل والتخصيص [22]، ولقد أدرك الجرجاني العلاقة بين طرفي العملية الدلالية، الدال والمدلول، وحدد طبيعتها في وجود صلة مباشرة بين الدال والمحتوى الفكري الذي يتحدد وفقه المرجع أو الموضوع، وإن كان لا يحدِّد تحديداً بيّناً طبيعة المدلول إلا أن تجريد عملية الإحالة المرجعية يقتضي بداهة التمييز بين المحتوى الذهني للعلامة وموضوعها الخارجي. والمهم في تعريف الجرجاني أن الدلالة تتمثل في وجهة صرف الدال إلى مدلوله، ولا يمكن أن يغفل الجرجاني عن ذلك المقام الذي ارتقى إليه التفكير الدلالي في عصره، بل نرى عالماً ناقداً قبله بقرنين وهو الكاتب حازم القرطاجيني (ت 684هـ) يحلل الدلالة بقوله: "... قد تبيّن أن المعاني لها حقائق موجودة في الأعيان، ولها صور موجودة في الأذهان، ولها من جهة على ما يدل على تلك الصور من الألفاظ وجود في الأفهام والأذهان."[23]

هذه مفاهيم للدلالة لم توجد مبوبة مفصلة، كما هي عليه في الدراسات الحديثة، إنما كانت أساس الدراسات اللغوية في التراث المعرفي وخصت جميع العلوم بحيث وجدت في

[21] موريس أبو ناضر ، مدخل إلى علم الدلالة الألسني،– مجلة الفكر العربي، عدد: 18–19 السنة1982: ص33.

[22] حازم القرطاجني:منهاج البقاء وسراج الأدباء، دار الكتب المصرية، 1966.ص19.

[23] موريس أبو ناضر ، مدخل إلى علم الدلالة الألسني،– ، ص25.

ثنايا كتب اللغة والمنطق والفقه وما إلى ذلك، وهي تبرز من جهة أخرى حضور الدرس الدلالي بأبوابه الرئيسية في شتى معارف تراثنا. كما أن ظهور التحليلات العميقة في عدة مستويات من الدلالة عند العلماء العرب المتقدمين واتساع اهتماماتهم في كل العلوم ساعدهم على تأسيس نظرة دلالية ازدادت قيمتها مع مرور الزمن وتبلورت لدى المتأخرين من علماء القرن التاسع الهجري وما بعده. فقد ألفينا الجاحظ يصنف العلامات الدالة ويعطيها التمثيلات الإجرائية في واقع المجتمع العربي، واشتغاله بالبيان والمنطق قد كرس عنده دقة التمييز مع عمق التحليل.

3-2. الدلالة في تعريفات العلماء المحدثين: "المصطلح والأبعاد".

لقد حدث تطور كبير في مفاهيم المصطلحات القديمة في العصر الحديث واتخذت أبعاداً أخرجتها من تلك الدراسة "الأولية" ووسعت مجال البحث فيها، ومصطلح "الدلالة" هو من ضمن تلك المصطلحات التي تبلورت مفاهيمها في العصر الحديث وشملت الدراسة فيها ميادين عدة من حياة الناس، بل أضحت ملتقى لاهتمامات كثير من المعارف الإنسانية الحديثة، بدءاً بعلم النفس ثم علم الاجتماع والمنطق وعلوم الاتصال والإشارة. وإن هذه الصورة التي برز فيها علم الدلالة كأساس لعدة معارف حديثة هي نتاج للدراسة اللغوية المتخصصة ذلك "أن معالجة قضايا الدلالة بمفهوم العلم، وبمناهج بحثه الخاصة وعلى أيدي لغويين متخصصين إنما تعد ثمرة من ثمرات الدراسات اللغوية الحديثة."[24]

وتبعاً لاتساع مجالات البحث الدلالي الحديث، فلم تعد الدلالة حكراً على النظام اللغوي وحسب، وإنما شملتها أنظمة سيميولوجية أزاحت الهيمنة اللغوية بل صارت معها في البحث جنباً إلى جنب، ومع ذلك بقيت اللغة إحدى أنجع وسائل نظام الإبلاغ والتواصل والخطاب وأقدرها على الإطلاق على التجديد والتطور والتكيف بل لا مندوحة من القول أن الأنظمة السيميولوجية التي تتخذ العلامة المطلقة كمدخل أساسي لأي مستوى من مستويات

[24] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص22.

الدراسة الدلالية، لا تستغني في الأحوال الغالبة عن اللغة خاصة على مستوى القراءة التعليلية التبيينية .

ومقاربة لماهية الدلالة وحقولها الدراسية في العصر الحديث، ع الجنا مسائل البحث الدلالي عند لفيف من اللغويين وذلك بقصد رسم إطار بين تتضح من خلاله معالم الدرس الدلالي الحديث إن على مستوى الماهية والمصطلح وما أفرزه من تفريعات زادت من توسيع دائرة البحث الدلالي، أو على مستوى الأبعاد والمشروع الذي تأسس بناء على اختلاف الرؤى والأهداف بين مجموع المشتغلين في حقل البحث الدلالي والسيميولوجي العام." يرمي [هذا المشروع السيميولوجي] من وجهة نظر "إينو" إلى تأسيس وعي بنيوي للاستقراء الدلالي ."[25] ولأن حلقة تأسيس الدرس الدلالي لم تكتمل دائرتها بعد، اقتصرنا في مساءلتنا لمعالم البحث الدلالي الحديث على بعض اللغويين الذين بدأت معهم عملية التأسيس والتشكيل والتقعيد وبعض المشتغلين في حقول النقد والأدب ، حيث غدا عندهم الدرس الدلالي السيميائي أحد أهم المناهج النقدية الحديثة.

3-2-1. ماهية الدلالة بين الوصفية والمعيارية: بدأ البحث الدلالي في العصر الحديث بمنهج وصفي يعاين جزئيات الظاهرة اللغوية معاينة وصفية تعتمد طريقة الملاحظة والتحليل فالاستنتاج، وهي طريقة تعد امتداداً "لمنهج" البحث اللغوي القديم ثم ارتقى الدرس الدلالي إلى مرحلة محاولة التنظير والتقعيد، فغدا يعتمد على المنهج المعياري وذلك لنزوع الباحثين اللغويين نحو تشكيل معالم مشروع دلالي بدءاً ببلورة جهود السابقين في ميدان البحوث اللغوية المختلفة، وارتقاء إلى "بناء هيكل نظري ينظم الركام الذي هو هيئة المعلومات السابقة، وبهذا تغدو الدراسة مقدمة لتاليات لها فيدفع العلم خطوات إلى حقول جديدة".[26] هذا الاندفاع نحو بناء وعي دلالي يساهم في تشكيله علماء محدثون تعددت رؤاهم وتكاملت جهودهم التي عكفوا من خلالها على إبراز اللغة بمفهومها العام، نظاماً

[25] فيدوج عبد القادر، دلالية النص الأدبي، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط1 1993. ص7.
[26] فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص99.

لتحقيق التواصل والإبلاغ فبحثوا جزئياتها وغاصوا في عوالمها مستعينين في سبيل ذلك بعلوم أخرى، فتوسعت مجالات البحث اللغوي وغدا المبحث الدلالي ملتقى لعلوم إنسانية واجتماعية وأدى ذلك إلى تنوع الدراسات، وإذا رمنا حصر العلماء الذين ساهموا في تشكيل معالم الدرس الدلالي والسميولوجي الحديث فإنه يعجزنا ذلك.

وقصدا إلى تقديم صورة لماهية الدلالة في العصر الحديث استجمعنا آراء للفيف من اللغويين والمشتغلين في حقل الأدب والنقد.

لقد أعلن برايال ميلاد علم يختص بجانب المعنى في اللغة وهو علم الدلالة الذي أتى ليسد تلك الثغرة في الدراسات اللغوية التي كانت تهتم بشكل الكلمات ومادتها، أما دراسة المعنى فيها فتمثل الجانب الهزيل قال برايال: "إن الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي من نوع حديث للغاية بحيث لم تسم بعد، نعم، لقد اهتم معظم اللسانين بجسم وشكل الكلمات وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنظم تغيّر المعاني وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها. وبما أن هذه الدراسة تستحق اسماً خاصاً بها فإننا نطلق عليها اسم **(semantique)** للدلالة على علم المعاني "[27] فعلم الدلالة– عند العالم برايال – يعني بتلك القوانين التي تشرف على تغير المعاني، ويُعاين الجانب التطوري للألفاظ اللغوية ودلالاتها ويكون برايال بذلك أول من وجه الاهتمام إلى دراسة المعاني ذاتها، لكن أهمية التفاتة برياﻝ إلى جوهر الكلمات لم تقدر حق قدرها قبل محاولة الانجليزيين أوجدن (**C.K.Orgdon**) وريتشاردز (**I.A.Richards**) اللذين أحدثا ضجة في الدراسة اللغوية بإصدار كتابهما عام 1923 تحت اسم "معنى المعنى" وفيه تساءل العالمان عن ماهية المعنى من حيث هو عمل ناتج عن اتحاد وجهي الدلالة أي الدال والمدلول.[28] وأضحى علم الدلالة ابتداء من ذلك يهتم بالصورة المفهومية، باعتبار أن لا علاقة مباشرة بين الاسم ومسماه، إنما العلاقة المباشرة تربط الدال بالمحتوى الفكري الذي في الذهن يقول مازن الوعر في هذا الصدد في تقديمه

[27] Les grands courants de la linguistique moderne (Maurice le roy) P.45.

[28] موريس أبو ناضر، مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر المعاصر، العدد 19/18، السنة 1982، ص32.

لكتاب "علم الدلالة" لبيار جيرو: "إذا كانت الصوتيات واللغويات تدرسان البنى التعبيرية وإمكانية حدوثها في اللغة، فإن الدلاليات تدرس المعاني التي يمكن أن يعبر عنها من خلال البنى الصوتية والتركيبية"[29].

ويوضح سالم شاكر أكثر فيقول: "إن علم الدلالة يعني بظواهر مجردة هي الصورة المفهومية."[30] ونزع علم الدلالة في العصر الحديث إلى تمثل المنهج الوصفي في بعض مراحل الدراسة خاصة فيما يتعلق برصد تطور الدلالة وتغيرها وبناء الحقول الدلالية يقول ميشال زكريا: "أما علم الدلالات فهو مستوى من مستويات الوصف اللغوي، ويتناول كل ما يتعلق بالدلالة أو بالمعنى فيبحث مثلاً في تطور معنى الكلمة ويقارن بين الحقول الدلالية المختلفة".[31]

إن المجال الواسع الذي حظيت به الدراسات الدلالية الحديثة، يرجع بالأساس إلى تلك الأطر المميزة التي رسمها العالمان أوجدن وريشاردز وبعدهما برايال، ومع تقدم الدراسة بدأت البحوث الدلالية تشهد عقبات تكمن صعوبتها في استحالة حصرها، وتحديدها من ذلك أن عكف الدرس الدلالي الحديث على البحث في ماهية الصورة المفهومية، بحيث استحال معها الإحاطة بكل ما يشكل عالم المتكلم حتى يمكن فهم وإدراك المحتوى الفكري المجرد ، يقول (كولردج) محدداً مجال البحث الجديد لعلم الدلالة: "ولا يتضمن معنى اللفظة في رأيي مجرد الموضوع الذي يقابلها، بل يشمل أيضاً جميع الارتباطات التي تبعثها اللفظة في أذهاننا فطبيعة اللغة لا تمكنها من نقل الموضوع فحسب، وإنما تجعلها أيضاً تنقل شخصية المتكلم الذي يعرض الموضوع ونواياه".[32]

إن الحديث عن البنى العميقة التي تتحكم في إنتاج الدلالة من وجهة نظر مجردة يبقى

[29] بيار جيرو، علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، ص72.
[30] سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة محمد جباتين، ص4.
[31] ميشال زكريا، الألسنية: علم اللغة الحديث، ص211.
[32] محمد مصطفى بدوي، كلوردج، دار المعارف، مصر، 1957. ص97.

بعيد المرام، ولذلك فإن جل علماء الدلالة والسيمياء المحدثين يركزون أبحاثهم أكثر على ما يحيط عملية تأدية الدلالة من ظواهر منطقية نفسية ، يقول بيار جيرو موضحاً ذلك: "ويبقى علم الدلالة بالنسبة لبرايال واتباعه متجهاً نحو السمات المنطقية، النفسية والتاريخية للظواهر أكثر من اتجاهه نحو عللها اللسانية".[33]

لقد خطا العالمان كاتر وفودر بالبحث الدلالي خطوة بعيدة إذ تناولاه من ناحية تفاعل مركبات الحدث الكلامي، بل إنهما طرحا إشكالية أساسية تتمحور حول تخصيص العلاقة التي يمكن إقامتها بين صورة الجملة ودلالتها في لغة معينة في غياب النحو، إذ قد تصل العملية التواصلية التي تضطلع بأمر نقل الدلالة إلى مستوى من التعقيد لا يمكن للنحو أن يشرح فيه ذلك، لأن السيمانتيك من وجهة نظر هذين العالمين يتناول قدرة المتكلم على إرسال وفهم الجمل الجديدة في ميدان يعجز عن شرحها النحو[34].

إن الأبعاد التي اتخذها البحث الدلالي الحديث عبر دراسات معمقة، أخرجت النظريات الدلالية والفرضيات العلمية اللسانية من مجال التخمين والتقدير إلى ميدان التحقيق والتطبيق، رسمت إطاراً مفتوحاً على المستقبل لمشروع دلالي أوسع يلج من خلال الدرس السيمائي إلى كل مجال من مجالات المعرفة والبحث العلمي، ويكفي أن نتأمل كتب (أ.ج. غريماس) مثل كتاب "علم الدلالة البنيوي" 1966، "السيميوتيكا والعلوم الاجتماعية" 1976 "في المعنى" 1970، لندرك المصاف الذي بلغه علم الدلالة بعد ما كان علماً يفتقد إلى المنهج والموضوع معاً، إذ كان منشأه في إطار علم الألسنية العام.

يحتل اسم (غريماس) مكاناً علياً ضمن الباحثين في الحقل الدلالي الحديث ويرجع ذلك إلى قدرته على تحقيق الرؤية في قراءاته النقدية للخطاب الأدبي، الشعري والنثري ولقد تجاوز غريماس المعطى الدلالي، الآني مفترضاً وجود معطى ممكن تتجلى فيه العوالم الدلالية التي تتمظهر في بنى دلالية، وعلى أساس وجود هذه العوالم يتم تنظير البنيات

[33] بيار جيرو، علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، ص133.

[34] Initiation aux problemes des linguistiques contemporaines, C.Fuches et P. le Goffic, P.72.

الدلالية والكشف عن آلياتها، وقد يطرح العالم الدلالي فرضية وجود البينة الدلالية والعوالم الدلالية فيقول: "يجب أن نفهم بالبنية الدلالية ذلك الشكل العام لنظام العوالم الدلالية– المعطى، أو الممكن، ذي الطبيعة الاجتماعية والفردية (ثقافات أو أفراد) والسؤال عما إذا كانت البينة الدلالية ماثلة في عالم الدلالة أو تحضن هذا العالم."[35] إن احتواء العوالم الدلالية في بناء من صنع ألسني للتعبير عنها يفترض وجود مشاكلة بين مستوى التعبير ومكوناته ومستوى المعنى وسماته". ذلك أن عالم المعنى يتمظهر في التلفظ articulation ويتموقع في البنى التعبيرية يوضح غريماس ذلك بقوله: "إن فرضية المشاكلة بين المستويين تسمح إذن بالنظر إلى بنية المعنى وكأنها تلفظ لعالم الدلالة حسب وحداته المعنوية الصغرى [أي السمات] وما يقابلها من سمات مميزة على مستوى التعبير، هذه الوحدات الدلالية مكونة بالطريقة نفسها المكونة بها سمات التعبير، من فئات سمات ثنائية".

على الرغم من تباين آراء علماء الدلالة حول جوهر العملية الدلالية، فإن البحث الدلالي أخذ مسارات جديدة بعد وقوع التأكيد على أن اللغة هي نظام تتظافر فيه جملة من الأنظمة الفرعية كنظام البنى التركيبية، ونظام البنى المعجمية، والبنى الصوتية، والبنى الدلالية ضمن نسق محكم أطلق عليه العلماء مصطلح النحو الكلي (**Universal Grammar**)، واتجه الباحثون إلى الكشف عن هذا النسق وتحديد معالمه وسماته، وهذه مرحلة مهمة ارتقى إليها البحث الدلالي حيث "يلاحظ تشومسكي أن ما طبع البحث اللغوي في السنوات الأخيرة– هو تحول من العناية باللغة إلى العناية بالنحو، وهو تحول من تجميع العينات وتنظيمها أو دراسة لغة خاصة أو الخصائص العامة لكثير من اللغات أو كل اللغات إلى دراسة الأنساق التي توجد فعلاً في الدماغ وتساهم في تفسير الظواهر الملاحظة"[36]، وقد أسهمت فكرة تشومسكي في توليد جملة من الأفكار طُرحت كاستفهامات تقتضي أجوبة ولو على وجه الافتراض، من ذلك السؤال حول كيف تنتظم اللغة كجملة من

[35] ج.غريماس، البنية الدلالية من مجلة الفكر العربي المعاصر، ترجمة ميشال زكريا، العدد 19/18 السنة 1982، ص97.

[36] عبد القادر الفاسي، الفهري: الفهم في اللسانيات واللغة العربية، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1986 ص45.

البنى في شكل أنساق نظرية داخل الدماغ؟ إن وجود هذه الأنساق داخل الدماغ يترتب عليه الكشف عن المعرفة اللغوية الباطنية لمتكلم اللغة وضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي، وأقصى ما وصلت إليه البحوث اللغوية الدلالية هو بروز نموذج جديد للتفكير في نظام اللغة، المركب من أنساق مختلفة بحيث بزغ زمن التركيب مع نظرية تشومسكي في النحو التوليدي التي تقوم على أساس تحليل السلسلة الكلامية إلى وحدات من الرموز لتعيد تشكيل ليس السلسلة الكلامية وحسب بل سلاسل كلامية لا متناهية، وذلك إشارة إلى أن الدماغ البشري مركب فيه قواعد إنتاج لأحداث كلامية سليمة في التركيب والدلالة معاً، وعلى الرغم من أن تشومسكي قد أغفل في بحوثه الأولى النسق الدلالي إلا أنه تدارك ذلك، خاصة بعد تلك الإسهامات التي تقدم بها العالمان كاتر وفودور وأعاد الاعتبار إلى الوظيفة الدلالية للتركيب، وعدّل في رسمه البياني الذي تناول فيه السمات البنيوية التي تتألف منها الجملة، مضيفاً المكون الدلالي وإن كانت البنية الدلالية محتواة في ما سماه تشومسكي "بالسلاسل المعقدة".

وبعد تخصيص الدلالة في التركيب اللغوي، توسعت الدلالة لتشمل ما هو لغوي وغير لغوي من الرموز والإشارات والسمات، وهو ما انبنى عنه ميلاد السيميولوجيا كمنهج جديد في دراسة الدلالة بحيث لم تعد اللغة المحتكر الوحيد في البحث، إنما برزت أنظمة إبلاغية أخرى أهمها النظام الإشاري: "فالسيميولوجية [كما تقول كريستيفا] هي لحظة التفكير في قوانين التدليل دون أن تبقى أسيرة اللغة التواصلية التي تخلو من مكان الذات" [37]، إذن هناك وسائل اتصال– واللغة إحداها– تستدعي دراسة في ماهيتها وعلاقاتها وكيفية حدوثها ثم القوانين التي تنتظمها كما قال الدكتور فيدوج: "إنتاج الإعلام عبر إشارات هو الموضوع الأساسي لعلم السيميولوجية الذي هو بحث في ماهية هذه الإشارات وعلتها وكيفية حدوثها أو إنتاجها ووظيفتها والقوانين التي تتحكم بها" [38]، إن الاطلاع على القواعد العامة التي تتحكم

[37] فيدوج، دلائلية النص الأدبي، ص9.

[38] عبد القادر الفاسي، الفهري: الفهم في اللسانيات واللغة العربية ص9-10.

في حياة الدلائل يسمح بوضح أسس لمشروع سيميولوجي يعنى بمعاينة إنتاج الدلالة ويحدد طرق وقواعد ذلك ، كما يبيّنه الكاتب فيدوج بقوله: "والسيميولوجية منهج يهتم بدراسة حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية ويحيلنا إلى معرفة كنه هذه الدلائل وعلتها وكينونتها ومجمل القوانين التي تحكمها، ويعمل من جهة على دراستها بكل أبعادها واستعمالاتها وتعقيداتها دراسة شاملة وعامة لكل مظاهرها العلامية لأن ذلك يشكل جوهر ما يندرج ضمن أهدافها وغاياتها ومطامحها في تحقيق المشروع السيميولوجي.[39]

إن هذا التحديد المسهب لعلم السيمياء جعله يحتل مكانه المؤثر ضمن المنظومة الاجتماعية، إذ أضحى يشمل الإشارات الدالة اللغوية وغير اللغوية وتشترك جميعها في أدائها للقيمة الدلالية وفق شروط عامة.

وقد ميّز (رومان جاكبسون) بين عدة نظم تواصلية تتوزع في إطارين:

الإطار الأول: نظم لسانية تستخدم التراكيب اللغوية للتواصل والإبلاغ.

الإطار الثاني: نظم سيمولوجية مستقلة نسبياً، عن النظام الألسني.

ثم ميز في النظم اللسانية بين اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، والذي يوضحها ذلك التمايز التاريخي الذي أشار إليه اللغويون في بحوثهم حول الصوت والحرف وتمييزهم بين السامع والقارئ وبالتالي بين فعالية الكلام وفعالية الكتابة، وخلص إلى أن الكتابة تبقى الأداة الأكثر فعالية في الخطاب التواصلي و الإبلاغي كونها تضمن استمرارية ومنفذ إلى المتلقي مهما تباعد المكان والزمان.[40]

[39] عبد القادر الفاسي، الفهري: الفهم في اللسانيات واللغة العربية ، ص6-7.

[(40)] Essais de linguistique generale Roman Jakobson, P.101-102.

4. أنواع الدلالة:

4-1. الدلالة الصوتية: هي الدلالة الصوتية الطبيعية التي تعنى بوجود مناسبة ما بين اللفظ والمعنى ، (و الفضل في مثل هذا الفهم يرجع إلى إيثار صوت على أخر أو مجموعة من الأصوات على أخرى في الكلام المنطوق به).

وهناك دلالة صوتية تحليلية يتغير بها المعنى تبعا لتغير الوحدات الصوتية ، (ومن مظاهر الدلالة الصوتية النبر فقد تستعمل (اسماً) إذا كان النبر على المقطع الأول منها فإذا انتقل النبر تصبح فعلا[41] والنبر يكثر في اللغات الأوروبية وبعض اللغات الشرقية كالصينية مثلاً.

والنبر أو الدلالة الصوتية هذا ما يقر به العقل والتجربة، فلو انك قلت فعلاً تقصد به الأمر فالنبر واضح ويركز تركيزاً شديداً على الحروف الصحيحة دون حروف العلة فعندما نقول مثلاً اكتب يكون التركيز على حرف الباء، أما ادعُ فيحذف منه حرف الجوف لأنك لا يمكن أن تشد عليه فلا نبر فيه ، والدلالة الصوتية أطلق عليها ابن جني الدلالة اللفظية وهذا ما ينطبق عليه تعريف اللفظ عنده.

4-2. الدلالة الصرفية : والدلالة الصرفية أطلق عليها علماء الصرف الدلالة الصناعية ومنهم ابن جني، وهي التي تعنى بصرف اللفظ كقولنا مثلاً: رجع على وزن فعل فالفعل تتغير دلالته لو كان على وزن افعل أي ارجع، وهذه الصيغة انتقلت من اللزوم إلى التعدية، أو قولنا واهب على وزن فاعل، فإذا بدلناها على وزن فعال، تغيرت الدلالة إلى المبالغة.

4-3. الدلالة النحوية: أن الجمل في نظامها إما أن تكون فعلية، أو اسمية مثلاً فالدلالة عند التغيير من الاسمية إلى الفعلية، تتغير و تولد نمطاً جديداً، وهذا ما سبق إليه

[41] إبراهيم أنيس:دلالة الألفاظ، ص47.

علماء اللغة العربية، ومن المؤكد أن نظام الجملة و التركيب في اللغة العربية واسع وبنيته دقيقة فالعرب ابرع من غيرهم في هذا الأمر.

4-4. الدلالة المعجمية والاجتماعية : لا تخلو كلّ كلمة من دلالة معجمية أو اجتماعية تستقل عن الأخرى بما توصله أصوات هذه الكلمة، أو صيغتها من دلالات زائدة على الدلالة الأساسية، فالدلالة المعجمية نراها واضحة عند رجوعنا إلى معنى اللفظ أما الدلالة الاجتماعية، فنلحظها حين تتركب الجملة من عدة كلمات تتخذ كل كلمة شكلاً معيناً يؤدي ذلك إلى التركيب النحوي ولكل كلمة وظيفة، وقد اهتم علماء اللغة في العصر الحديث بالدلالة الاجتماعية إلي ولدت أفقاً في اللغة وأسست لعلم دلالة الألفاظ، ومثال ما تقدم كلمة يد فقد ورد معناها في لسان العرب بمعنى الكف، واليد في المعجم الوسيط من أعضاء الجسد وهي من المنكب إلى أطراف الأصابع، فالمعنى الذي ذكرناه هو المعنى المعجمي وهناك معنى أخر له دلالة أخرى عند أصحاب السياق، وهذا ما يتفق مع الدلالة الاجتماعية ففي السياق نقول مثلاً زيد طويل اليد ونعني سمحاً، ولو قلت سقط في يده فالمعنى ندم.

5. العلاقة بين الدلالة والتركيب:

إن مفهوم النحو في القديم يعني دراسة نظام ترتيب الجمل والنظام الصوتي والنظام الصرفي، وهو ما يظهر في مؤلفات القدماء في موضوع النحو، ويبدو أكثر في تعريفهم لعلم النحو، قال ابن جني في باب القول على النحو (هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب وغير ذلك[42] واعتبر كثير من علماء العربية وظيفة القواعد النحوية دلالية، ولم ينظروا إلى تلك القواعد نظرة سطحية لا تتجاوز ترتيب الألفاظ على نظام القواعد فحسب، بل تخطوا ذلك إلى العلاقة بين المفردات والتركيب، قال السكاكي "اعلم أن علم النحو هو أن تنحو إلى معرفة التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام

[42] ابن جني الخصائص تحقيق محمد على النجار دار الكتب المصرية 1952 ج34/1

العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية، وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض، ورعاية ما يكون من الهيئات إذ ذاك "[43] والصرف وثيق الصلة بالتركيب ولا يمكن الفصل بينهما، فوظائف المفردات في التراكيب تحدد من خلال بنيتها الصرفية، فالبنية الصرفية هي التي تحدد زمن الفعل وفاعله، وتدل الصيغة أيضا على أبنية الفاعل والمفعول والصفة، وصيغ المبالغة، وتوظيف الكلمات في التراكيب بناء على صيغتها الصرفية ، ولهذا فعلم الصرف هو الذي يحدد دلالة مفردات التركيب في الجمل، وعلم النحو هو الذي يضع ترتيبها، ويحدد وظيفتها بناء على دلالتها الصرفية والمعجمية.[44]

5-1. الدلالة التركيبية: ظهر علم جديد يسمى علم الدلالة التركيبية، وهو العلم الذي يهتم ببيان معنى الجملة أو العبارة، وقد عرف هذا النوع من دراسة دلالة الجملة بعلم الدلالة التركيبية أو علم دلالة الجملة في الغرب، وقد بدأ عند الغربيين من خلال البحوث الدلالية التركيبية في علم النحو التحويلي، ومعنى الجملة عند الغربيين يعني وظيفة معاني أجزائها أو معنى الوحدات القاموسية والصلات الدلالية بين مكونات الجملة، كما بحثوا معنى الوحدات الصرفية (المورفيمات المفردة) والمعاني التي تتحقق من الصلات النحوية بين هذه الوحدات.

إن القضية التي ندرسها ليست قضية وظيفة معنى لفظ في تركيب، بل المقصد هو دلالة التركيب أو الجملة وعلاقته المتماسكة وأثرها في المعنى، والمتلقي يدرك بوعيه اللغوي مقاصد اللغة، ومعاني الألفاظ ترتبط بالسياق النصي العام الذي جاءت فيه، وتعد دراسة النص من خلال تركيبه هي الأساس في فهم دلالته لأن التركيب متى افتقد لدلالة افتقد قيمته وقيمة المفردات في وظائفها الدلالية.[45]

---

[43] السكاكي أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر ،مفتاح العلوم ، طبعة التقدم ،القاهرة 1348 ،ص33.

[44] محمود عكاشة ، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ،دار النشر للجامعات القاهرة 2005 ص 117

[45] توفيق الزيدي ،أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب تونس 1984 ص 73

إن النحو يقوم ببحث العلاقات التي تربط بين الكلمات في الجملة الواحدة، وبيان وظائفها إذ أنه وسيلة نحو التفسير النهائي لتعقيدات التركيب اللغوي، والدلالة هى التي تبرز الاختلاف بين التراكيب المختلفة، فالنحو والدلالة يتعاونان معا على توضيح النص وتفسيره واتجهت الدراسات اللغوية الحديثة إلى الربط بينهما في بناء اللغة) فالدلالة التركيبية هي الدلالة الناشئة عن العلاقة بين وحدات التركيب أو المستمد من ترتيب وحداته على نحو يوافق القواعد فالنظام التركيبي ذو فاعلية في خلق المعنى المتعدد، فهو جزء أساسي من حيوية اللغة.

2-5. رأي القدماء في العلاقة بين المعنى والتركي ب: لقد بذل القدماء ما في وسعهم من أجل توضيح العلاقة بين المعنى والتركيب، فهم يرون أن النظام التركيبي ذو فاعلية في خلق المعنى المتعدد فاتجهوا إلى المعنى، فالجملة تشكل شبكة من العلاقات السياقية التي يقوم كل علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنوية والتي تعتمد في وضوحها على التآخي بينها وبين القرائن اللفظية في السياق، فقد خرج النحو من إطار الكلمة ووظيفتها في التركيب إلى نطاق السياق، بل امتد دور النحو في دراسة النص جميعه فلقد تخطى دور النحو الإعراب ومشكلاته على مستوى الكلمة، وتعداه على مستوى التركيب وما يتعلق به من وظائف الكلمات والعلاقة المعنوية التي تربط مفرداته ومسائل نظم الكلام وتأليفه.[46]

وقد استطاع ابن جني وعبد القادر الجرجاني أن يكشفا العلاقات الداخلية بين المفردات التي يتألف منها التركيب، وجعل ابن جني المعنى أساس صحة التركيب النحوي وقبوله، كما أن عبد القاهر رأى أن اللفظ مفرداً لا يشكل قيمة دلالية ولا نستطيع تقييمه منفرداً بعيداً عن السياق اللغوي، كما أن تأليف الكلام أو نظمه على قواعد النحو ليس أساساً في صحة التركيب، بل الأساس اتساق التركيب في المعنى مع قواعد التركيب.

[46] كمال بشر، دراسات في علم اللغة القسم الثاني، دار المعارف ط 1971/2م ص94

يقول عبد القاهر الجرجاني في هذا (واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه (علم النحو) وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها ... هذا هو السبيل، فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم إلا وهو معنى من معاني النحو، قد أصيب به موضعه ووضع في حقه أو عُمل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه واستعمل في غي ر ما ينبغي له، فلا ترى كلاما قد وصف بالصحة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك الميزة وذلك الفضل، إلى معاني النحو وأحكامه ووجدته يدخل في أصل من أصوله ويتصل باب من أبوابه،[47] قام ابن جني بدراسة رائدة في علاقة النحو بالمعنى فأطلق على معنى التركيب اسم الدلالة المعنوية ويقصد بها " المعنى الذي يتحقق من تراكيب الكلام وذلك من خلال العلاقات الإعرابية أو العلاقات التي يقيمها نظام الإعراب، وهى علاقات معنوية تنشأ في التركيب ... ويؤكد ابن جني أن وظيفة الألفاظ في التركيب تبين من ناحية المعنى لا من ناحية اللفظ "فقد عملت أن دلالة المثال على الفاعل من جهة معناه "[48] وسيطرت فكرة الدلالة التركيبية أو الدلالة الجملة على ابن جني ولهذا نجده يحكم بفساد التركيب لفساد معناه، وإن صح التركيب شكلاً "ومن المحال أن تنقض أول كلامك بآخره وذلك كقوله : قمت غداً، أو سأقوم أمس".[49]

واستشهد ابن جني على فساد بعض التراكيب لتناقضها في المعنى، مثل الياقوت أفضل الطعام، وزيد أفضل الحمير... وتبين من ذلك أن التركيب يصبح فاسداً إذا تناقض منطقياً أو استحال قبول معناه عقلا، وهذا سبق فريد من ابن جني حيث ربط بين المعنى والشكل، فرفض التراكيب الشكلية المصنوعة التي لا تتسق مع الواقع والعقل، فالدلالة عنده

[47] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني 1992م ص81

[48] ابن جني، الخصائص ج3 /99

[49] المصدر نفسة، ج3 /331

تقوم على صحة الشكل والمضمون معاً، فلا يكفي صحة الإعراب في بناء الجملة بل من الضروري اتساق المعنى مع الواقع وقبوله منطقيا ، وتوسع في ذلك فربط بين المضمون والعالم الخارجي وذهب إلى ضرورة اتساق المضمون مع (العالم الخارجي).

5-2-1. عبد القاهر الجرجاني: وذهب عبد القاهر مذهب ابن جني، فأبطل كثيرا من التراكيب التي يستحيل حدوث معناها، كعموم النفي في مثل: ما أكلت شيئاً، وما رأيت أحداً من الناس، وأنت مبصر... وضرب عبد القاهر كثيراً من الأمثلة على فساد التركيب نحو قول الفرزدق يمدح إبراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك الخليفة قائلا :

ومامثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه

أي وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أمه أبو يعني المملك هشاماً، وأبو أم ذلك المملك أبو هذا الممدوح، ويعقب على تلك الشواهد بقوله: وفي نظائر ذلك مما وصفوه بفساد النظم، وعابوه من جهة سوء التأليف أن الفساد والخلل كانا من أن تعاطى الشاعر ما تعاطاه من هذا الشأن على غير الصواب وصنع في تقديم أو تأخير أو حذف أو إضمار أو غير ذلك مما ليس يصنعه وما لا يسوغ و لا يصح على أصول هذا العلم).[50]

وتعد نظرية النظم التي وضعها عبد القاهر وآراؤه التي دارت في رحى التركيب و المعنى صدى لجهود ابن جني (ت 391 هـ) والنتائج التي توصل إليها ثمرة القضايا اللغوية التي عالجها ابن جني في كتابه الخصائص، فنظرية النظم ليست إلا تطويراً لما قاله ابن جني من ضرورة مراعاة المعنى في صناعة التركيب، واتساق معنى التركيب مع الفكرة وعدم مخالفة الواقع، كما أنه اهتم بالشكل التركيبي وجعل المعنى العلاقة التي تربط بين عناصره.[51]

[50] عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، ص84.

[51] محمود عكاشة ، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة دار النشر للجامعات القاهرة 2005 ،**133**.

يعد عبد القاهر أكثر علماء العربية القدماء اهتماما بدراسة العلاقات التركيبية ومعنى التراكيب وإمامه في ذلك ابن جني، وذلك من خلال نظرية النظم التي تقوم على تناسق دلالة الألفاظ، وتلاقي معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل وأن يأتي ترتيب توالي الألفاظ في النص على ترتيب المعاني في النفس، قال وأن يتوخى المتكلم في ذلك معنى الإعراب وقواعد اللغة واعتبر عبد القاهر دور الفكرة في النظم (فينبغي أن ينظر في الفكر بماذا تلبس؟ أبالمعاني أو بالألفاظ؟ فأي شيء وجدته الذي تلبس به فكرك من بين المعاني والألفاظ، فهو الذي تحدث فيه صنعتك) [52] ويرى عبد القاهر ضرورة مراعاة قواعد اللغة الشكلية والعلاقات الداخلية التي تربط بين أجزاء التراكيب، والتي تتمثل في المعنى و الألفاظ عنده لبن هذا البناء أو المادة التي يقوم عليه انظم الكلام، وتأتي في المرحلة الثانية بعد المعاني (بان بذلك أن الأمر على ما قلنا من أن اللفظ تتبع للمعنى في النظم، وأن الكلم ترتب في النطق بسبب ترتيب معانيها في النفس...فالألفاظ خدم للمعاني، فمعرفة المعاني تأتي في المقام الأول ثم مطابقة الألفاظ المعاني وبعدها ترتيب المعاني في النفس ثم تأتي في المرحلة الأخيرة وهى ترتيب الألفاظ بما يتفق مع الفكر أو على نسق الفكر).[53]

5-2-2. ابن الأثير : وقد ذهب ابن الأثير مذهب الجرجاني في أن التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها فقال: "واعلم أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر ما يقع في مفرداتها، لأن التركيب أعسر وأشق، ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملها العرب ومن بعدهم، ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم ويعلو عليه وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب"[54]، ثم يذكر مثالاً على ذلك فيقول : " وهل تشك أيها المتأمل لكتابنا هذا إذا فكرت " في قوله تعالى : ﴿ **وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ، وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي ، وقيل بعداً للقوم الظالمين**﴾ ﴿سورة هود،الاية44﴾.

[52] محمود عكاشة ، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص51.

[53] المرجع نفسه، 56 . 54

[54] لابن الأثير ،المثال السائر في أدب الكاتب ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية . لبنان 1990م ج1 /151.

أنك لم تجد ما وجدته لهذه الألفاظ من المزية الظاهرة إلا لأمر يرجع إلى تركيبها وأنه لم يعرض لها هذا الحسن إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية، والثالثة بالرابعة، وكذلك إلى آخرها، فإن ارتبت في ذلك فتأمل هل ترى لفظة منها لو أخذت من مكانها، وأفردت من بين أخواتها كانت لابسة من الحسن ملابسة في موضعها من الآية، ومما في كلام آخر فتكرهها، فهذا ينكره من لم يذق طعم الفصاحة ولا عرف أسرار الألفاظ في تركيبها وانفرادها.[55]

5-3. رأي المحدثين حول العلاقة بين الدلالة والتركيب: إن مصطلح النحو في الدرس العام له دلالة عامة في الدرس القديم ودلالة خاصة في الدرس الحديث، فمصطلح **Syntax** لا يعني النحو بمعناه العام وإنما يعني فرع من فروع النحو **Grammar** ، والأخير هو الذي يقابل المعنى العام القديم، والتركيب **Syntax** يعني التأليف أو نظم المفردات في شكل معين، وهو لا يعني الجملة المفيدة في كل السياقات ، فقد يعني تأليف الحروف لتكوين كلمة، وهو ما يعرف بنظم حروف الكلمة ومصطلح **Syntax** استخدمه التقليديون على أنه أحد فروع النحو **Grammar** ، الذي يعالج نظام ترتيب الجملة والعلاقات التي تربط بين أجزائها وأثرها في المعنى، وأثر إعادة ترتيب الجملة ما قد ينجم عن تلك العلاقات من تغيرات تصريفية.

وتدخل الدلالة التركيبية حديثا تحت ما يطلق عليه (علم دلالة الجملة) أو علم الدلالة التركيبي، وهو العلم الذي يهتم ببيان معنى الجملة أو العبارة، وقد عرف هذا النوع من الدراسة عند الغرب بعلم الدلالة التركيبي أو علم دلالة الجملة، وقد بدأ عند الغربيين من خلال البحوث الدلالية في علم النحو التحويلي.

ومعنى الجملة عند الغربيين يعني وظيفة معاني أجزائها، أو معنى الوحدات القاموسية، والصلات الدلالية بين مكونات الجملة، كما بحثوا حتى الوحدات الصرفية

[55] لابن الأثير، المثال السائر في أدب الكاتب، ج1/ 152.

"المورفيمات المفردة " والمعاني التي تتحقق من الصلات النحوية بين هذه الوحدات .

وقد تنبه علماء اللغة المحدثين إلى تطبيق النحو في الدلالة فاتجه البحث إلى دراسة الجمل من ناحية العلاقات السياقية أو السنتاجماتية **Syntagmatique Relations** في مقابل الصرف الذي يدرس العلاقات الجدولية أو البراديجماتية **Paradigmatique**[56]، وأرى أن هذا الرأي لا يتسق مع آراء النحاة العرب في وظيفة النحو، فليست دراسة الجملة في ضوء الدلالة من صنع المحدثين بل هم في ذلك تابعون للقدماء من العرب، ودراسة شكل الجملة فقط تنسب إلى البنيوية وغيرها من المذاهب الشكلية[57] والنظام التركيبي ذو فاعلية في عمل المعنى المتعدد، فهو جزء أساسي من حيوية اللغة، وقد بذل المتقدمون ما في وسعهم من أجل توضيح هذه الفاعلية، فانتظام الكلمات ونوع الترابط والانفصال بين العبارات والتفاوت الملحوظ بين صيغ الكلمات في العبارة كل أولئك كان مجالا واسعاً يكشف إمكانيات غير قليلة.[58]

لقد بالغ بعض النحاة العرب فذهبوا إلى كلمات مستترة وكلمات مقدرة، بل لقد أعطوا هذه الكلمات أحكاما إعرابية وألزموها ضماً أو كسراً أو فتحاً، وهذه الكلمات لا وجود لها وهذه الأحكام التقديرية التي تقوم على كلمات مفترضة، وأحكام ظنية وعوامل متوهمة تشكل عقبة في طريق الدرس اللغوي الحديث، الذي يبحث عن أيسر المناهج لتعليم اللغة، فرأى بعض العلماء ضرورة التخلص مما ليس له وجود أو مما ليس فيه فائدة ويشكل عبئا على المتعلم وقد رأت المدرسة البنيوية أو الشكلية أن تفرق بين عنصري العبارة اللغوية (عنصر اللفظ وعنصر المعنى) وأن تحلل كلا منهما على حدة وفقا لطبيعة كل منهما، وذلك لأن المعنى أمر نسبي يخضع تحديده للظروف الخارجية، الانطباعات الجانبية والحالة النفسية، أما العبارة فهي كيان مادي محدد الأجزاء ثابت الصورة .[59]

[56] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة دار الثقافة 1400 هـ - 1979 م. ص229.

[57] محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة ،ص124.

[58] مصطفى قطب ،دراسة لغوية لصور التماسك النصي ، دار العلوم 1417 هـ. 1996م ،ص17.

[59] عبد الرحمن أيوب ،التحليل الدلالي للجملة العربية ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية عدد /10م 1983/3، ص108.

ولم تفصل المدرسة البنيوية بين الشكل والمعنى إلا فصلا مرحليا، فدراسة الصورة اللفظية منفصلة عن المضمون الدلالي لا يعني إهمال الدلالة، وذلك لأنه على الباحث أن يربط كل صورة لفظية بقالبها الدلالي.

وقد رأى **فيرث** أن المعنى موجود حتى على المستوى الصوتي، وهو في هذا يعتمد على نظرية تقول إن تمييز فرد من أفراد مجموعة عن سواه يعني تحديد مدلوله، والتاء غير الهاء والقاف غير الكاف لما بين كل فرد من أفراد هاتين المقابلتين من وجوه شبه ووجوه اختلاف تميز واحداً منها عن الآخر، وهذا التمييز في حد ذاته دلالة على مستوى هذه المقارنة، وتوجد على المستوى الصرفي عناصر الدلالة أيضاً، فالصرف **Morphème** مجموعة من الأصوات ذات الدلالة والعلاقة النحوية تتضمن دلالة كذلك أما الدلالة القاموسية فأوضح من أن تعرف.[60]

ويتبين من ذلك أهمية دور النحو في تحديد المعنى، فالغاية من دراسة النحو هي فهم تحليل بناء الجملة تحليلاً لغوياً يكشف عن أجزائها، ويوضح عناصر تركيبها وترابط هذه العناصر ببعضها الآخر، لتؤدي معنى مفيدا، ويبين علائق هذا البناء و وسائل الربط بينه والعلامات اللغوية الخاصة بكل وسيلة من هذه الوسائل.[61]

تشوسكي: كانت قضية المعنى من أسباب ثورة تشومسكي على المنهج البنيوي حيث لاحظ أنه غير على شرح العلاقات التي يمكن أن تقوم بين مختلف الجمل، فقد تشترك جملتان في الشكل على حين تختلفان اختلافاً جذرياً في المعنى نحو:

"صراخ المجرم لم يؤثر في الناس".

"عقاب المجرم لم يؤثر في الناس".

فالجملتان من حيث الشكل الخارجي متشابهتان تماماً في علاقة المفردات ببعضها ومع ذلك فالمعنيان مختلفان، فتحليل ظاهر اللغة أو شكلها الخارجي لا يفسر دائما المعنى

[60] عبد الرحمن أيوب التحليل الدلالي للجملة العربية، ص109.

[61] محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، ص 127.

فالجملتان متشابهان في المظهر الخارجي ويحللان شكلياً بصورة واحدة، ولكن المعنى مختلف تماماً) لقد ميز علما اللغة الحديث بين الجمل غير المقبولة لأسباب نحوية والجمل غير المقبولة لأسباب قاموسية أو لأسباب تتعلق بالمعنى، فالجملة قد تكون صحيحة نحوياً ولكنها ليست كذلك دلالياً، وقد ذكر تشوسكي جملة أصبحت شهيرة في الدراسات اللغوية المعاصرة للدلالة على ذلك، وهى الأحلام أو الأفكار الخضراء عديمة اللون تنام غاضبة فالجملة صحيحة من ناحية الشكل ومنحرفة قاموسياً أو غير مقبولة من ناحية المعنى ، ومن ثم فقد رأى تشومسكي أنها ليست نحوية أيضاً.[62]

هذه الآراء حول صلة الدلالة والمعنى بالتركيب تحدث عنه كما رأينا القدماء بما يتضح معه مدى الحاجة إلى دراسة تطبيقية لتوضيح مدى الترابط بين العلمين (علم الدلالة وعلم النحو) وقد قمت بهذا العمل من خلال دراسة بعض النصوص القرآنية التي تتصل بالنفس الإنسانية، وقسم ناها إلى محاور كما يبدو من الدراسة التطبيقية وجمع نا الآيات المتشابهة من حيث المعنى والتركيب وتدور حول شيء واحد هو محور هذه المجموعة من الآيات، فلاحظنا أوجه الخلاف والاتفاق بينهما وإلى أي مدى يخدم هذا الخلاف أو الاتفاق المعنى أو أي مدى نجحت التراكيب اللغوية للآية في تصور المعنى المقصود منها.

6. أثر التركيب في الدلالة:

6-1. أثر الوقف المباشر: يتبين أثر الوقف على الدلالة التركيبية في شكلين:

الشكل الأول: أثر يرجع للوقف وحده بصرف النظر عن أية ظواهر تركيبية أخرى.

الشكل الثاني: أثر الوقف مع عدد أخر من الظواهر التركيبية.

و يتركز الأثر على النقطة الأولى وحدها، حيث يرصد البحث طائفة من الأمثلة ثم يسجل تغييرات التي تطرأ على الدلالة التركيبية إذا تغير موضع الوقف و من الجدير بتسجيل أن الدلالة التركيبية، بوصفها" كما سبق القول" الدلالة أو المعنى الناشئ عن العلاقة بين وحدات التركيب، و العلاقات التركيبية متنوعة و العوامل المؤثرة متنوعة كذلك، ونادرا ما

[62] محمود جاد الرب ، علم الدلالة مطبعة عامر بالمنصورة 1991، ص33.

يتحكم في توجيهها عامل واحد فقط، فالوقف مجرد عنصر من العناصر التي يمكن أن توجه دلالة التركيب، لكن الغالب الأعم هو أن يشارك الوقف قرائن سياقية أخرى تلعب نفس الدور في التأثير على دلالة التركيب، و ما أكثر ما تتضافر القرائن في توجيه المعنى و هذا هو الأصل، فالنبر والتنغيم يشاركان الوقف نفس الخصية، و كذلك قرائن السياق المتنوعة كالعلامات الإعرابية، و اختلاف نوع الصيغة و اختلاف الوظيفة النحوية و قرينة الإسناد و قرينة الحذف، و غيرها فمن الصور المختلفة لأثر الوقف وحده على الدلالة التركيبية مثـــلا:

❖ **وقف يدفع توهم الحالية مثل:** من ذلك قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**و من الناس من يقول آمنا بالله واليوم الأخر وما هم بمؤمنين**﴾.﴿ سورة البقرة، الآية 8﴾ . هنا وقف للبيان، ثم يبتدئ القارئ: ﴿ يخادعون الله... ﴾.﴿ سورة البقرة، الآية 9﴾ ،لأنه لو وصل الكلام لا أوهم أن جملة يخادعون حالة من الضمير "هم" و هذا يوجب نفي خداعهم، " والمعنى على إثبات الخداع" و الأفضل اعتبار جملة "يخادعون" استئنافية لا محل لها من الإعراب [63] و من ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ **و نسوق المجرمين إلى جهنم وردا**﴾ .﴿ سورة مريم، الآية 86﴾ ثم يبتدئ القارئ: "لا يملكون الشفاعة" و يدفع القارئ بالوقف أن يتوهم السامع كون جملة " لا يملكون" حال من " المجرمين" و يكون المعنى في ضوء الوقف إما: من اتخذ عند الرحمن عهدا فانه يملك الشفاعة، أو لا يملك الشفاعة غير من اتخذ عند الرحمن عهدا.[64]

6-2. أثر الوقف مع قرينة أخرى: يرصد اثر الوقف البحث عدد من القرائن التي تتعاون مع الوقف في التأثير على المعنى فان ذلك يكمن في مجموعة من الأمثلة التي تمثل التعاون بين قرينة الوقف و كل قرائن السياق اللفظي و المعنوي و مثال ذلك كما نجده:

6-2-1. اجتماع الوقف مع قرينة العلامة الإعرابية: فهي رمز لغوي دال على وظيفة نحوية و هي من اخطر القرائن السياقية تأثيرا على دلالة التركيب، فإذا تم استبدال

[63] انظر ، ابن الجزري ابو الخير محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، ت: علي محمد الصباغ، دار الكتب العلمية بيروت، دون تاريخ،333/1.

[64] أبو إسحاق الزجاج ، معاني القرآن و إعرابه، ت : عبد الجليل شلبي، مجمع اللغة العربية، دار الشروق ، 346/3.

حركة إعرابية بأخرى، فان ذلك يحمل إلينا دلالة معينة نفهم منها اختلاف الوظيفة النحوية التي تحملها الكلمة داخل التركيب، و قد لا تتغير العلامة الإعرابية و مع هذا يمكن أن تختلف الدلالة الوظيفية لنفس الكلمة اعتمادا على قرينة أخرى، فتغير دلالة الكلمة وظيفيا يتأثر بالعلامة الإعرابية تأثيرا قويا دون أن يعني هذا أنها القرينة الوحيدة التي تتحكم في تحديد هذه الدلالة وظيفيا و تركيبيا و قد تتعاون قرينة الوقف مع قرينة العلامة الإعرابية في هذا التأثير و تكشف الأمثلة خصوصية هذا التعاون: اختلاف حركة الفعل مع الوقف مثل: قوله تعالى:﴿ **يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما** ﴾.﴿سورة النساء، الاية73﴾.

و يقرأ الفعل " فأفوز" على وجهين:

- بالرفع (فأفوزُ) و هنا يجوز الوقف على قوله "معهم"، و اعتبار (فأفوز...): جملة استئنافيةٍ، و يكون المعنى حينئذ: يا ليتني كنت معهم و فوزي يومئذ فوز عظيم.

و يمكن قراءة الرفع " فأفوزُ" عطفا على (كنت) على اعتبار إن كنت بمعنى أكون، و في هذه الحالة لا يجوز الوقف على "كنت معهم" لئلا نفصل بين المعطوف عليه "كنت" و بين المعطوف" فأفوزُ"، و في ضوء التخريج الأخير فان المعنى، يا ليتني أكون معهم و أفوز يومئذ فوزا عظيماً.

- "فأفوزَ" بالنصب واقعة في جوانب التمني، وهو موضع ينصب فيه الفعل، فلا يكفي الوقف على "كنت معهم" و التمام عند قوله " عظيمًا"[65]

و المعنى في ضوء هذا النصب و ذلك الوقف هو: يا ليتني كنت معهم فاظفر بسبب وجودي معهم بالفوز العظيم.

6-3. أثر الوقف مع قرينتين فأكثر: إن التركيب اللغوي هو بنية مركبة من مجموعة من العناصر الصرفية و النحوية وهذه العناصر تتمثل في نوعين، مباني و معاني وكلا النوعين له دور في الدلالة التي يؤديها التركيب، غير أن بعض العناصر قد يطفى أثره في تحديد المعنى ومن بين الاحتمالات الدلالية التي تسمح بها صيغته المكونة له فقد يكون

[65] أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن و إعرابه، 86/2.

النظرة العنصر البارز القادر على تحديد المعنى وقد يكون التنغيم وقد يكون الوقف بين الوحدات، وقد يكون حذف عنصر أو وجود صيغة معينة وربما كان العام الحاسم والعلامة الإعرابية لوحدة إعرابية أو أكثر، أو غير ذلك من القرائن، فكل العناصر المقالية، الصوتية والصرفية والنحوية، وما تحمله من قيم دلالية له دور في تحديد المعنى مع التسليم بأن أحد هذه العناصر وهو القليل أو مجموعة منها وهو الغالب قد تكون أكثر بروزا وتوجيه المعنى وجهة معينة دون غيرها من القرائن قادرة على التوجيه وخلال كل هذا الأثر الذي يؤديه الوقف ومعه قرينتان وأكثر، ومن أمثلة اجتماع الوقف مع قرينتين أخريين ما يلي:

❖ **اجتماع الوقف مع العلامة الإعرابية والصيغة** : قوله تعالى :﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ضلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر**﴾﴿سورة البقرة، الآية 21﴾ .

وهذه الآية تقرأ بثلاث طرق أو على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ضلل من الغمام والملائكةُ**﴾ برفع (الملائكةُ) هنا وقف ثم يبتدئ بقوله: ﴿ **وقضى الأمر، وإلى الله ترجع الأمور**﴾.

والمعنى في ضوء قراءة الرفع، وطبقا لهذا الوقف هو: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله وتأتيهم الملائكة في ضلل من الغمام.

الوجه الثاني: ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ضلل من الغمام والملائكةِ** ﴾ بجر(الملائكةِ) هنا وقف ثم يبتدئ بقوله: ﴿ **وقضى الأمر، وإلى الله ترجع الأمور**﴾. على اعتبار أن الملائكة معطوفة على الغمام، والمعنى وفقا لهذا الوجه: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ضلل من الغمام وضلل من الملائكة.

الوجه الثالث: ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ضلل من الغمام والملائكةِ وقضاء الأمر** ﴾. بجر الملائكة ومجيء (قضاء) بصيغة المصدر، وليس فعلا كما في القراءتين الأوليين، هنا وقف ثم يبتدئ ﴿ **وإلى الله ترجع الأمور**﴾، و المعنى على القراءة الأخيرة: هل ينظرون إلا أن

يأتيهم الله في ضلل من الغمام مع الملائكة ومع قضاء الأمر. أو: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بضلل من الغمام وبالملائكة وبقضاء الأمر.[66]

وهنا نلاحظ تضافر ثلاثة قرائن مؤثرة على توجيه المعنى، الأولى قرينة العلامة الإعرابية وتمثلت في التنوع بين جر الملائكة ورفعها، وقرينة الوقف بعد(الملائكة) أو بعد(الأمر)، وقرينة الصيغة بين صيغة الفعل(قضى) وصيغة المصدر(قضاء) لتجعل لكل وجه من هذه الأوجه معنى يختلف عن معنى سواه.

7. دراسة بعض نماذخ لعلاقة التركيب بلدلالة:

إذن من خلال كل ما تقدم نستطيع أن نخلص إلى أن التركيب له علاقة وثيقة بالصوت و الصرف، والنحو والدلالة، وفي هذين الأخيرين يرى أهمية الجملة فهي "عملية إنسانية ترتبط فيها العناصر بالمسند، واختص المسند بكل ملفوظ أدنى مصاحب بوسائل وأدوات أو يخلو منها، وهو ما تعقد حوله الجملة، وبه تتحدد وظائف مختلف المؤلفات" [67] ومن مراعاة الدلالة في التركيب يقول عبد القاهر" ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق، بل إن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل، وكيف يتصور أن يقصد به توالي الألفاظ في المنطق بعد أن ثبت أنه نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وانه نظير الصياغة، والتحبير والتفويف والنق ش"[68]، فالنحو إذن له علاقة وثيقة بالدلالة هذه العلاقة الحميمة" يقوم النحو فيها بالإمداد بالمعنى الأساسي"[69] لأن الوصف النحوي يهتم بالجملة وبالعلاقات القائمة بين عناصرها لذلك كانت الجملة هي موضوع النحو، وهي أهم وحدات المعنى في اللغة بصفة عامة أما في الشعر فإن نسيجه المتلاحم يجعلك تبحث في جوانبه الفنية، لأن الشعر هو الشاهد على العربية والحجة على تراكيبها لذلك كان للجملة في الشعر شكل آخر يختلف عما هي عليه في النثر لأن الشاعر

[66] أبو بكر بن الأنباري، إيضاح الوقف و الإبتداء، ت: محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية–دمشق، ص547–549.

[67]عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 49 –50.

[68] عبد اللطيف محمد حماسة ، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، القاهرة الطبعة الأولى، ص 13.

[69] المرجع نفسه، ص 417.

"لا يتعامل مع المفردات من حيث كونها مفردات ولكنه يتعامل مع تراكيب تقوم فيها المفردات بوظائف تكتسب بها معاني جديدة لم تكن متوافرة لها من قبل".[70]

فالتركيب إذن بما أنه نظم للمفردات وربطها ببعضها يساعد الشاعر على نظم كلماته في شكلها الذي يريده فهو" يجري موازنة دقيقة بين عدد من التراكيب ويكون في ذهنه عدد من البدائل اللغوية وأنماط متعددة من التراكيب، وفي النهاية يختار عليها جميعا ما يرتضيه ويقدمه في قصيدته".[71]

أما اهتمام الدارس بالجملة فهو اهتمامه بكل ما يطرأ عليها من عوارض "تعنى بأحوال أجزائها الرئيسة وغير الرئيسة، من حيث تقديم بعضها على بعض، وتأخر بعضها على بعض، من حيث ذكره وحذفه، ومن حيث التصريح به أو إضماره".[72]

7-1. الحذف: قول عبد القاهر في الحذف: " هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر، فإنه ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن ،[73] والحذف أسلوب بلاغي قديم يلجأ إليه الشاعر من أجل توضيح بعض الدلالات الإيحائية التي يرمي إليها، وقد يكون السياق هو يدفع المتكلم إلى الاختصار والحذف لبعض عناصر الجملة وهو يدخل في بناء الجملة ويعد أحد المطالب الإستعمالية " فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أي يحذف أحد العناصر المكونة بهذا المكونة البناء وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيا في أداء المعنى".[74]

و سوف نوضح ذالك في نموذج المومس العمياء لبدر شاكر السياب :

[70] عبد اللطيف محمد حماسة، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ص 418.

[71] مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه،منشورات المكتبة العصرية ,بيروت1964 الطبعة الأولى، ص 37

[72] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 149.

[73] محمد حماسة، في بناء العربية، ص 346.

[74] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دار قباء للنشر القاهرة2000,الطبعة الأولى، ص207.

لقد لجأ شاعرنا السياب إلى الحذف ليزيد قصيدته إيحاء ويوصل معناه الذي أراده إلى الذهن بإيجاز وهو لم يلجأ إليه "ليحقق ما في النص، بل العكس إذ أن للحذف جماليات وأغراض كثيرة، ومع هذا لم يترك أمر الحذف لفاعل النص يفعل به ما يشاء، بل ضوابط وشروط تحكم هذه الظاهرة".[75]

وقد تم الحذف في القصيدة على مستويين، مستوى الصيغة ومستوى التركيب فمن مستوى الصيغة نجد أمثلة كثيرة ومنها قوله:

حتى يهدم أو يكاد، سوى بقايا من صخور[76]

والحذف في هذه الجملة جاء في الفعل (يهدم). والتأويل، حتى يهدم أو يكاد يهدم إن الشاعر يعلم أن جسد هذه الفتاه قد أصبح منهكا من التعب، وفقد صار على شفا حفرة من التهديم (يكاد) وهو لم يستطيع ذكر حقيقة المأساة فتم الحذف فقد حذف الفعل يهدم وذلك لغرض الإيجاز ولأن العطف قد ناب عن الفعل وقام مقامه.

لقد جاء الحذف أيضا في قوله:

أزهور أجمل أم سعاد؟ بأي شئ جارتاها

تتفوقان؟[77]

لقد تم حذف كلمة (أجمل) التي دل عليها السياق، والغرض من ذلك بالضرورة هو الإيجاز، وتفادي التكرار لأن تكرار الكلام من غير ضرورة مفسد للمعنى .

نرى حذفا آخر في قول الشاعر:

ليت النجوم تخر كالفحم المطفأ و السماء

ركام قار أو رماد، والعواصف والسيول[78]

---

[75] بدر شاكر السياب ,الديوان , المجلد الأول , دار العودة بيروت،ص530.

[76] نفسه، ص 531.

[77] نفسه، ص 534.

[78] نفسه، ص 509

لقد تم الحذف في حرف التمني (ليت)، فقد استعملها مرة واحدة، توحي أن الشاعر قد وحد أمنياته، فصارت: أنها أمنية واحدة، صدرها الأداة .

وتظهر جماليات التركيب أيضا في حذف التراكيب باعتبارها أكثر تعقيدا وتشابكا من ذلك قول الشاعر:

من أي غاب جاء هذا الليل؟ من أي الكهوف؟

من أي وجر للذئاب؟[79]

لعل القارئ لهذا البيت يكشف الحذف، فقد تم في تركيب كامل وهو " جاء هذا الليل" فقد دل عليه المذكور الأول، يقول الزركشي:" من شروط الحذف أن تكون في المذكور دلالة على المحذوف إما لفظه أو سياقه، وإلا لم يتمكن من معرفته فيصير اللفظ مخلا بالفهم.. وهو معي قولهم: لابد أن يكون فيها أبقى دليل على ما ألقى، وتلك الدلالة مقالية أو حالية [80] إذن في هذا المثال الدلالة مقالية لأن الجملة الأولى دلت على وجود محذوف في الجمل الباقية وقد زاد هذا الحذف الجملة تأكيدا، لأن الإيجاز في الكلام أكثر توكيدا من الإطنا ب. قد يأتي الحذف من جنس آخر يقول الشاعر:

لو لم تكن أنثى وتسمع قهقهات من بعيد[81].

لقد حذف في هذا البيت جواب الشرط والتقدير(لما حدث لها ذلك). فغياب جواب الشرط يدل على عجز هذا العالم، وأنه يؤكد الخوف فهو المسيطر على الناس كلهم، وحذفه أدى إلى توضيح الإيحاء .قد يأتي مثال آخر في قول الشاعر:

وعضت اليد وهي تهمس: بالعيون[82]**!....**

---

[79] الزركشي، البرهانفي علوم القرآن، تح محمد ابو الفضل، دار المعرفة بيروت 1972، الطبعة الثانية 111/3 وما بعدها.

[80] بدر شاكر السياب، الديوان، ص 522.

[81] نفسه، ص 531.

[82] سيبوبة، الكتاب 27،41/1.

أي (بالعيون تتفوقان)، لأن السياق يدل على ذلك، إذا أن هذه المرأة تعلم الإجابة أن إلا أن خجلها أعياها من الإجابة، فلم تستطع إكمال الجواب فذلك يحز في نفسها ويجعلها تتألم، وهي تحس أن ذلك ليس بتفوق لذلك لم تذكره .

إذن الحذف أسلوب جمالي أراد الشاعر من خلاله البحث عن سبل التنويع في الكلام، وإبلاغ حاجته التي أرادها .

7-2. التقديم والتأخير: تتعرض الجملة بصفة عامة إلى تغيير في ترتيب عناصرها وهذا التغيير يصحبه تغير في الأغراض التي تعبر عنها اللغة، وهذا التقديم والتأخير إنما هو لتحقيق بعض المعاني المقصودة والتي هي عبارة عن طاقات تعبيرية تلحق المعاني الظاهرة، فتزيدها تأكيدا وقوة، ولأنه له هذه الأهمية اهتم به اللغويون والنحويون علاوة على البلاغيين فسيبويه مثلا يرى أن " التقديم والتأخير يكون لغرض بلاغي، فتقديم ما الأصل فيه التأخير إنما يكون للعناية به، والاهتمام بشأنه" [83]، أما عبد القاهر الجرجاني فقد خصص له بابا في دلائله، وبخاصة في الشعر فتراه يقول: "ولا تزال ترى شعرا يروقك سمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد السبب أن راقك ولطف عندك، أن قدم فيه شئ وحول الفظ من مكان إلى مكان." [84]

والتقديم والتأخير يجئ للعناية والاهتمام، كما أنه يؤدي وظائف جمالية وبلاغية، ولأنه لا يمكن النطق بالكلام دفعة واحدة فإنه يتطلب تقديم بعضه وتأخير البعض الآخر بما أنه ليس هناك شئ من إجراء الكلام أحق وأولى بالتقديم من الآخر باستثناء ما تجب له الصدارة كألفاظ الشرط والاستفهام ، وأول ما نلاحظه في التقديم في القصيدة هو تقديم الفاعل على الفعل، هذه الظاهرة التي اختلف فيها كثير من النحويين، فالبصريون يمنعون ذلك ويقدرون فعلا، بينما " يرى الكوفيون أن الفاعل المقدم يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل آخر.

[83] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 137.

[84] لخضر بلخير، في التركيب اللغوي، ص157.

يقدم الفاعل على الفعل لاعتبارات عدة لغوية وبلاغية، وهذا التقديم لا يخرج الكلام عن طبيعته لان الجملة " التي يتقدم فيها الفاعل (الاسم) تبقى فعلية، ولا فرق بين جملة تقدم فيها الفعل، وأخرى تقدم فيها الفاعل إلا من حيث المستوى التعبيري لكل منهما "[85]

يقول الشاعر:

الليل يطبق مرة أخرى.فتشربه المدينة.[86]

هنا تقديم عناية واهتمام لأن المقام يستدعى ذلك ، فالشاعر يهمه أن يبين أن المدينة أصبحت مظلمة وخيم عليها الليل كتقديم أولى لمظاهر الحرمان.

وقوله أيضا:

والموت يلهث في سؤال.[87]

إن الشاعر يهمه الحدث يقدر بقدر ما يهمه صانع الحدث، فالموت هنا هو الذي يهم الشاعر لأنه يريد أن يصور جميع أنواع الكوارث التي تحيط بهذه المرأة ، ومن شواهد تقديم الفاعل على الفعل تحقيقا لمطلب بياني وبلاغي.

قول الشاعر:

جيف تستر بالطلاء يكاد ينكر من رآها.[88]

فالشاعر فيما يبدو أنه يقصد أن يتقدم الفاعل على الفعل، لأنه كثير استعمال هذا النوع، والذي يظهر عليه أنه موقف انفعالي واضح فالفاعل(جيف) قد تصدر الجملة يتبع فعل مضارع لتأكيد المعنى وقد أكد البلاغيون العرب أن ما يحدثه تقديم الفاعل على الفعل" من تشويق للنفس وحض على معرفة ماذا فعل فالنفس لا بد وأن تنجذب وترهف السمع لتعرف ماذا فعل الفاعل "[89] و أمثلة تقديم الفاعل كثيرة نجدها في القصيدة .[90]

---

[85] بدر شاكر السياب، الديوان، ص 509.

[86] نفسه، ص 511.

[87] نفسه، ص 513.

[88] سمير أبو حمدان، الإبلاغية في البلاغة العربية، ص 123.

[89] أنظر: بدر شاكر السياب، الديوان، ص 533.

ومن العناية والاهتمام أيضا ظاهرة أخرى هي تقديم الجار والمجرور وهو يمثل ظاهرة تركيبية شائعة في العربية .

يقول الشاعر:

كالقمح لونك يا ابنة العرب.[91]

إن الشاعر هنا قد بدأ بالجار والمجرور والذي يمثل حرف الكاف فيه حرف الجر لأنه يهمه تبيين صفات هذه المرأة، وهو الذي يدل على عناية الشاعر واهتمامه بمتعلقات الإسناد ، ولأن التقديم هو تقديم عناية وتخصيص فإنه لا يتردد في الوصف . ومن أمثلة تقدم الجار والمجرور.

أيضا قول الشاعر:

من أي غاب جاء هذا الليل؟ من أي الكهوف

من أي وجر للذئاب؟[92]

تفيد "من" التي من حرف جر في الاصطلاح النحوي الغاية "أي" هنا حرف استفهام بدأ الشاعر به أبياته، وهو تصور يمدنا بقوة إحساس الشاعر ولفت الانتباه لمعرفة المكان التي أتى منه هذا الليل، إلا أن الظاهرة لغوية بحتة فالاستفهام له صدارة الكلام .

إن التقديم والتأخير في قصيدة السياب يعد ظاهرة لغوية، أراد الشاعر من خلالها أن يكون له قاموس خاص به وهو لم يخالف اللغة، في ذلك بل كان ينطق من الواقع اللغوي. باعثا لنفسه أفكارا تساعد على تبيان موافقة، وقد أكثر السياب من تقديم الفاعل، في أكثر من موضع، حتى يخيل إليك أنه لجأ إلى ذلك تكلفا وعمدا، وكأنه في هذه الحالة يحث القارئ على التركيز على الفاعل لأنه السبب في كل ما يحدث لهذه المرأة ، ولا نجد أمثلة أخرى للتقديم اكثر من هذا النوع .

---

[90]أنظر: بدر شاكر السياب، الديوان، ص 536.

[91] المرجع نفسه ، ص 509.

[92] نفسه، ص 515.

أيضا ظاهرة أخرى، تظهر جلية في القصيدة وهي الاعتراض بين الفاعل والمفعول يقول السياب:

الخيل من سأم تحمحم وهي تضرب بالحوافر

حجر الطريق.[93]

تكثر هذه الظاهرة لأن الجار والمجرور متعلق بما قبله في الإسناد، وتأتي كذلك للتنبيه، والتأكيد على أهميته، وفي مثالنا هذا اعترض الجار والمجرور(بالحوافر)، الفاعل (ضمير مستتر تقديره هي) ، والمفعول به (حجر (وهذا لتعلق هذا المجرور في نفس الشاعر أي التأكيد على أن الحدث حصل بالحوافر وليس بشيء آخر، يقول أيضا:

وخطاه مطرقة، تستمر في الظلام على البغايا

أبوابهن إلى الصباح فلا اتجار بالخطايا.[94]

ويقول:

ويظل يخفرهن من شبع وينثر في الرياح

أغنية تصف السنابل والأزاهر والصبايا.[95]

لقد اعترض الجار والمجرور في هذه الأمثلة بين الفاعل والمفعول والجار والمجرور هو(في الظلام، على البقايا، في الرياح) اعترضت الفاعل (ضمير مستتر يعود على ما قبله) ففي المثال الأول يعود على مطرقة، والثاني على محذوف، أما المفاعيل فهي: (أبواب أغنية) والغرض من هذا الاعتراض هو إبراز أهمية المجرور في نفس الشاعر وفي نفس المتلقي .

[93] أنظر: بدر شاكر السياب، الديوان،ص 523.

[94] نفسه، ص .523

[95] تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال،ص 130.

7-3. التنكير: التنكير أو الأسماء المنكرة ظاهرة ذات شأن، أدلى النحاة في شأنها بدلوهم، كل حسب رأيه، وهذه الظاهرة تضيف "إلى التركيب صورة أو معنى أنضر، ويكون له في النفس أنس ولطف موقع".[96]

ويمثل التنكير ظاهرة مميزة في الشعر لأنه يعبر عن حالة خاصة تتعلق بالشاع ر. وقد تكلم عبد القادر الجرجاني عن مسألة التنكير وأعطاها مفهوما وشرح ذلك بإعطاء أمثلة معينة من القرآن الكريم وكان ذلك في باب اللفظ والنظم [97] وقد ألح في ذلك الشرح على معنى (البعضية) وقد استعان بها لفهم العبارة ويرى أن التشكيل النثري لا يكون له هذا الموقع النفسي الذي تراه في التركيب الشعري.[98]

إذن فالاسم ينقسم إلى نكرة ومعرفة إلا أن" النكرة هي الأصل إذ لا يوجد معرفة إلا وله اسم نكرة"[99] والنكرات المحضة عكس المعرفة أي ما خلت من أداة التعريف " أل" وقد خص النحاة أداة التعريف "أل" بكثير من الاهتمام، فبوبوا الأسماء المعرفة بـ"أل" أبوابا متنوعة حسب دلالتها في السياق [100]، إلا أن نظرنا في قصيدة السياب مكننا من ملاحظة نزعات خاصة في إجراء التنكير، تحلل فيما يلي ابرز ما يماثلها.

يقول السياب:

والأعين التعبى تفتش عن خيال في سواها.[101]

إن الملاحظ أن السياب قد استعمل هنا كلمة "خيال" منونة وهي كلمة مفردة مجردة من "أل" جاءت منونة، وقد أراد الشاعر من خلالها أن يعلمنا أنه لا يقصد خيالا بعينه، وإنما عن شيء غير محدد فهذه العين تبحث عن متنفس، فلا تستطيع من تعبها أن تحدد شيئا فهي تبحث عشوائيا ودون تمييز، إذا التنوين أدى لنا دورا دلاليا تمثل في التنكير هذه

---

[96] أنظر: عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز، ص269 وما بعدها.

[97] نفسه، ص232.

[98] أحمد ماهر البقري، النحو العربي شواهد ومقدماته. ص241.

[99] أنظر:ابن هشام، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، 49/1 وما بعدها.

[100] أنظر: بدر شاكر السياب، الديوان، ص510.

[101] محمود السعران، علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي ،دار الفكر العربي,1999,الطبعة الثانية ص 220.

الظاهرة الصوتية هي في الحقيقة "مورفيم يدل على أن الكلمة نكرة "[102] إذن فقد استعمل الشاعر التنوين الذي هو عبارة عن "نون ساكنة تلحق الآخر لفظا لا خطا لغير توكيد"[103]،وقد لاحظنا ذلك على كلمة "خيال" فقد لاحقتها نون لا نراها في الكتابة ولكن ننطقها ولو كتبت لكانت الكلمة "خيالن"، وبذلك فقد قوى التنوين التنكير في هذه الكلمة .

وإذا أردنا أن نرصد هذه الظاهرة في القصيدة وجدنا لها أثرا ووقعا في النفس، فقد استعملها الشاعر لأنه دائم البحث عما يجعل السامع أو القارئ يتوق لأن يسمع أكثر فالتنوين إشارة إلى معلومة لاحقة لم تخصص بعد.

ومن أمثلة ذلك أيضا قول الشاعر:

قلب تحرق في المحاجر وأشرأب يريد نور؟[104]

جاءت كلمتا "قلب"، "نور" نكرتان، وهما منونتان، وبذلك لم تفيدا مسمى مخصصا وإنما أفادتا معنى مطلقا، فهذه المرأة تبحث عن النور مهما كانت وجهته أي من أي مكان لأنها تريد إنارة الظلماء التي يحسن بها قلبها، يقول أيضا:

يا ليت حمالا تزوجها يعود مع المساء

بالخبز في يده اليسار وبالمحبة في اليمين[105]

تتمنى هذه المرأة أن تخرج من بؤسها، حتى وإن استدعى ذلك أن تتزوج من حمال. فقد نطقت الكلمة هنا بالتنوين،لأن هذه المرأة أرادت رجلا مطلقا غير معين، فلو أرادت تعيينه لما نونت الكلمة ، نلاحظ أن قصيدة السياب يغلب عليها هذا الطابع، وهو التنكير بالتنوين يقول:

سور كهذا حدثوها عنه في قصص الطفولة :

"يأجوج" يغرز فيه، من حنق، أظافره الطويلة.

---

[102] كمال بسيوني، كتاب المفردات النحوية،مكتبة الدراسات النحوية,1988 الطبعة الأولى، ص 187

[103] أنظر: بدر شاكر السياب، الديوان،ص519.

[104] نفسه، ص519.

[105] نفسه، ص522.

يسهل علينا عند قراءة هذه الأبيات إدراك أن الشاعر لا يقصد بكلمة "سور" المنونة سورا بعينه، والقارئ يحسن أن هناك معلومات أخرى لاحقة لابد أن تقال، فيواصل القراءة حتى يعلم أكثر ، بالإضافة إلى أمثلة كثيرة أخرى تزخر بها القصيدة، وتدل أن الشاعر قد استطاع التصرف في كلماته، فجاء التنوين مؤديا معنى دلاليا أضفى على النص دلالة إيحائية والغرض منها إبراز المعنى.

خاتمة

خـاتـمـــة:

تمخضت عن هذه الدراسة ملامح المستوى التركيبي في الدراسة الحديثة عند كل من سوسير وتشومسكي بمجموعة من النتائج، حصرناها في نقاط توجنا بها البحث وجعلناها خاتمة و من أهم هذه النتائج نذكر :

- مثل سوسير قاعدة الدراسات اللسانية الحديثة، حيث عمل على توجيه الأحكام النحوية لكثير من النظريات النحوية الحديثة، ومثلت الثنائية التي ميزت أبحاثه أساسا منهجيا للمدرسة التوليدية التحويلية.
- أن الكلمة عنده هي ذات دور مركزي تظهر قيمتها داخل التركيب وبالنظر إلى علاقاتها بكلمات قبلها أو بعدها، فالنظرة التكاملية للنحو هنا جاءت من الأبعاد التصورية للغة، فهي ذات بعدين بعد تركيبي(خطي) و بعد استبدالي (رأسي).
- أما تشومسكي فإنه اهتم بالتركيب واضطربت نظرته للدلالة، ففي النموذج الأول عزل النحو عن المعنى، وفي النموذج الثاني جعل للمكون الدلالي دورا تأويليا وربطه بقدرة المتكلم على التمييز بين الجمل القواعدية واللاقواعدية حيث تميز موقفه بالحذر المنهجي من المعنى
- استطاع تشومسكي والتوليديون التحويليون أن يعالجوا القصور الذي كان موجودا عن البنيويين السلوكيين، وخاصة في العلاقات الدلالية في بعض الجمل ملتبسة المعنى.
- ثار التوليديون التحويليون على أفكار البنيويين السلوكيين، وأظهروا مدى تقصيرهم في جوانب كثيرة في الدرس اللغوي، وعالجوا ذلك التقصير معالجة علمية دقيقة أظهرت كفاءتهم.
- إن الدراسات التطبيقية لأفكار المدرسة التوليدية التحويلية، لا تختص بلغة معينة ولكنها تصلح لكل اللغات لا سيما اللغة العربية، وقد قام اللغويين العرب في العصر الحديث بتطبيق معطيات هذه المدرسة على نصوص من الشعر العربي، وكذلك اللهجات العربية.

- القواعد التحويلية عند أصحاب هذه المدرسة تطابقت تماما مع ما يدرسه علماء اللغة العرب في البلاغة من التقديم والتأخير والذكر والحذف ... الخ
- أهمية البنية لدى تشومسكي لما لها من تحديد معنوي ودلالي في تركيب إتمام الجملة

وقد درست هذه النظرية من عدة اتجاهات كدراسة التركيب دون الدلالة ودراسة دلالة الجملة و أهمية كلا من التركيب والدلالة.

هذه هي أهم النتائج التي تم استخلاصها من البحث و هناك نتائج أخرى جزئية لم نتطرق إليها يمكن استنتاجها من مناقشتنا لآراء الدارسين وقد تكون أهميتها لا تقل عن النتائج التي ذكرت.

المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.

❖ قائمة المصادر و المراجع:

1. إبراهيم زكريا، "مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، دار مصر للطباعة والنشر،(دط)،مصر1976.
2. ابن الأثير، المثال السائر في أدب الكاتب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية لبنان، ج1، 1990م.
3. ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، 1952 م.
4. ابن خلدون (عبد الرحمان)، المقدمة، الدار التونسية للنشر، ج2 أبريل 1984.
5. أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن و إعرابه، تح: عبد الجليل شلبي، مجمع اللغة العربية، دار الشروق.
6. أبو بكر بن الأنباري، إيضاح الوقف والإبتداء، تح: محي الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق.
7. أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة، تحقيق مصطفى الشويمي، بيروت، 1963.
8. أحمد حبلص، من أسس علم اللغة، دار الثقافة العربية، 1997.
9. أحمد سليمان ياقوت، دراسات في خصائص ابن جني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1974.
10. أحمد سليمان ياقوت، مناهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، 2000م.
11. أحمد عزة البيلي، محاضرات في علم اللغة العام، دار الثقافة العربية، 1990.
12. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، 1998 م.
13. أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون الجزائر.
14. بدر شاكر السياب، الديوان، المجلد الأول، دار العودة بيروت.
15. تمام حسان، الأصول، دراسة أبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1982.
16. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق عبد الله درويش، بغداد،1967 م.
17. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي،المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي،ط2 القاهرة 1982
18. زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات العامة والتاريخية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1990.

19. الزواوي بغورة، "المنهج البنيوي – بحث في الأصول و المبادئ و التطبيقات "، دار الهدى للنشر، ط01، الجزائر 2002 م.

20. سميح مقدادي، مدخل إلى اللسانيات،جامعة الملك فيصل،1985.

21. صلاح فضل،نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة للنشر، ط2،بيروت،لبنان، 1980.

22. الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية ابستمولوجية، جمعية الأدب للأساتذة الباحثين.

23. عبد الراجحي، النحو العربي و الدرس الحديث، دار النهضة العربية، ط1 بيروت، 1979.

24. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، مطبعة المدني 1992م.

25. عبد اللطيف محمد حماسة، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، القاهرة.

26. محمد الحناش البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، ط:1، الدار البيضاء (1980).

27. محمد حسن عبد العزيز، مدخل إلى علم اللغة، دار الفكر العربي، 1998.

28. محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1995م.

29. محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب،2001.

30. محمود السعران، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، 1999.

31. محمود عكاشة، التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات القاهرة 2005.

32. محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة، القاهرة، ط1، 2003.

33. محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن، في ضوء التراث واللغات السامية، دار الثقافة العربية، القاهرة، بلا تاريخ.

34. نادية رمضان النجار،فصول في الدرس اللغوي، بين القدماء المحدثين،دار الوفاء،الاسكندرية 2006.

❖ الكتب المترجمة:

1. تشومسكي المعرفة اللغوية، تر: محمد فتيح، دار الفكر، ط1 ،مصر، 1993.

2. جان بياجيه، البنيوية،تر: عارف منيمنة و بشير أويري، منشورات عويدات، ط1،بيروت،لبنان، 1971

3. جورج مونان، مفاتيح الالسنية، ترجمة الطيب البكوش(تونس: منشورات سعيدان 1994م.

4. روبنز،الموجز في تاريخ علم اللغة، تر: احمد عوض، عالم المعرفة ، الكويت.

5. مليكا إفينش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد مصلوح ووفاء كامل، المركز الأعلى للثقافة،ط2،2000 م.

6. ميشال فوكو، " البنيوية و التحليل الأدبي "، تر: محمد الخماسي ، العرب و الفكر العالمي "، مركز الإنماء القومي بيروت ، باريس، ع1، شتاء 1988.

7. جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر 1995م.

8. ج.غريماس، البنية الدلالية من مجلة الفكر العربي المعاصر، ترجمة ميشال زكريا، العدد 19/18 السنة 1982.

9. فرديناند دي سوسير، أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ترجمة، عزالدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة،2000م.

10. فردينند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي، ومجيد النصر المؤسسة الجزائرية للنشر 1986م.

❖ **المجلات:**

1. مازن الوعر، النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية والتوليدية، مجلة اللسانيات، العدد السادس، الجزائر، 1982م.

2. مازن الوعر مع تشومسكي، القضايا الجدلية لنظرية القواعد التوليدية والتحويلية، مجلة اللسانيات، العدد السادس، جامعة الجزائر، 1982م.

3. تمام حسان، إعادة وصف اللغة العربية ألسنيا، (ندوة اللسانيات واللغة العربية)، تونس، 1978م.

4. عبد الرحمن أيوب، التحليل الدلالي للجملة العربية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية عدد10م 1983.

5. عاطف القاضي، علم الدلالة عند العرب: مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد 18- 19 السنة: 1982

فهرست

فـــهـــرســـــت:

العـــنـــاويـــن	الصـفـحـة
المبحث التركيبي في ضوء علم اللغة الحديث:	
واجهة المذكرة	
شكر وعرفان	
الإهداء	
مقدمة.....	**أ.ب.ت**
الفصل الأول: مفاهيم اصطلاحية:	5-67
أولا : علم اللغة الحديث:	5-30
1- تعريفه:.....	5
2- مجالات علم اللغة الحديث:	6
2-1. الأصوات:.....	6
2-2. بناء الكلمة :	6
2-3. بناء الجملة :	6
2-4. الدلالة:.....	6
3- مناهج علم اللغة الحديث:	7
3-1. المنهج المعياري:	7
3-2. المنهج الوصفي:	9
3-3. المنهج التاريخي:	12
3-4. المنهج المقارن:	16
3-5. المنهج التقابلي:	22
4- علم اللغة والبحث النحوي:	26
5- علم اللغة العام	27

6- قضايا البحث في علم اللغة:	29
7- التسميات المختلفة لعلم اللغة:	30
ثانيا:البنية.....	49-31
1. مفهوم البنية:	32
1-1. لغة:	32
1 -2. اصطلاحا:	32
2. نشأة و تطور المنهج البنيوي:	35
3. خصائصَ البنية:	38
3-1. الكلية أو الشمول:	38
3-2. التحولات:	39
3-3. التنظيم الذاتي:	39
4. أهم المدارس البنيوية ومناهجها:	40
4-1. مدرسة جونيف:	40
4-2. مدرسة براغ:	40
4-3. مدرسة كوبنهاغن:	41
4-4. المدرسة الغلوسماتكية:	42
4-5. المدرسة الوصفية بأمريكا:	44
5. إيجابيات المنهج البنيوي وسلبياته:	46
5-1. إيجابيات المنهج البنيوي:	46
5-2 سلبيات المنهج البنيوي.....	47
ثالثا: التـــركيب:	67-50
1. مفهوم التركيب:	50
2. بعض المفاهيم المتعلقة بالتراكيب اللغوية:	52
2-1. النـحـــو:	52
2-2. الإعــراب:	53
2-3. الجملـة:	55

3. التركيب عند مختلف المدارس اللسانية:	56
3-1. التركيب عند دي سوسير:	56
3-2. التركيب من منظور توزيعي:	58
3-3. التركيب من منظور شكلي:	61
3-4. التركيب عند الوظيفيين:.....	63
3-5. التركيب من منظور توليدي تحويلي:	67
الفصل الثاني: التركيب في علم اللغة البنوي. **"دي سوسير" و تشومسكي".**	112-69
أولا: التركيب عند فردينان دي سوسير:	69
تمهيد:.....	69
1. التعريف بشخصية فردينان دي سوسير:	85-70
1.1 مولده:.....	70
2.1. رحلاته ومؤلفاته:	70
3.1. وفاته:.....	72
2. دي سوسير و الدرس النحوي:	72
3. أقسام الكلام في الطرح السوسيري:	73
1.3. التركيب والقيمة:.....	74
2.3. اللغة و الكلام:.....	75
3.3. العلاقات الترابطية والعلاقات الاستبدالية:	76
4.3. الدلالة عند دي سوسير:.....	80
5.3. القياس عند سوسير:.....	82
ثانيا: التركيب عند تشومسكي.....	112-85
تمهيد:.....	85
1. التعريف بشخصية أفرام نعوم تشومسكي.....	86
1.1 طفولته:.....	86

2.1. دراسته الجامعية:.....	88
3.1. المهنة:.....	88
4.1. أفكاره:.....	89
2. النظرية التوليدية التحويلية:.....	90
3. البنية السطحية والبنية العميقة عند تشومسكي.....	91
4. طرق تحليل الجملة في النحو التوليدي التحويلي:.....	93
1.4. المرحلة الاولى:.....	94
2.4. المرحلة الثانية: النظرية النموذجية:.....	101
3.4. أهم قواعد التحويل:.....	106
4.4. المرحلة الثالثة: مرحلة النظرية النموذجية الموسعة:.....	107
5. مواضع الخلاف بين التوليديين التحويليين والبنيويين.....	108
الفـصـل الـثـالـث:أثر التركيب في الدلالة:	159-114
أولا: المفهوم والنشأة:	114
1. مفهوم علم الدلالة:..... .	114
1.1. مصطلح "الدلالة" في القرآن الكريم و معاجم اللغة:.....	114
2. نشأة علم الدلالة:.....	119
3. ماهية الدلالة بين القديم و الحديث:.....	121
3-1. الدلالة في تعريفات علماء العرب القدامى:.....	121
3-2. الدلالة في تعريفات العلماء المحدثين: "المصطلح والأبعاد"...	127
4. أنواع الدلالة:.....	135
4-1. الدلالة الصوتية:.....	135
4-2. الدلالة الصرفية:.....	135
4-3. الدلالة النحوية:.....	135
4-4. الدلالة المعجمية والاجتماعية:.....	136
5.العلاقة بين الدلالة والتركيب :.....	136

5-1. الدلالة التركيبية:.....	137
5-2. رأي القدماء في العلاقة بين المعنى والتركيب :.....	138
5-3. رأي المحدثين حول العلاقة بين الدلالة والتركيب :.....	142
6. أثر التركيب في الدلالة :	145
6-1. أثر الوقف المباشر:.....	145
6-2. أثر الوقف مع قرينة أخرى:.....	146
6-3. أثر الوقف مع قرينتين فأكثر:.....	147
7. دراسة بعض نماذخ لعلاقة التركيب بالدلالة:	149
7-1. الحذف:.....	150
7-2. التقديم والتأخير:.....	153
7-3. التنكير:.....	157
خاتمة.....	162-161
المصادر و المراجع.....	166-164
الفهرس.....	172-168